

المملكة العربية السعودية

وزارة الخارجية



مُحَوِّثَاتُ دِپْلُومَاسِيَّةٍ

مجموعة مختارة من أبحاث الدارسين

- أثر التكنولوجيا على الدبلوماسية الحديثة
- البحر الأحمر والأمن القومي العربي
- هجرة اليهود الفلأشأ
- النزاع الأثيوبي الصومالي
- النظام السياسي الأمريكي وجماعات الضغط
- معضلات التغيير والثبات في
- السياسة الخارجية للولايات المتحدة

العدد السادس

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مَجَلَّةُ دَيْبُلُومَاسِيَّةٍ

مجموعه مختارة من أبحاث الدارسين

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم



العدد السادس

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

يصدرها معهد الدراسات الدبلوماسية

الرياض - ص.ب. ١٩٨٨ ٥ الرمز ١١٥٥٣

تلفون ٤٠٥٩٠٠٠



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون . ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الآراء الواردة في هذه البحوث تعبر عن وجهة
نظر الباحث، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر
وزارة الخارجية.

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لمعهد
الدراسات الدبلوماسية، ولا يجوز اقتباس جزء من
هذا الكتاب أو إعادة طبعه بآية صورة دون موافقة
كتابية من إدارة المعهد إلا في حالات الاقتباس
القصيرة بغرض النقد والتحليل مع وجوب ذكر
المصدر.

المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
|----------------------------------------------------------------------------------------|-----------|
| أثر التكنولوجيا على الدبلوماسية الحديثة | |
| صالح بن أحمد الزهراني | ٥٢ - ٩ |
| البحر الأحمر والأمن القومي العربي | |
| هشام مشعل السويلم | ١١٥ - ٥٥ |
| هجرة اليهود الفلأشا | |
| حماد غانم الرويلي | ١٧٣ - ١١٩ |
| النزاع الأثيوبى الصومالى | |
| عدنان محمود بوسطجى | ٢٢٦ - ١٧٧ |
| النظام السياسى الأمريكى وجماعات الضغط | |
| تركى بن خالد آل حشر | ٢٨٠ - ٢٢٩ |
| معضلات التغيير والثبات فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية (١٩٤٥ - ١٩٨٨) | |
| عبدالله عبد الرحمن العوفى | ٣٧٧ - ٢٨٣ |

أثر التكنولوجيا
على
الدبلوماسية الحديثة

أثر التكنولوجيا على الدبلوماسية الحديثة

إشراف:
الدكتور باسل الخطيب

إعداد الدارس:
صالح بن أحمد الزهراني

مقدمة

يجد المتتبع لتاريخ الحضارة الإنسانية أن التكنولوجيا سواء كانت بسيطة أم معقدة لعبت دوراً هاماً وواضحاً في تطور هذه الحضارة. وإذا كان النظام السياسي المعاصر يرجع في جذوره إلى عصر النهضة الأوروبية وما تبعه من نهضة صناعية ونشوء الدولة القومية إلى غير ذلك، فإن التكنولوجيا أثرت تأثيراً بالغاً في بلورة مصالح الدول منذ ذلك الحين وإلى اليوم.

كذلك يجد المتتبع لتاريخ العلاقات الدولية، أن التكنولوجيا لعبت دوراً حيوياً في استقرار وعدم استقرار العلاقات الدولية اعتماداً على الطريقة التي استخدمت بها التكنولوجيا بمضامينها المختلفة في أوقات السلم والحرب على حد سواء.

وبالنظر إلى كون الدبلوماسية أحد أهم عناصر الاتصال الدولي والعلاقات الدولية، فما هي الآثار التي تركتها الابتكارات والاختراعات العلمية ولازالت على الدبلوماسية عموماً، وعلى ما يسمى اليوم بالدبلوماسية الحديثة؟.

يهدف هذا البحث بشكل رئيسي إلى إيضاح هذا التأثير وكيفية تطوره بمرور الزمن وبشكل أصبح هناك فارق واضح بين ما يسمى بالدبلوماسية التقليدية وبين ما يسمى الآن بالدبلوماسية الحديثة / المعاصرة.

ولقد قسم البحث إلى أربعة فصول، ويهدف الفصل الأول إلى بيان التطور التاريخي للدبلوماسية التي زاولتها

ومارسها الحضارات الإنسانية القديمة حتى عام ١٤٥٥م بقيام أول بعثة دبلوماسية دائمة. أما الفصل الثاني فيتناول بعض أبعاد التكنولوجيا والاختراعات العلمية الحديثة المدنية والعسكرية منذ قيام النهضة الصناعية ودور التكنولوجيا في العلاقات الدولية. ويوضح الفصل الثالث سمات وخصائص الدبلوماسية التقليدية. بينما يبحث الفصل الرابع في السمات الجديدة للدبلوماسية الحديثة بالنظر إلى تأثير التكنولوجيا الذي أدى إلى بروز خصائص جديدة وملموسة جعلها تختلف عن ذي قبل.

مقدمة تاريخية عن تطور الدبلوماسية

نشأ علم السياسة نشأته العلمية الحديثة في ظل النهضة الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مع قيام الحكم الملكي في أوروبا. وكان ميكافيلي الرائد لهذه النشأة الجديدة، وصاحب الفضل الأول في استعمال المناهج الاستقرائية^(١).

ويعتري علم السياسة الآن منهجية جديدة، ظهرت نتيجة للاعتماد على المنهج المقارن، وانبثقت هذه المنهجية من التحولات الفكرية التي سرت في جميع القارات وأدت في نهاية المطاف إلى بروز أكثر من مائة دولة، ومنظمات سياسية متشابهة من حيث الشكل مع الاختلاف في الجوهر والبنية والأهداف^(٢).

وعلم السياسة هو علم دراسة الدولة ونظمها السياسية ومؤسساتها والعلاقات داخلها بين الفرد والفرد أو بين الفرد والمجتمع أو بين الفرد والدولة^(٣).

لكل دولة مسار تسير عليه وركائز ترتكز عليها في سياستها الخارجية حيث تحدد هذه المرتكزات مضمون واتجاه السياسة الخارجية لتكيف علاقاتها بالعالم الخارجي حيث تتصف السياسة الخارجية عادة بالمرونة والاستدامة نسبياً بما يتماشى مع الأوضاع القائمة والمتغيرة.

ومن هنا كان لا بد أن تضع كل دولة استراتيجية لسياستها الخارجية تقوم على عدد من العناصر والأسس العامة، حتى تكون إطاراً لعلاقاتها الخارجية مع الوحدات

الأخرى في المجتمع الدولي. وما هذه الإستراتيجية والتي تعكس عادة الشخصية المتميزة للدولة إلا تجسيدا لأهدافها ومراميها حيث لا تخرج هذه الإستراتيجية عن عناصر يتمثل أهمها في :-

- ١ - تحقيق الأمن الوطني والتزامات الأمن الإقليمي.
- ٢ - تحقيق المصالح الحيوية وحمايتها.
- ٣ - تحقيق التنمية والإرتقاء بمستوى معيشة الشعب.
- ٤ - تحقيق متطلبات السياسة الداخلية.
- ٥ - الحفاظ على شخصية الدولة العقائدية والحضارية والثقافية.
- ٦ - الحفاظ على الهيبة والاعتبار والاحترام الدولي.
- ٧ - الحفاظ على الإنتماء الإقليمي والجغرافي والثقافي.
- ٨ - المواكبة والمواءمة مع الإنتماءات القائمة (٤).

ولكي تستطيع الدولة تنفيذ هذه العناصر أو معظمها لابد من الاعتماد على وسائل وأدوات معينة يمكن من خلالها تحقيق أكبر مصلحة ممكنة بأقل خسائر أو تضحيات ممكنة. وبالنظر إلى الممارسات الدولية قديماً وحديثاً، يمكن القول بأن الدبلوماسية كانت ولا تزال أحد أهم أدوات التعامل بين الدول عبر التاريخ.

تعتبر الدبلوماسية ميداناً واسع الأفق، متعدد الأهداف والأساليب، ومن أهم أهدافها توثيق أواصر الصداقة بين الدول الصديقة وتخفيف حدة الخلافات (٥).

لقد أثبتت الوقائع أنه لتحقيق الأهداف الوطنية لابد من التعامل فيما بين الدول وتأمين الإنسجام بين مصالحها المتباينة. لذا لم يعد يقتصر نطاق الدبلوماسية على الاهتمام بالشؤون السياسية فحسب كما كان مفهوماً قبل الحرب العالمية الأولى بل تعدى ذلك الآن، ليشمل شئونها وميادين أخرى منها العمل على تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية والسياحية والمواصلات بأنواعها بالإضافة إلى القضايا الفنية (٦).

من أبرز التعريفات التي تتناول مفهوم الدبلوماسية ما أورده هارولد نيكلسون

الدبلوماسي البريطاني المشهور، حيث عرفها بأنها إدارة العلاقات الدولية عن طريق التفاوض. ويرى آخرون أن الدبلوماسية تعني حل المشاكل الدولية بطرق سلمية، بينما يرى البعض الآخر أنها فن المفاوضة ART OF NEGOTIATION . ويرى السير روبرت بل Sir R.Bill أحد رجال السياسة البريطانيين أن الدبلوماسية جهاز هام يستخدمه المجتمع المتحضر من أجل المحافظة على السلام^(٧).

إن الدبلوماسية علم وفن، فهي وإن كانت من الناحية العلمية تعنى بإدارة العلاقات الدولية، فهي علم له أصول وقواعد تجعل منها القلب النابض للعلاقات الدولية، حيث أنها جوهر التعامل الروتيني الدولي. وهي فن الدولة في تعاملها مع الدول الأخرى من أجل تحقيق الأهداف والمصالح خصوصاً بعد أن استقر الاعتراف بمبدأ المساواة بين الدول وأن المصالح مشتركة ومحدودة بطبيعتها وليست مطلقة^(٨).

ولقد تكونت الأصول الدبلوماسية عبر الزمن، وعلى مر العصور، فالدبلوماسية قديمة قدم المجتمعات البشرية وتضرب بجذورها في أعماق التاريخ. ولم تكن الدبلوماسية حكراً على دولة أو حضارة معينة بل نتاج إسهام جميع حضارات الإنسان لاسيما الحضارات العالمية المشهورة.

وهذه الأصول وإن كانت قد بدأت اعتماداً على عادات وتقاليد الشعوب والمجتمعات الإنسانية، إلا أنها تحولت تدريجياً إلى قواعد وأعراف تأصلت وتقننت في بداية القرن التاسع عشر الميلادي وبالذات منذ مؤتمر فيينا عام ١٨١٥م^(٩).

لقد عرفت الحضارات منذ القدم نوعاً من التبادل والتمثيل الدبلوماسي، ففي الصين يروى أن امبراطورها في عام ٢٠٠٠ ق.م. كان يستقبل مبعوثي الدول المجاورة وفقاً لمراسم متبعة في ذلك الوقت. كما أن الهنود كانوا يرسلون الوفود للبلاد المجاورة.

أما إبان الحضارة المصرية الفرعونية القديمة فلقد ظهرت أول معاهدة مكتوبة في التاريخ في عام ١٢٧٨ ق.م. بين ملك مصر وملك الحيثيين حيث نصت هذه المعاهدة على حق الجوار والسلام والتحالف ضد الأعداء وتبادل وتسليم المجرمين السياسيين^(١٠).

من جهتهم عرف البابليون كذلك معاهدات مماثلة خاصة بالتحالف والصدقة وقبول وتسليم اللاجئين السياسيين^(١١).

كذلك عرف اليونانيون ومنذ القرن الخامس الميلادي الدبلوماسية والتي استمدت قوتها من عاداتهم وأعرافهم الحضارية، حيث اتجهوا على إختلاف أنظمتهم السياسية نحو حسم منازعاتهم إما عن طريق الحروب تارة أو عن طريق السعي لتجنب سفك الدماء والتراخي والإتفاق فيما بينهم^(١٢).

لقد لعب الأغرريق دورهم في تطوير الدبلوماسية أيضاً بسبب تركيزهم على نوعية وكمية العلاقات بين المدن اليونانية القديمة. فلقد قامت الألعاب الأولمبية لتساعد على تعارفهم وتنافسهم بشرف مع بعضهم البعض، وعقدت المدن اليونانية معاهدات السلام فيما بينها نظراً لوجود دويلات متعددة حيث اقتضت مصالحهم عندئذ القيام بتوقيع المعاهدات والتحالفات توثيقاً للعلاقات فيما بينهم. كما عرف اليونان التمثيل الدبلوماسي المؤقت وأسلوب المفاوضات في الحياد والتحكيم في المنازعات، تلك الأمور التي أدت الى إرساء مبادئ الدبلوماسية بالرغم من قيام الخلافات الشديدة بين مدنها والصراعات فيما بينهم^(١٣).

يعتبر الرومان أول من أقام الدبلوماسية على أسس قانونية، وتفوقوا في القانون الذي كان يطبق على الرومان وعلى الأجانب معاً حيث اعتبره البعض أساساً للقانون الدولي. ولقد وضع الرومان مجموعة من القواعد القانونية التي تحكم حالة الحرب وإنهائها، والمفاوضات وأحكامها. والمعاهدات وإبرامها. كما أنهم اهتموا بالمراسم وابتدعوا نظام الحصول على رهائن من الطرف المهزوم في الحرب عند إبرام المعاهدة^(١٤)، حيث اعتبر الرومان هؤلاء الرهائن أسرى حرب في حالة إخلال الطرف المهزوم بالمعاهدة.

أما الدبلوماسية البيزنطية فقد ظهرت إثر انقسام الامبراطورية الرومانية إلى دولتين شرقية وغربية وبعد أن اتخذت بيزنطة الشرقية مدينة القسطنطينية عاصمة لها. ولقد اهتم البيزنطيون بالمراسم والشكليات كالرومان، كما أنهم تنبهوا إلى أهمية جمع

المعلومات وطوروا قواعد أساسية لمثل هذا العمل حيث كانوا يعتمدون بشكل كبير على سفرائهم في البلدان المجاورة^(١٥)

ومن ناحية أخرى كان للعرب دورهم أيضاً في تطوير الدبلوماسية حين كانوا يرسلون وفودهم إلى البلدان المجاورة وخاصة منذ ظهور رسول البشر عليه الصلاة والسلام لنشر الدين الإسلامي الحنيف. واستمر الأمر إبان عهد الخلفاء الراشدين وبعد قيام الدولتين الأموية والعباسية، وخير دليل على ذلك مدى العلاقة التي كانت قائمة بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وشارلمان ملك الفرنجة^(١٦).

تميز المجتمع الدولي في بداية تطوره بانقسامه إلى أنظمة سياسية مستقلة عن بعضها البعض. ولقد دفعت الحاجة بهذه الأنظمة التي أطلق عليها فيما بعد اصطلاح الدولة، إلى تبادل الإتصالات لتحقيق المنافع والمصالح المشتركة عن طريق الدخول في علاقات منتظمة ومستمرة لتلبية احتياجاتها المختلفة^(١٧).

ومع مرور الزمن تطور الكثير من المفاهيم السياسية ومنها الدبلوماسية حيث بدأت جذور ما يعرف اليوم بالدبلوماسية التقليدية في التبلور خصوصاً في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي - عصري دويلات المدن الإيطالية. وفي ذلك الوقت عرفت أول بعثة دبلوماسية عام ١٤٥٥م في جنوا بإيطاليا، وتبعت ذلك باقي الدول الإيطالية والأوروبية. ولقد اتسمت الدبلوماسية منذ ذلك الحين بخصائص وسمات مميزة بدأت الدبلوماسية على أثرها تثبت دعائمها وأسسها نتيجة لاعتماد الدول الأوروبية الحديثة عليها وانهيار النظام الإقطاعي وبداية ظهور قواعد القانون الدولي^(١٨).

ترسخت الدبلوماسية على أسس وقواعد قانونية ثابتة في اتفاقية فيينا لعام ١٨١٥م التي تناولت كذلك طبيعة وأبعاد العلاقات الدولية. وبعد قرن من الزمن أي أثر قيام الحرب العالمية الأولى والتي نشأت في ختامها عصبة الأمم في ٢٨ أبريل ١٩١٩م، حاول المجتمع الدولي عبر العصبة وضع القيود على عدم استخدام القوة والحرب كوسيلة في التعامل الدولي. وبعد معاهدة فرساي التي أبرمت في باريس عام ١٩١٩م، أصبحت مهمة عصبة الأمم الأولى والأساسية ضمان السلم الدولي عن

طريق إجراء التسويات الإقليمية التي أدت بالمكان الأول إلى قيام الحرب العالمية الأولى. وبدأت هناك بعض التغيرات الملموسة في طابع الدبلوماسية التقليدي وفي أبعادها المختلفة، نتيجة للتطورات العلمية والسياسية والإقتصادية والاجتماعية الدولية، والتي ظهرت أثارها بشكل أوضح بعد فشل عصبة الأمم، ثم بعد قيام وانتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م الأمر الذي أدى إلى نشوء تنظيم دولي جديد تمثل في قيام الأمم المتحدة (١٩).

لقد بدا للعيان أن الدبلوماسية التقليدية ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى تأثرت تأثراً محسوساً بالمتغيرات التي أصبحت تتحكم في نوعية وكمية التعامل الدولي وعلى كافة الأصعدة. ولعل من أهم هذه المتغيرات تطور وإنتشار تكنولوجيا الاتصال والمواصلات، والتكنولوجيا العسكرية، وقيام دول أقوى على الساحة الدولية خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية متمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي.

لقد بدأت الدبلوماسية منذ أوائل هذا القرن تأخذ مساراً آخر بعد أن كثر عدد الدول المستقلة والتي كانت تحت سيطرة استعمار بعض القوى الأوروبية. وتأثر مسار الدبلوماسية كذلك بعد أن أصبح مصير الإنسان مهدداً بالفناء والزوال خاصة بعد اختراع الأسلحة النووية واستخدامها.

ولاشك أنه منذ مؤتمر سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥م والذي ولدت الأمم المتحدة على أثره، أرسيت الكثير من القواعد والمبادئ التي تمس جوهر الدبلوماسية وأبعادها ووجوهها المختلفة. لقد اضطرت الدبلوماسية للتطور، وطراً عليها الكثير من المستجدات من حيث السمات والخصائص، الأمر الذي ساعد على إعطائها طابعاً جديداً يختلف عما قبله بحيث جعلها تعرف اليوم بالدبلوماسية الحديثة (٢٠)

الهوامش

- (١) الدكتور/ محسن عبد الخالق، «علم السياسة»، محاضرة لطلبة الدبلوم، غير منشورة، الرياض معهد الدراسات الدبلوماسية، (١٩٨٥ - ١٩٨٦).
- (٢) نفس المصدر.
- (٣) نفس المصدر.
- (٤) الدكتور/ محسن عبد الخالق، «دبلوماسية الدولة»، مجلة الدراسات الدبلوماسية، الرياض : معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد الأول (١٩٨٤)، ص ١٢ - ١٦.
- (٥) أحمد عبد المجيد، أضواء على الدبلوماسية. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠)، ص ٥٠.
- (٦) نفس المصدر، ص ٥١.
- (٧) نفس المصدر، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.
- (٨) الدكتور سموحي فوق العادة، الدبلوماسية الحديثة. (دمشق : دار اليقظة العربية، ١٩٧٣)، ص ٤ - ٥.
- (٩) جمال بركات، الدبلوماسية ماضيها وحاضرها ومستقبلها. (الرياض : مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٨٣)، ص ١٧ - ١٩.
- (١٠) نفس المصدر، ص ٢٧ - ٢٨.
- (١١) الدكتور فاضل زكي محمد، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق. (بغداد : دار الحرية للنشر والطباعة، ١٩٧٣) ص ١٧ - ١٨.
- (١٢) نفس المصدر، ص ١٨.
- (١٣) نفس المصدر، ص ٢٠٠.
- (١٤) جمال بركات، المصدر السابق، ص ٢٩ - ٣٢.
- (١٥) نفس المصدر، ص ٢٩ - ٣٢.
- (١٦) الدكتور/ سموحي فوق العادة، المصدر السابق، ص ١٧.
- (١٧) الدكتور/ إبراهيم العناني، التنظيم الدولي. (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢)، ص ٤ - ٥.
- (١٨) أحمد عبد المجيد، المصدر السابق، ص ٣٣.
- (١٩) الدكتور/ إسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية والسياسة الدولية. (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥)، ص ٧١.
- (٢٠) جمال بركات، المصدر السابق، ص ٤١ - ٥٣.

تطور التكنولوجيا

تلعب التكنولوجيا دوراً حيوياً في الكثير من الأمور الجارية على المسرح الدولي. فإلى جانب أهميتها في الحرب والسلام، وإحداثها للكثير من التأثيرات العديدة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والثقافية والسياسية لجميع الأمم، وإلى جانب كونها جزءاً لا يتجزأ من التراث الحضاري الإنساني، فلقد أصبح نقلها وأهمية الحصول عليها واضحاً خصوصاً منذ عام ١٩٤٥م ونهاية الحرب العالمية الثانية. ولقد ازدادت الأهمية بقيام الحرب الباردة بين العملاقين حيث أصبحت التكنولوجيا المتقدمة وخاصة العسكرية المصدر الأساسي لاعتبارات الأمن والقوة والنفوذ لكثير من الدول^(١).

من أبرز معالم ماوصلت إليه التكنولوجيا المعاصرة من التقدم، ومن التأثير على المجتمع الدولي والجنس البشري كونها شاملة ومتشعبة، معقدة ومتعددة تتراوح من اللامتناهي في التعقيد والإمكانات (الكمبيوتر)، واللامتناهي في الكبر (الفضاء)، إلى اللامتناهي في الصغر (الذرة)^(٢).

لقد تطرق العديد من الكتاب إلى تعريف التكنولوجيا، وماتعنيه من معنى. فهناك من عرفها بأنها نوع من أنواع المعرفة يمكن اكتسابها أو تطبيقها أو تطويرها أو نقلها بواسطة أفراد مؤهلين علمياً، حيث تقتضي درجة عالية من التخصص، مما يجعل أمر اكتسابها أو تطبيقها يعتمد اعتماداً كلياً على هؤلاء الأفراد^(٣).

وهناك من عرفها بأنها التطبيق المنتظم للعقلانية الإنسانية الجماعية لحل المشاكل عن طريق تأكيد السيطرة على الطبيعة وعلى الجهود الإنسانية المختلفة. فهي من الناحية الفنية إطار عمل يتكون من مجموعة من الأساليب، لكل منها خصائص معينة وطبيعة ومواصفات ذاتية، تتعلق بالمنتجات أو المسائل القائمة من حيث الإستخدام أو القدرة الإنتاجية أو أساليب الإدارة المرتبطة بالنتاج أو المشكلة^(٤).

بدأت التكنولوجيا تلعب دوراً هاماً في حياة المجتمع الدولي منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي بعد النهضة الصناعية وظهور الآلة البخارية عام ١٨٥٠م. وجاءت التكنولوجيا على شكل اختراعات مثل الآلة البخارية، والتلغراف والعربات وسكك الحديد. نتيجة لذلك تغير الكثير من الأوضاع، وتغيرت خريطة العالم وأصبحت التكنولوجيا من أهم العوامل المؤثرة على المسرح الدولي من حيث تأثيرها على سياسات الدول الداخلية والخارجية، ومساعدتها على تغير الكثير من القيم الاجتماعية والإنسانية وتقدم الكثير من الدول وقيام حروب وانتهائها^(٥).

لقد أصبحت التكنولوجيا تلعب دوراً مهماً في عملية تنفيذ السياسة الخارجية للدولة لأن الاعتماد عليها خصوصاً في النواحي العسكرية أنجح الجهود الخاصه بالتأثير على سياسات الدول الأخرى سواء كانت سياسية، أو ثقافية، أو اقتصادية، أو اعلامية إلى غير ذلك. ومما لاشك فيه إن التقدم التكنولوجي أصبح جزءاً من القوة الشاملة للدولة لتنفيذ سياستها الخارجية، إذ أن امتلاك هذه القوة أصبح يعطي القدرة على اختيار الحلول الأنسب والمواقف الأمثل في القضايا الدولية، فليس هناك سياسة خارجية ذات مصداقية إذا لم يكن وراءها قوة كافية، وإذا لم يكن هناك استعداد قومي لتقديم التضحيات في سبيلها^(٦).

لقد أصبحت الدول المتقدمة تكنولوجيا خصوصاً في القرن العشرين تمارس في علاقاتها الدولية نوعين من الأساليب سواء كانت سلبية أو إيجابية، فتراها أحيانا تمارس ضغوطا على الدول الصغيرة أو الضعيفة أو النامية وتمنع دخول التكنولوجيا إليها إلا بشروط صعبة أو ثمن سياسي أو اقتصادي باهظ. وأحيانا أخرى تراها لا تمد

يدها بالعون إلا إذا كانت هذه الدول حليفة لها، كما أصبحت معظم الدول القوية وخصوصاً الكبرى والمتنافسة تقوم بممارسة حظر شامل أو جزئي على انتقال تكنولوجيتها المتقدمة إلى منافسيها أو أصدقائها على السواء إما لأسباب سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو استراتيجية (٧).

ومنذ منتصف هذا القرن، أصبحت التكنولوجيا وبالذات المتقدمة عاملاً أساسياً في النمو الكبير الذي طرأ على المجتمعات الدولية وخاصة الغربية، وكذلك على المجتمعات الأخرى التي انتقلت إليها التكنولوجيا من موطنها عن طريق النقل أو الانتشار (٨). وأصبحت التكنولوجيا وأساليب انتشارها ونقلها مسألة دولية حساسة تناقش على المستويات الثنائية والمتعددة الأطراف بين الدول وفي المؤتمرات الدولية مما جعلها تزيد حدة النزاع بين الدول المتقدمة والنامية بشكل لا يخفي على أحد. إنما هل يمكن اعتبار التكنولوجيا ظاهرة حديثة؟ وهل أقتصر نشاط المجتمع الانساني في هذا المجال على القرن العشرين؟ أن التطلع إلى التاريخ يفيد في الوصول إلى الحكم على إن التكنولوجيا ظاهرة قديمة حديثة، بالرغم من ميل الكثيرين إلى اعتبارها حديثة على أساس كمية ونوعية التقدم العلمي الذي يرتبط بهذا الاصطلاح، وبالرغم من التأثير الذي خلقته وما تزال على التطلعات والقيم والممارسات الإنسانية وعلى مختلف الأصعدة (٩).

لقد كان الإنسان ومنذ العصر الحجري يبدي اندفاعاً غريزياً قوياً للإتصال بالمجتمعات الإنسانية الأخرى، فقرع الطبول وإضرام النيران وإطلاق الدخان والإشارات بالأيدي إشتراطها ظروف الإتصال لدى الإنسان. لقد كان الإعتماد على الإنسان في إرسال الرسائل والإبلاغ، واستخدام الحمام الزاجل والإعتماد على الحيوانات في وسائل المواصلات، ضرورات اقتضتها الأوضاع القائمة آنذاك. ولقد تطورت الوسائل بتطور مفاهيم وحاجات المجتمعات الإنسانية إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن، ولولا تلك البداية لما استطعنا الحصول على ما هو موجود بين أيدينا (١٠).

إن اختراع «يوهان جوتنبرج» في القرن الخامس عشر الميلادي لآلة الطباعة واستخدامه للحروف المنفصلة، جعل الطباعة تنتقل إلى علم دقيق حيث تطورت

بمرور الزمن إلى أن احتلت الصحف المكان الأول في الأهمية كوسيلة لنقل المعلومات إلى العالم (١١). كما أن اختراع الآلة البخارية والتلغراف والعربات والسكك الحديدية، غيرت كثيراً من الأوضاع السلمية والعسكرية على وجه هذه البسيطة (١٢).

لا تخرج التكنولوجيا على اختلاف أنواعها وأشكالها وميادينها عن مسارين أساسيين تستخدم فيهما هما السلم والحرب. فمن ناحية مثلاً، لعبت التكنولوجيا في وسائل الاتصال والمواصلات دوراً لم يسبق له مثيل في جمع شتات هذا العالم الكبير المترامي الأطراف إلى أن وصل إلى حد وصفه بقريّة صغيرة (١٣). لقد حدا ذلك إلى قول بعضهم بأن هذا العصر هو عصر الاتصالات الذي أعقب النهضة الصناعية التي أحدثت اكتشاف الراديو والاتصال السلكي واللاسلكي (١٤). ومن ناحية أخرى، وعلى سبيل المثال ما أن أدى تصميم الصواريخ المختلفة منذ الحرب العالمية الثانية والتي دفعت الأقمار الصناعية والسفن الفضائية حول الأرض، حتى تحول الفضاء إلى ميدان نشاط متعدد الأهداف، وأصبحت هذه الأقمار التي تجوب الفضاء تقوم بوظائف الإتصالات وجمع المعلومات مما جعلها تؤثر على المتغيرات الحضارية للكثير من الشعوب والدول. لقد قربت مثل هذه الإنجازات المسافات والأبعاد النفسية بين بني الإنسان كما حدثت وبوضوح من السلبات التي قد يفرضها عامل الزمن على قدرتهم الإتصاليه ببعضهم البعض. وبفضل تكنولوجيا الاتصالات المعتمدة في المجتمعات الدولية أصبح بإمكان جميع الشعوب معرفة ما يجري من أمور في أي بقعة من العالم ويؤثرون كما يتأثرون بها لأن العالم أصبح عالماً واحداً لا يمكن تجاهل ما يجري فيه لأي سبب كان. (١٥).

أما تكنولوجيا المواصلات فلقد وصلت إلى ذروتها في الوقت الحاضر حيث أصبحت الأرض اليوم مجتمعاً يمكن وصفه قياساً بالماضي مجتمع الرحلة الواحدة. ذلك المجتمع الذي كانت فيه المواصلات البرية تعتمد على القوة البدائية للإنسان، أو على تلك التي تعتمد على الحيوان مثل الخيل والبغال والجمال وغيرها، وأصبحت اليوم تعتمد على القوة الميكانيكية والممثلة باستخدام السكك الحديدية، إلى جانب الطائرة النفاثة التي تستطيع أن تصل في أقل من يوم إلى أي مكان في العالم وتتيح إمكانية التجول والسفر والانتقال.

لم يقتصر استخدام التكنولوجيا على الجوانب السلمية فقط، ولكنه تعدى ذلك إلى استخدامها في العلوم العسكرية والفنون القتالية، وكان للتكنولوجيا الفضل الأول لما وصلت إليه الصناعات العسكرية المتقدمة، وما صاحبها من قوة تدميرية هائلة (١٦). لقد استخدمت التكنولوجيا في مجالات جمع ونقل المعلومات العسكرية وتحركات الجيوش وعمليات التجسس. كما استبدلت بعض المفاهيم والقدرات القتالية التقليدية بتلك التي تأخذ في الاعتبار الصواريخ الناقلة للرؤوس النووية والعبارة للقارات والإجراءات والأساليب المضادة لمثل هذه الوسائل كمشروع مبادرة الدفاع الاستراتيجي Strategic Defense Initiative والذي تساهم فيه دول متحالفة بأحدث منجزاتها وخبراتها العلمية والتكنولوجية (١٧).

ولعل من أهم المنجزات التكنولوجية المعاصرة اكتشاف أشعة الليزر (الضوء المركز) والتي من شأنها إدخال العالم في أطوار جديدة لا حدود لها سواء في الطب والكيمياء والهندسة الاليكترونية والكمبيوتر، وإنتاج الطاقة والمركبات والأسلحة الفضائية مما قد يغير وجه العالم بقدر ماغيره اختراع الكهرباء (١٨).

أين سيقودنا كل هذا، في ظل حقيقة أن التكنولوجيا ليست مجرد تجسيد لعملية تحول الأفكار والاكتشافات العلمية إلى واقع يلمسه الإنسان وأنها قادرة على الهدم كما هي قادرة على البناء في وقت واحد؟

الهوامش

- (١) الدكتور/ باسل الخطيب، «التكنولوجيا والعالم الثالث»، مجلة الدراسات الدبلوماسية، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد الأول، (١٩٤٨)، ص ٥٨ — ٨٠.
- (٢) مصطفى طيبه، الثورة العالمية والتكنولوجية والعالم العربي، (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٣)، ص ١٢٨.
- (٣) انطون زحلان، البعد التكنولوجي للوحدة العربية. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣)، ص ٢١.
- (٤) الدكتور/ باسل الخطيب، المصدر السابق، ص ٥٩.
- (٥) نفس المصدر، ص ٥٩.
- (٦) الدكتور/ محسن عبد الخالق، «القوة»، محاضرة لطلبة الدبلوم، غير منشورة، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، (١٩٨٦).
- (٧) الدكتور/ باسل الخطيب، المصدر السابق، ص ٦٠ — ٦٢.
- (٨) نفس المصدر، ص ٦٠ — ٦٢.
- (٩) نفس المصدر، ص ٥٨ — ٦٠.
- (١٠) مصطفى طيبة، المصدر السابق، ص ١٢١ — ١٢٧.
- (١١) نفس المصدر، ص ١٢١.
- (١٢) نفس المصدر، ص ١٢١.
- (١٣) ابراهيم محمد شجر، «الإتصال»، محاضرة لطلبة الدبلوم، غير منشورة، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، (١٩٨٦).
- (١٤) نفس المصدر.
- (١٥) مصطفى طيبه، المصدر السابق، ص ١٩ — ٢٥.
- (١٦) نفس المصدر، ص ١٩ — ٢٥.
- (١٧) المجلة (لندن — بريطانيا)، ٢٧ نوفمبر — ٣ ديسمبر ١٩٨٥.
- (١٨) مصطفى طيبه، المصدر السابق، ص ١٢١ — ١٢٣.

الدبلوماسية التقليدية

يمكن القول أن الدبلوماسية قبل القرنين الخامس عشر والسادس عشر اتصفت بعدم الدوام والإستقرار، وأنها كانت تخضع للظروف والملايسات وتمارس على أساس الأعراف والعادات أو إرسال الرسل والوفود^(١).

ولقد كان ينظر للدبلوماسية على المستوى الإقليمي بمنظار قطرها، ففي اليونان كانت المؤتمرات التي تعقد تسمى مؤتمرات عالمية إلى جانب أن الدبلوماسية كانت مقصورة على المفاوضات الوقتية والتي تنشأ بعد الحروب لتصفية الغنائم، وظلت كذلك حتى القرن الخامس عشر الميلادي^(٢).

دلت الأحداث والوقائع التاريخية أن ممارسة الدبلوماسية التقليدية بدأت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر لأمر فرضته طبيعة الظروف القائمة، وذلك لوجود مجموعة من الوحدات السياسية المستقلة التي أدى تعاملها مع بعضها البعض إلى بلورة المواقف عن طريق المعاهدات وإنشاء الأحلاف^(٣).

ويرجع الفضل في ذلك إلى دويلات المدن الإيطالية، حيث قامت أول بعثة دبلوماسية دائمة في عام ١٤٥٥م عندما بعث دوق ميلان بسفير له إلى جنوا ومن ثم تبعت ذلك باقي الدول الإيطالية والأوربية. ولقد ساد في تلك الفترة من الزمن تصور خاطيء نادى به الإيطالي «ميكافيللي» في كتابه الأمير في أسلوب الحكم والسياسة، والذي انعكست فيه أفكاره على منهج دبلوماسية ذلك العصر. لقد جعل

ميكافيللي من الفن الدبلوماسي رديفاً للأنشطة الخفية والإتصالات المريبة والغش والخداع والكذب والتجسس والتآمر مع عدم الأخذ بعين الاعتبار بالقيم الخلقية، والوصول إلى الأهداف والغايات المنشودة بصورة سرية. (٤)

بمرور الزمن أخذت الدبلوماسية تتبوأ مكاناً مرموقاً وبدأت دراستها كعلم وكمهنة، وكانت دولة مدينة البندقية الإيطالية قصب السبق بين مثيلاتها في تنظيم الدبلوماسية والإهتمام بها كمهنة أساسية، ولم تلبث الدويلات الأخرى أن نقلت عنها هذا العلم الجديد، وأخذت هذه الدويلات في تعيين الدبلوماسيين الدائمين في عواصم الدويلات الإيطالية الأخرى وتطور هذا الاتجاه بحيث أخذت هذه الدويلات تعين دبلوماسيين دائمين في بلاط ممالك أخرى كأسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا، كما بدأت البندقية في تعيين السفراء الدائمين في القسطنطينية وفي روما، ثم بعثت بعد ذلك بسفراء دائمين إلى جميع الدول الكبرى في أوروبا بعد أن كان يتم تعيين هؤلاء من قبل مجلس الشيوخ. (٥)

لقد أرسلت أسبانيا أول سفير إلى إنجلترا في عام ١٤٨٧م. وفي عام ١٥٢٠م عقدت معاهدة بين ملك إنجلترا وأمبراطورية المانيا لتبادل التمثيل الدبلوماسي الدائم. وكان أبرام المعاهدات وعقد المفاوضات مشوباً بكثير من الحساسية، وكان التوقيع على المعاهدات يتم بطريقة دائرية على نسخة واحدة ومن ثم عدل ذلك بأعداد عدة نسخ، بحيث أصبح كل طرف يوقع على نسختين. كما أن أفضلية السفراء وأسبقيتهم لم يكن مألوفاً، حيث أن النظرة القديمة في استقبال السفراء كانت حسب أقدمية الدول الممثلين لها مما أدى إلى عدة مصاعب ومصادمات بين السفراء أنفسهم (٦).

بعد ظهور الدولة القومية الحديثة تهيأت أسس قيام النظام الدولي الأوروبي، حيث تسبورت معالمه بتوقيع معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨م. ولقد انتهت هذه المعاهدة الحرب الدينية التي كانت قائمة في أوروبا كما أظهرت الحاجة الماسة إلى وجود التمثيل الدبلوماسي أكثر من أي وقت مضى بين الدول الكبرى. ولم تلبث أسبانيا وإنجلترا والمانيا وفرنسا في هذا المضمار أن أتخذت كل ما من شأنه أن يثبت قواعد ودعائم الاتصال فيما بينها بعد أن سئمت هذه الدول حرباً مضنية أستمريت ثلاثين

عاماً. لقد وجدت هذه الدول أن أفضل وأسهل الطرق لحماية وجودها وبقائها هو الوقوف على مايجري في الدول الاخرى عن طريق الاعتماد على الدبلوماسيين وإنشاء السفارات الدائمة وإيجاد أجهزة نشطة تمدّها بالمعلومات بصورة مستديمة. وبدأت حقبة جديدة في تاريخ العلاقات الدولية منذ ذلك الوقت حتى اذا ما دخل القرن السابع عشر الميلادي كانت المفاوضات الدائمة تعم أغلب الدول الموجودة^(٧).

لقد كانت الحرب أمراً مشروعاً في ظل القانون الدولي التقليدي في وقت لم يكن فيه التنظيم الدبلوماسي الدولي أمراً مألوفاً. وكان اللجوء إلى القوة أو الحرب وسيلة من وسائل التسوية المعترف بها للمنازعات، بإعتبار ذلك مظهراً من مظاهر السيادة المطلقة. وكان من شأن هذا استمرار الدول في تطوير فنون القتال وأدواته، وأصبحت الحروب عالمية وشاملة بعد أن كانت إقليمية ومحدودة الأهداف. ونظراً لذلك أتجه البعض إلى المناداة بتحريم الحرب واستخدام القوة ووجوب الالتجاء إلى طرق التسوية السلمية للمنازعات. وبذلت مجهودات كبيرة في هذا المجال أهمها ما توصلت اليه الدول الأوروبية الكبرى عقب انتصارها على نابليون، حيث أقامت مايسمى بالحلف المقدس (التعاهد الجرمانى) الذي عقد في باريس في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨١٥م وجمع بين بروسيا - النمسا - إنجلترا ، ومن ثم انضمت اليه فرنسا. لقد كرس واضعوا معاهدات الصلح جهودهم الذاتية لتسوية المسائل المطروحة في أوروبا القارية، وتعهدوا بعدم الدخول في حرب أو استخدام للقوة، ولكن لم يلبث أن أثبت هذا الحلف فشله حيث تحول إلى نظام آخر عرف بالوفاق الأوروبي وذلك للعمل على أن يعم السلام القارة الأوروبية^(٨). وجاءت إتفاقتي لاهاي عام ١٨٩٩م - ١٩٠٧، للتأكيد على المؤتمر السابق ولكن هذه المؤتمرات لم تنجح في مواجهة الأزمات التي أدى تفاقمها فيما بعد إلى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م^(٩).

لقد انتشرت المفاهيم التي تنادي بتضامن المصالح الأوروبية وضرورة عقد الإجتماعات الدائمة والمشاورات عبر القنوات الدبلوماسية لمعالجة القضايا والمصالح الأوروبية منذ بداية القرن التاسع عشر. وتجلّى هذا الاتجاه بوضوح منذ مؤتمر فيينا عام ١٨١٥م، الذي اعتبر أول مؤتمر قمة موسع في التاريخ آنذاك. وجاء مؤتمر اكس

لاشابيل في نوفمبر عام ١٨١٨م مؤكداً على استمرار مبدأ توازن القوى، والاتفاق على تقسيم أوروبا على حساب الدول الأضعف والأصغر، إلى جانب الاستمرار في الاتصالات الدبلوماسية التي اعتمدت منهج السرية. كما قامت الاتفاقيات الخاصة بالقواعد المنظمة لتبادل البعثات الدبلوماسية والمبعوثين الدبلوماسيين ودرجاتهم حيث قسمتهم إلى أربعة فئات^(١٠):-

١ - السفراء والقاصدون الرسوليون.

٢ - الوزراء المفوضون.

٣ - المبعوثون والوزراء المقيمون.

٤ - القائمون بالأعمال.

ومن ثم انعقد مؤتمر باريس في عام ١٨٥٦م ، ومؤتمر برلين عام ١٨٧٨م والذي حاولت فيه هذه المؤتمرات خلق نوع من التوازن بين روسيا وباقي أوروبا.

يمكن القول بأن الدبلوماسية التقليدية أخذت في هذا القرن مع مرور الوقت تثبت قواعدها وتستقر أوضاعها بقيام الدولة الحديثة وانهيار النظام الإقطاعي وبداية تبلور القانون الدولي العام.

لقد وضح التأثير الفرنسي في الدبلوماسية حين أخذت فرنسا في إصدار النشرات الخاصة للتعريف بأهداف السياسة والعلاقات الخارجية، وأصبح لفرنسا أكثر من عشر سفارات دائمة في عدد من العواصم الأوروبية. وترسخ مبدأ الوضوح والأمانة في المفاوضات الدولية في ذلك العهد على يد الدبلوماسي الفرنسي (دى كالير) والذي نشر أفكاره في كتابه «أسلوب المفاوضات مع الملوك». لقد كانت فرنسا كذلك أول من أسس دائرة للشئون الخارجية أسمته «مجلس الشئون»، ومن ثم أنتقل التأثير الفرنسي على الدبلوماسية في القرن التاسع عشر إلى بريطانيا، نتيجة لانتقال الفكر السياسي إليها إلى جانب الخبرات العلمية والتقدم الصناعي. ولقد بدأ أثر هذه الأمور يتضح على الدبلوماسية، حين أصبحت حرية الدبلوماسي مقيدة ومهامه محدوده نظراً للاختراعات العلمية الحديثة التي جعلت الإتصال بين العواصم الأجنبية أكثر يسراً

وسرعة على عكس ما كان يحدث سابقا. ومن ناحية أخرى تعتبر فترة نهاية القرن التاسع عشر فترة تغيرات أساسية في العلاقات الدولية حيث تغيرت ملامح الخريطة السياسية العالمية في الوقت الذي ساعد فيه توازن القوى المادي والمعنوي على ظهور بعض الدول العظمى مثل المملكة الإيطالية والأمبراطورية الألمانية في الجزء الأوسط من أوروبا. كما تعرضت في تلك الفترة القارة الأوروبية الشمالية ومنطقة شرق آسيا إلى أزمات أدت نتائجهما إلى بروز الولايات المتحدة الأمريكية (عقب الحرب الأهلية) كقوة قادرة على القيام بدور عالمي بالإضافة إلى قيام امبراطورية اليابان بعد أكثر من عشر سنوات من الإضطرابات الداخلية كدولة قوية وحديثة (١١).

عموما يعتبر القرن التاسع عشر قرن السلام بالمقارنة مع ما قبله من القرون التي اتسمت بالحروب. في هذا القرن خطت الدبلوماسية خطوات واسعة نتيجة للتقدم التكنولوجي والاختراعات العلمية الحديثة. واتسمت الدبلوماسية بصفات وسمات إقتضتها الظروف الدولية القائمة آنذاك، حيث كانت تجمع كما يقال بين فن الممكن، وفن التوفيق، وفن الاكراه، كما أنها كانت تجمع بين السرية والتجسس واستعراضات القوى العسكرية والدعاية. كذلك إتصفت الدبلوماسية بأنها محدودة النطاق، وأدواتها في التأثير محدودة إذ غالباً ما كانت القوة العسكرية وأساليب التآمر هي الوسيلة المستخدمة في الدفاع عن المصالح القومية للدول في مواجهة بعضها البعض. لقد كانت السرية والعوامل الشخصية صفات تؤثر بوضوح على الدبلوماسية التقليدية (١٢).

لقد كانت الدبلوماسية الثنائية الأطراف الأساس في العلاقات الدولية، ويعتبر أجتتماع نابليون مع الكسندر الأول قيصر روسيا في مطلع القرن التاسع عشر، والذي انتهى بتوقيع معاهدة «تيلستا» أحد أهم مؤتمرات القمة التي عقدت آنذاك، حيث أتفق فيها على تقسيم أوروبا بينهما. كما أن أجتتماع بسمارك وكافور والذي مكنها أن ينجزا الأهداف الخاصة في الوحدة الألمانية والإيطالية عن طريق الدبلوماسية الشخصية والحرب المحدودة من أهم مؤتمرات القمة أيضا (١٣).

لقد أخذ التباين بين تقاليد الوظيفة الدبلوماسية والعصر الصناعي الجديد يتبلور تدريجيا وببطيء. وبالرغم مما وصلت اليه الدبلوماسية التقليدية من مكانة وعلو شأن

إلا أن الجهود التي بذلت لتحقيق السلام والأمن الدوليين من خلالها كانت جهوداً عابرة وضعيفة ولم تحقق الاستمرار، نظراً لأن الدول لم تنجح قبل عام ١٩١٤م في التوصل إلى إقامة تنظيم دولي ثابت وفعال، يقوم على أساس من المصالح المشتركة، ويساعد على تسوية المنازعات الدولية بالطرق السلمية. لقد اكتوى العالم بعواقب سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة بعد انفجار الأوضاع الدولية عام ١٩١٤م. مع قيام الحرب العالمية هذا العام ومن ثم إنتهاؤها بانتصار الحلفاء أعداء المانيا وتركيا، كانت الدبلوماسية التقليدية محط هجوم العديد من المفكرين والفلاسفة والساسة^(١٤). ومع ذلك لم تمنع هذه الأمور من الاعتماد عليها في العلاقات الدولية. لقد بُقيت الدبلوماسية سرية الطابع ووصولية المنهج والوسائل وظهر ذلك بوضوح عام ١٩١٨م حين نشر الإتحاد السوفيتي الإتفاقيات السرية التي عقدها الحلفاء في عام ١٩١٥ - ١٩١٦م حول توزيع الغنائم فيما بينها بعد النصر على المانيا، مما حدا بالرئيس الأمريكي «ويلسون» إلى عدم الاعتراف بمعاهدة لندن السرية، وطلب استبدالها بمعاهدات مكشوفة وصریحه.

لقد جاء في المادة الأولى من الرسالة التي تعبر عن آرائه بهذا الصدد والمؤلفة من أربعة عشر نقطة التي وجهها في ٨ يناير ١٩١٨م (تعقد اتفاقيات الصلح بصورة مكشوفة، ولن يقوم بعدها اتفاقيات دولية خاصة مهما كان نوعها، كما ان الدبلوماسية ستجرى دائماً بصراحة وعلنية). نتيجة لهذا الموقف جاءت المفاوضات المتعلقة بمعاهدة فرساي التي انتهت الحرب معلنة عن عهد جديد في الدبلوماسية وانتقالها من السرية المطلقة إلى العلنية^(١٥).

ونتيجة لمعاهدة فرساي في عام ١٩١٩م نشأت منظمة عصبة الأمم والتي تمثلت مهمتها الأساسية في ضمان السلم والأمن الدولي. وعلى الرغم مما نص عليه ميثاقها فلقد أثبتت الوقائع أن معاهدة فرساي التي أنشأتها لم تكن كافية وبالتالي أبرمت الدول الأعضاء معاهدة أخرى تنص على تحريم الحرب في ميثاق (بريان وكيلوج) وذلك في ٢٧ أغسطس عام ١٩٢٨م، حيث وقعت عليه أكثر من ستين دولة في خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية^(١٦). ومن ناحية أخرى أيدت عصبة الأمم

مبدأ العلنية وذلك عن طريق الزامها، وأوجبت على جميع الدول تسجيل كافة المعاهدات والاتفاقيات الدولية لكي تصبح نافذة المفعول بحق بعضهم البعض^(١٧).

كذلك شرعت الولايات المتحدة وبريطانيا بالابتعاد عن الدبلوماسية السرية، اذ عمدت حكومتاهما إلى عرض المعاهدات على شعبيهما بالاضافة إلى ضرورة اقترانها بموافقة السلطة التشريعية لكي تصبح نافذة، كما تخلتا عن اضافة مواد سرية إلى المعاهدات العلنية. وبالاضافة عقدت مؤتمرات قمة عالمية حيث اجتمع الأربعة الكبار (ويلسون، كليمنصو، لويد جورج، أورلاندو) واسهموا بجهد بارز في التحضير لمعاهدات الصلح وتسويات السلام. كما تكررت اللقاءات بين هتلر وموسوليني والتي انتهت بالتنسيق بين سياساتهما ومخططاتهما التي انبثق عنها التحالف المعروف بينهما وبين اليابان^(١٨).

لقد ظلت الأوضاع العالمية على ما هي عليه بعد الحرب العالمية الأولى، واستمرت ممارسات الدبلوماسية التقليدية في كثير من الأحيان. واستطاعت بعض الدول ذات الحكومات النازية والفاشية زعزعة الاستقرار الدولي بالاعتماد على الأساليب التقليدية وغيرها من الأساليب الثنائية أو المتعددة الأطراف^(١٩).

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م ثم انتهائها عام ١٩٤٥م والذي صاحبه قيام الأمم المتحدة وأنقسام العالم إلى دول أعظم، وكبرى، ومتقدمة ونامية دخلت الدبلوماسية في طور ومرحلة جديدة، وبرزت سمات وخصائص مميزة كانت دليلاً واضحاً على أهمية أثر الوقائع الدولية وبالذات التقدم التكنولوجي والاختراعات العلمية الحديثة عليها^(٢٠).

الهوامش

- (١) أحمد عبد المجيد، المصدر السابق، ص ٢٢ - ٢٣.
- (٢) الدكتور/ فاضل زكي محمد، المصدر السابق، ص ١٧ - ١٨.
- (٣) الدكتور/ باسل الخطيب، «الدبلوماسية المتعددة الأطراف والمنظمات الدولية»، مجلة الدراسات الدبلوماسية، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد الرابع، (١٩٨٧)، ص ٣٩.
- (٤) جمال بركات، «أضواء على الدبلوماسية المعاصرة»، مجلة الدراسات الدبلوماسية، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد الثالث، (١٩٨٦)، ص ٣٧ - ٤٠.
- (٥) أحمد عبد المجيد، المصدر السابق، ص ١٣.
- (٦) الدكتور/ فاضل زكي محمد، المصدر السابق، ص ١٧ - ١٨.
- (٧) نفس المصدر، ص ١٧ - ٣٨.
- (٨) الدكتور/ ابراهيم محمد العناني، المصدر السابق، ص ١٤٧ - ١٤٨.
- (٩) نفس المصدر، ص ١٤٧ - ١٤٨.
- (١٠) جمال بركات، المصدر السابق، ص ٣٧ - ٤٠.
- (١١) الدكتور/ جلال يحيى، تاريخ العلاقات الدولية. (دمشق: دار المعارف، ١٩٨٠)، ص ٢٧٠.
- (١٢) الدكتور/ سموحي فوق العادة، المصدر السابق، ص ١٣.
- (١٣) الدكتور/ اسماعيل صبري مقلد، المصدر السابق، ص ٣٨٠.
- (١٤) الدكتور/ سموحي فوق العادة، المصدر السابق، ص ٣٩.
- (١٥) الدكتور/ اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية والدولية. (الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٩)، ص ٤٠٣.
- (١٦) الدكتور/ ابراهيم العناني، المصدر السابق، ص ١٣.
- (١٧) نفس المصدر، ص ١٣ - ١٥.
- (١٨) الدكتور/ سموحي فوق العادة، المصدر السابق، ص ٣٩.
- (١٩) الدكتور/ ابراهيم العناني، المصدر السابق، ص ١٣.
- (٢٠) أحمد عبد المجيد، المصدر السابق، ص ٢٥٢.

الدبلوماسية الحديثة وأثر التكنولوجيا

يتحلى كل عصر تاريخي بمميزات وخصائص تختلف عما سبقه من العصور في العديد من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية. ولقد انبثق النظام السياسي الدولي المتعارف عليه اليوم من النظام السياسي الأوروبي الذي ظهر في أعقاب إنهيار نظام الاقطاع في أوروبا نتيجة للمناخ الحضاري والسياسي والاجتماعي الجديد الذي هبأه عصر النهضة وما أعقبه من محاولات للإصلاح الديني التي هزت الفكر السياسي لأوروبا.

جاء هذا التنظيم الدولي الجديد بعد بروز عدة ظواهر سياسية يمكن القول أنها لم تكن بالصورة التي نراها أمامنا اليوم، إلا أن ظهورها أتى بعد تطور الإنسان وتبلور مفاهيمه وتوسعها نتيجة للوعي والفكر والتقدم التكنولوجي^(١).

قامت الحرب العالمية الأولى التي عانت المجتمعات الأوروبية من آثارها، ثم نشأت عصبة الأمم في عام ١٩١٩م أثر انتهاء الحرب . وأدى فشل جهودها إلى قيام الحرب العالمية الثانية نتيجة لعدة عوامل منها الأطماع الذاتية لبعض الحكومات، وعدم خروج الولايات المتحدة الأمريكية من عزلتها السياسية إلى جانب عدم جدية الغرب في دعم الأسلوب الديمقراطي كنموذج يحتذى به في التعامل الدولي. لكن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية برزت عدة ظواهر جديدة على الساحة الدولية منها تعدد الدول الحديثة الاستقلال وقيام الأمم المتحدة كهيئة ومنظمة عالمية على غرار عصبة الأمم.

ونظراً للتقدم التكنولوجي في وسائل الإتصال والمواصلات والعلوم العسكرية، وما أحدثته التكنولوجيا المعاصرة من دور بارز وواضح في تشكيل الرأي العام العالمي، أصبحت هناك محصلات مختلفة حتمت على المجتمع الدولي الإنتقال إلى عصر جديد، عصر تطورت فيه الكثير من المفاهيم السياسية والإقتصادية والإجتماعية. من هذا المنطلق تأثرت السياسة الخارجية والدولية للكثير من البلدان، وبالتالي كان لابد للوسيلة الأهم في العلاقات الدولية أي الدبلوماسية من التأثير والتطور بشكل مغاير عما كانت عليه قبل هذه القرن^(٢).

يثور التساؤل كثيرا عن الظواهر الجديدة التي غلبت على العصر الحديث والخصائص التي تميزه عن غيره، كما يثور التساؤل أيضا عن الظواهر الجديدة التي طرأت على الدبلوماسية الحديثة ومدى ارتباطها بالتقدم العلمي المذهل والأختراعات الحديثة.

وبالنظر إلى أن الهدف الأساسي من هذا البحث تقييم الأثر الذي تركته التكنولوجيا على النظام الدولي المعاصر ثم على الدبلوماسية الحديثة وذلك بمقارنتها أولاً بالدبلوماسية التقليدية ومن ثم ذكر الأبعاد الإيجابية والسلبية لها من خلال تقييم أثر التكنولوجيا عليها كوسيلة ومهنة، يمكن القول أن أهم الخصائص التي تميز هذا العصر عن غيره من العصور تتمثل في الآتي :-

(أ) تميز القرن العشرين بتعدد المنظمات الدولية وأنواعها من حيث الاختصاصات والوظائف والميادين التي تمتد أوجه أنشطتها إليه. وقامت أولا عصبة الأمم ثم قامت منظمة الأمم المتحدة كهيئات عالمية ووسائل إتصال هامه تسعى الدول من خلالها إلى بحث قضاياها اعتماداً على وسائل تبتعد في جوهرها عن استخدام القوة^(٣).

لقد كان الأمل من هذه التنظيمات (العالمية الطابع) أن تكون خير ماتوصلت إليه الدول الحرة من اتفاق على تحقيق الأمن الدولي بالتشاور والتفاوض وعدم اللجوء إلى القوة، وتحقيق التعاون الإقتصادي والإجتماعي بعد أن تعددت الوحدات السياسية التي قامت على أساس الدولة القومية واتسع

دور الحكومات التي تحرص دوماً على استقلالها السياسي والإقتصادي وتسعى إلى تحسين أوضاعها وأوضاع شعوبها من خلال برامج التنمية المختلفة وحشد طاقاتها ومواردها الوطنية لخدمة ذلك.

وكمثال تعتبر منظمة الأمم المتحدة ميداناً خصباً لممارسة نوع هام من أنواع الدبلوماسية، وهو الدبلوماسية المتعددة الأطراف، وميداناً آخر لمزاولة الدبلوماسية العلنية بعد تراجع الاهتمام بالدبلوماسية الثنائية الأطراف، السرية الطابع لما سببته من مآسي وكذلك بسبب إتساع شهرة المبادئ الديمقراطية الغربية. نتيجة لهذه العوامل اتسعت دائرة الحوار والتعايش والتعاون الدولي على كافة المستويات بعد أن ساعدت الحروب السابقة على تفسخ العديد من الامبراطوريات الإستعمارية ونشأ العديد من الدول الجديدة وأستقلال الكثير منها. ولقد بلغ عدد الدول المستقلة في عام ١٤٤١م ٥٠ دولة، ووصل العدد إلى ٩٤ دولة بعد الحرب العالمية الثانية، كما وصل عدد الدول المستقلة إلى ٢٠٤ دولة في عام ١٩٨٠م، وأرتفع عدد الدول التي أنضمت إلى عضوية الأمم المتحدة من ٥٠ دولة عام ١٩٤٥م إلى ١٥٩ دولة عام ١٩٨٦م^(٤).

أما تعداد المنظمات، فلقد ارتفع من ٨٠ منظمة حكومية و ٥٠٠ منظمة غير حكومية في عام ١٩٤٠ إلى ٢٨٠ منظمة حكومية و ٢٤٧٠ منظمة غير حكومية في عام ١٩٧٢م. ووصلت نسبة المنظمات المتخصصة في الاقتصاد إلى ٧٠٪ من المجموع العام. كما وصلت نسبة المنظمات المتخصصة في الأمور الاجتماعية والحضارية والثقافية إلى ٢٣٪. ووصلت نسبة المنظمات المتخصصة في الأهداف السياسية والأمنية إلى ٧٪ من المجموع العام^(٥).

(ب) الإقتناع العام لدى الدول بأن العلاقات الدبلوماسية والمفاوضات هي خير بديل لخيار الحرب، والتي لا يمكن إلا أن تكون وبالاً على مصالح الدول جميعاً. أن استخدام الحرب كأداة للسياسة القومية لم يعد مقبولاً على أساس أن هناك بدائل ممكنة للوصول للتسويات السلمية يمكن الأحتكام إليها. ولقد وصف جون فوستر دالاس - وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية سابقاً - بأن الدبلوماسية خط الدفاع الأول للدول ضد الأخطار الخارجية حيث تعتبر الدبلوماسية خير وسيلة لحماية الإنسان من تدمير نفسه بنفسه^(٦).

(ج) إنتشار ظاهرة الرأي العام الوطني والدولي سهولة معرفة القرارات الوطنية والدولية نظراً للتقدم التكنولوجي في وسائل الأتصال العصرية. وكان من نتائج ذلك عدم إمكان عزل الناس فكرياً أو نفسياً لتشابك العلاقات الدولية حيث أصبحت الأحداث العالمية تؤثر وتتأثر بردود الفعل المحلية والأقليمية والدولية. لقد إستطاعت أساليب الأتصال والمواصلات الحديثة أن تلغي إلى حد كبير تأثير العوامل الطبيعية والمسافات التي كانت تحول في السابق دون تقارب الدول وتفاعليها مع بعضها البعض. كما ساعدت وسائل الاتصال الجماهيري على تثبيت المبادئ والقيم الخلقية والأجتماعية والمحافظة عليها والتي بدورها يسرت التعريف بمشاكل المجتمعات وتعريف الشعوب بالسياسات والأجراءات التي تتبعها حكوماتها (٧).

(د) انتشار ظاهرة الأحلاف الجماعية نتيجة لحرص الدول على صيانة أمنها القومي مما دفعها إلى الاحتماء بمظلة القوة تحت شعارات الأمن الاقليمي أو الجماعي، الأحلاف العسكرية ومواثيق ومعاهدات الدفاع المشترك خصوصاً في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. لقد أصبحت هذه الأحلاف جزءاً من هيكل السياسة الدولية المعاصرة تؤكد معنى التضامن بين أعضائها، سواء كانت هذه الأحلاف عسكرية أو شاملة لمضامين العلاقات الدولية الأخرى سواء كانت ذات أهداف اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية أو تجارية. ومن الظواهر الجديدة في هذه الأحلاف ظاهرة عدم الانحياز التي بدأت في النصف الثاني من القرن العشرين لتدعيم العلاقات الدولية على أساس من التضامن الحقيقي وعدم الأنطواء تحت هذا المعسكر أو ذاك، الأمر الذي منح مجموعة الدول هذه، وجلها صغيره، مرونة دبلوماسية واستقلالا أكبر في مواجهة القوى والتكتلات الدولية الكبرى. كما برزت كذلك ظاهرة الأحلاف الإقتصادية مثل جماعة السوق الأوروبية المشتركة التي كان الهدف من إنشائها إيجاد سوق للتجارة الحرة داخل الدول الأعضاء عن طريق الغاء الرسوم الجمركية تدريجياً على الصادرات والواردات وأنقاد الأمر أخيراً الى اتخاذ سياسات موحد في الشؤون التي تعتبر ذات صلة اكبر بالمصالح الداخليه لهذه الدول (٨).

ولكن ماذا عن التقدم التكنولوجي – وكيف أسهم هذا التقدم في تطوير الدبلوماسية في القرن العشرين كمهنة وأداة اتصال دولية وبشكل أصبحت تعرف به على أساس أنها حديثة في مقابل ما كانت تتصف به قبل هذا القرن وأدى إلى اعتبارها تقليدية؟ لمعرفة ذلك لا بد من إيضاح عناصر تلك الدبلوماسية التقليدية ومن ثم تقييم دور التكنولوجيا الذي أسهم في جعلها «دبلوماسية حديثة».

لقد تميزت الدبلوماسية التقليدية بخصائص في أسلوبها ومضمونها، فهي وأن كانت تجمع بين فن الممكن وفن التوفيق وفن الاكراه فلقد كان جوهرها يعتمد على ثنائية الاتصال وسريته وعلى جمع المعلومات عن طريق التجسس والوصول إلى الأهداف اعتماداً على القوة أو على القدرات واستعراضات القوى العسكرية والدعاية واعتمادها على العلاقات والعوامل الشخصية والعلاقات الشخصية للقادة والصفوات الاجتماعية المحيطة بهم.

ومن ناحية أخرى اقتضت مزاولة المهنة الدبلوماسية على نخبة من البعثات الارستقراطية والغنية لا يعال عليها في التفاوض الا أثناء أو بعد قيام الأزمات الدولية. وبسبب غياب الوسائل التي تسهل عملية الاتصال بين ميدان العمل والوطن كانت عملية صنع القرار تتأخر الأمر الذي أتاح للسفير نوعاً من حرية الحركة بل واتخاذ القرار خصوصاً إذا كان من المقربين إلى رئيس دولته^(٩).

بالمقارنة وبسبب قوة الاتصال والمواصلات أصبحت الدبلوماسية الحديثة مهنة أكثر تنظيماً وموضع احترام جميع الدول لأنها كانت الأسلوب الذي يؤدي إلى التشاور والتفاوض السريع والذي قد يجنب اللجوء إلى خيار الحرب ويساهم في تعزيز الأمن والسلم الدوليين. وإلى جانب ذلك ساعدت وسائل الاتصال في نقل المهنة الدبلوماسية من وسيلة اتصال سرية إلى وسيلة اتصال علنية ومفتوحة بسبب سرعة وسهولة اطلاع المجتمع الدولي عما يحدث في أرجاءه حيث أخذت الدول تولى الاتصالات المتعددة الأطراف اهتماماً يساوى أو يفوق اهتمامها بالاتصالات الثنائية الأطراف. كذلك لم تعد مزاولة المهنة الدبلوماسية تقتصر على الطبقات الارستقراطية والغنية وإنما أصبحت مهنة مفتوحة لكل من تتوفر فيه الشروط العالية أو الفنية أو القدرة على الأداء. لقد أصبحت

الدبلوماسية الحديثة جيدة التنظيم لا يقتصر الاعتماد عليها فقط عند قيام أو نشوب أزمة دولية، كما تعددت مستويات مزاولتها لفئات وادارات هامة اخرى في الدولة وبشكل لم يعد فيه التفاوض حكراً على السفير المعتمد كما كان الأمر عليه سابقاً (١٠).

لعبت التكنولوجيا ولازالت دوراً واضحاً وملموساً في تغيير مسار الدبلوماسية منذ أن قامت النهضة الصناعية وحتى يومنا هذا. لذلك يمكن القول ان هذا التأثير بدا واضحاً على الكثير من الخصائص التي اتسمت بها الدبلوماسية خصوصاً في القرن العشرين. ويمكن معرفة هذا الدور عند تقييم الخصائص والسّمات الجديدة للدبلوماسية الحديثة وما لها من أبعاد إيجابية وسلبية أسهمت التكنولوجيا في بلورة كل هذه الأبعاد.

أولاً: التأثيرات الإيجابية :

تتمثل التأثيرات الإيجابية للتكنولوجيا على مضمون الدبلوماسية الحديثة فيما يلي:—

— لقد أحدث التقدم العلمي والاختراعات العلمية الحديثة في وسائل الاتصال السريع والفوري والمواصلات اثاره بحيث اصبحت الدبلوماسية أكثر تماسكاً وترابطاً وانسجاماً.

لقد مضى الوقت الذي كان فيه الدبلوماسي يسافر إلى عمله بالبر أو البحر ويستغرق سفره عدة أسابيع أو شهور حيث أخذت رحلته هذه الأيام وبفضل التقدم في وسائل النقل الجوية لا تستغرق أكثر من ساعات معدودة.

— زاد التقدم التكنولوجي في وسائل المواصلات من سرعة تحرك القيادات السياسية والدبلوماسية من ملوك ورؤساء ووزراء خارجية في الانتقال وممارسة الدبلوماسية على أعلى المستويات للاشتراك في المؤتمرات الدولية، مما كان له الأثر الواضح والكبير في تعداد وزيادة ظاهرة اجتماعات القمة، ومزاولة الدبلوماسية المتعددة الأطراف أو الثنائية بشكل لم يسبق له مثيل (١١).

لقد شاعت ظاهرة مؤتمرات القمة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية أكثر من ذي قبل وحتى الآن أعطت هذه الاجتماعات بعض النتائج حيث ساعد

الاتصال الشخصي في كثير من الأحيان على تعزيز الصداقات الدولية وخلق الأجواء الملائمة للتفاهم وبشكل تم خلاله تجنب إضاعة الوقت في انتظار نتائج الاتصالات التي تتم عبر الإجراءات البروتوكولية المعتادة. وعلى سبيل المثال ودلالة على أهمية هذا النوع من اللقاءات التي تتيح تخفيف حدة التوتر الدولي نجد أن اجتماعات القمة بين رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي في السنوات القليلة الماضية قد وصلت إلى أحد عشر اجتماعاً كانت كلها إما للتعاون بين البلدين أو للحد من تفاقم المشاكل التي قد تهدد العالم بأجمعه (١٢).

— لقد تغيرت طبيعة وظيفة الدبلوماسي ومهامه، وغدا مجال الوظيفة متشعباً بعد أن أصبح شاغلها مطالباً بمعلومات دقيقة وبيانات اقتصادية، ثقافية، علمية، وعسكرية ذات طابع فني ودقيق نظراً للتقدم العلمي في مجال توفير المعلومات. لقد اقتضى ذلك زيادة عدد أعضاء البعثة وأصبحت السفارات وكجزء حيوي لادائها الأمثل للوظيفة السياسية تعتمد على وجود أقسام متخصصة يرأسها فنيون وخبراء في الشؤون العسكرية والاقتصادية والاعلامية والثقافية والاجتماعية والعلمية (١٣).

— لعبت الاتصالات والمواصلات الحديثة دوراً هاماً في جعل الاجتماعات الدبلوماسية تحضر تحضيراً فعالاً يزيد من احتمال نجاحها، وإلى ازدياد وأشتراك الهيئات المتخصصة في أية دولة في ميدان الدبلوماسية بحيث لم تعد المفاوضات مقصورة على وزارة الخارجية فقط، وإنما أصبح هناك مفاوضات في المسائل الفنية والاقتصادية أو الاعلامية يقوم بها أناس متخصصون في هذه الحقول سواء بالاشراف المباشر لوزارة الخارجية أو بالاستقلال عنها. لقد أخذت الكثير من هذه المؤسسات أو الإدارات أو الوزارات نصيباً واضحاً في عملية القرار السياسي وأصبح اسهامها في تنفيذ السياسة الخارجية للدولة أمراً منطقياً لاجدال فيه (١٤).

— أثرت التكنولوجيا على الدبلوماسي بأن اضطرت له لتوسيع مداركه ومهاراته العالية والفنية، فاشتطت عليه لكي يكون مفاوضاً ناجحاً أن يلم بالصناعات السلمية والعسكرية وأصبح يقوم بالتحليل السياسي القائم على الطرق العلمية الحديثة،

وأصبحت الوظيفة الدبلوماسية وظيفة فنية الطابع في كثير من الأحيان بحيث امتست مصائر ومصالح الأمم رهينة مهارة الدبلوماسيين على التفاوض وقدرتهم على جمع وهضم المعلومات وتحليلها وتقديمها بالسرية الممكنة عبر التوصيات المرفوعة للمراجع العليا. ويؤيد هذا الرأي بشدة كلمة مشهورة قالها لورد بلاودن « PLOWDEN » لم تعد لبريطانيا لا الأساطيل ولا القوة العسكرية التي تحمي بها مصالحها، كما كان الحال في عصر الامبراطورية بل لقد أصبح الآن الحفاظ على هذه المصالح وحمايتها وتنميتها متوقفا بالدرجة الأولى على كفاءة وقدرة دبلوماسيها في الداخل والخارج (١٥).

يسرت التكنولوجيا المتقدمة في وسائل الاتصال للدبلوماسي الاتصال بحكومته في ثوان معدودة كما أن الدبلوماسي نفسه لم يعد الوسيلة الوحيدة لنقل الأخبار والمعلومات لحكومته بل أصبحت الصحافة ووكالات الأنباء العالمية بقدراتها الهائلة أسهل وأقدر على متابعة الأخبار، وأصبح الدبلوماسي شخصياً يستفيد منها. كما ساعدت الأقمار الصناعية على تزويد المعلومات عن مواقع الأطراف العسكرية المتنازعة في ساحة القتال وعملت هذه الأقمار على رصد مراكز حشود وتجمعات القوى المسلحة (١٦).

ساعدت التكنولوجيا الحديثة على تطور الدبلوماسية الحديثة عن طريق تشجيع أسسها العلنية وأضفاء الطابع الأخلاقي والأنساني على اية مفاوضات مما أضفى عليها نوعاً من المرونة في التعامل (١٧).

عملت المواصلات الحديثة على احتواء الكثير من الأزمات وسهلت الانتقال بين أطراف النزاع في فترة وجيزة للاستماع إلى وجهة نظر الأطراف المتنازعة والتقريب بينها، وأطلق البعض على هذا النوع من التحركات دبلوماسية المكوك « SHUTTLE DIPLOMACY » حيث يقوم مبعوث خاص بالانتقال بين مراكز الصراع بصورة متكررة بقصد احتواء الموقف من الانفجار. ويعتبر وزير الخارجية الأمريكي السابق هنري كيسنجر أول من قام بعمل كهذا ابان منصبه في عهد الرئيس الأمريكي نيكسون في السبعينات من هذا القرن، وتمثلت رحلاته المكوكية في زيارته المتعددة لأطراف النزاع في الشرق الأوسط على

متن طائرة البوينج «سام رقم ٨٦٩٧٠» والتي أحتوت على أحدث ماتوصلت إليه تكنولوجيا الاتصالات السلكية واللاسلكية والكمبيوتر حينئذ حيث يتسنى له الاتصال بالبيت الأبيض وبرؤساء دول أطراف النزاع عبر جميع الأجواء (١٨).

— عملت التكنولوجيا المتقدمة في وسائل الاتصال على تخفيف حدة التوتر الدولي بين الدول المهيمنة على الساحة الدولية عن طريق الاتصال الفوري المباشر والتشاور حتى لا يتفاقم الخطر ويحدث ما لا تحمد عقباه. وتمثل ذلك في إنشاء «الخط الأحمر» أى الهاتف المباشر الذي يتيح لكل من الرئيسين الأمريكي والسوفيتي الإتصال ببعضهما البعض في أوقات الضرورة. واستخدم هذا الخط في الأزمة الكوبية عام ١٩٦٢ وفي الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٦٧م (١٩).

ثانياً: التأثيرات السلبية :

أما الآثار السلبية للتأثير التكنولوجي على الدبلوماسية الحديثة تتمثل فيما يلي:—
— الالتجاء إلى الدبلوماسية العلنية قد يؤثر على سير المفاوضات وقد يؤدي إلى التقلب في المواقف، الأمر الذي قد يدفع إلى اللجوء إلى الدبلوماسية السرية مرة أخرى سواء الثنائية أو المتعددة الأطراف لحل المشاكل الدولية خوفاً من الضجيج الاعلامي الذي قد يؤثر في سير المفاوضات ومصالح الدول.
وقد صرح الأمين العام السابق للامم المتحدة «داج همرشولد» في البرلمان البريطاني بأن التجربة الطويلة قد أثبتت أن المفاوضات العلنية والمكشوفة قلما تؤدي إلي نتائج ملموسة وأن المفاوضات بواسطة الطرق الدبلوماسية هي أفضل وسيلة لحل القضايا الخطيرة والمستعصية — ولا سيما القائمة بين الكتلتين الشرقية والغربية — لذلك لا بد من الإبقاء على الدبلوماسية التقليدية وأيده الكثير في أن تكون المفاوضات في جو سري وهادىء، ثم اعلان النتائج أو الخطوط العريضة لهذه النتائج في الوقت المناسب (٢٠).

— تقليص وسائل الاتصال والمواصلات العصرية من دور السفير في الكثير من الأحيان الأمر الذي أبرز أهمية دور مخططي السياسة الخارجية على تنفيذها (٢١).
— أصبحت عملية جمع المعلومات نفسها أشد تعقيداً وتتطلب مهارات عالية مما أدى

في الكثير من الأحيان إلى إرهاق أعضاء البعثة الدبلوماسية وتعقيد قدراتهم على التحليل والتبسيط في رفع التقارير والتوصيات.

بما أن عملية جمع المعلومات عملية ضرورية وهامة للأمن الوطني لأية دولة، أصبح هناك تداخل في جمع المعلومات المطلوبة بين الدبلوماسية والاستخبارات وعادت الدبلوماسية أحيانا إلى ما كانت عليه قبل القرن العشرين من حيث الخلط بين الطرق المشروعة وغير المشروعة في جمع المعلومات المطلوبة اعتماداً على أعضاء بعثاتها الدبلوماسية. إن عمليات التصنت والتجسس والأجهزة التي تزرع في سفارات الدول لجمع المعلومات لاشك أنها تؤثر على الثقة والمصداقية في المهنة، وعلى العلاقات بين الدول وقد تؤدي إلى القطيعة في بعض الأحيان. وهناك العديد من الأمثلة التي طرد فيها دبلوماسيون متهمون بالتجسس بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وعلى سبيل المثال في أكتوبر ١٩٨٥م. صرح وزير الدفاع الأمريكي «كاسبر واينبرجر» أنه ينوي الطلب من السلطات السوفيتية على تقليل عدد ممثليها من الدبلوماسيين في الولايات المتحدة وذلك لوضع حد لتسرب المعلومات والأجهزة الخاصة بالكمبيوتر والتكنولوجيا المتطورة التي يحصل عليها الاتحاد السوفيتي بواسطة الممثلين في سفاراته في واشنطن، أو ممثليه المعتمدين لدى هيئة الأمم المتحدة، وهو الأمر الذي حدث فعلاً وأدى إلى موجة تقليص وطرده وطرده انتقامي (٢٢).

وفي هذا الصدد يقول «جيري كومنغز» المتحدث باسم المخابرات الكندية أن ٦٠٪ من موظفي القنصليات والهيئات الدبلوماسية في تورنتو بكندا، أعضاء في أجهزة مخابرات دولهم وأن أكثر القنصليات والسفارات نشاطاً في هذا المجال تلك التابعة لدول الكتلة السوفيتية وهناك البعثات الدبلوماسية الهندية والإسرائيلية والكورية الجنوبية والفلبينية، الذين يلهثون وراء المعلومات التكنولوجية إلى جانب التجسس على مواطنيهم في كندا (٢٣).

بسبب تفشي ظاهرة الارهاب على الساحة الدولية، أخذت الدول تلجأ إلى الوسائل والأجهزة الالكترونية التي تحد من انتشاره مما أثر على استخدام الوسائل الدبلوماسية التي تتمتع بالحصانة طبقاً للاتفاقيات الدبلوماسية وقواعد القانون الدولي .

وحيث أن الوقائع أثبتت أن الحقائق الدبلوماسية تتمتع بالحصانة الدبلوماسية قد استخدمت في تهريب الوسائل المستخدمة في عمليات خطف الرهائن والطائرات، أخذت الدول المتقدمة تكنولوجياً تنظر إلى موضوع الإرهاب وموضوع الحقائق الدبلوماسية نظرة أخرى. وإن كانت المادة ٢٧ من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية عام ١٩٦١ في الفقرتين (٢،١) تنص على حرمة المراسلات الرسمية للبعثات الدبلوماسية ولا يجوز فتح الحقائق الدبلوماسية أو حجزها - إلا أن التقدم التكنولوجي ساعد على كشف أسرار هذه الحقائق وتصويرها بدعوى التأكد من خلوها من الأسلحة والمواد الممنوعة. ولاشك في أن هذا الاتجاه لا يحد فقط من فعالية العمل الدبلوماسي ومن توفير الحصانة اللازمة لوسائله لتخدم الغرض منها نتيجة إساءة بعض الممثلين الدبلوماسيين للتسهيلات الممنوحة لهم، بل قد يؤدي بشكل أو بآخر إلى إعادة النظر في اتفاقية فيينا ذاتها وبالتالي الدخول في مرحلة جديدة من المفاوضات الدولية التي ستستغرق وقتاً أطول وتؤثر على طبيعة الدبلوماسية كوسيلة هامة في العلاقات الدولية (٢٤).

الهوامش

- (١) الدكتور/اسماعيل صبري مقلد، المصدر السابق، ص ٤٥.
- (٢) أحمد عبد المجيد، المصدر السابق، ص ٥١.
- (٣) الدكتور/ ابراهيم محمدالعناني، المصدر السابق، ص ١٦٥ - ١٦٦.
- (٤) الدكتور/باسل الخطيب، المصدر السابق، ص ٤٩. (٥) نفس المصدر ص ٤٩.
- (٦) أ.عباس موسى «السياسية والدبلوماسية»، مجلة الدبلوماسية، الرياض : معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد السابع، (١٩٨٦) ص ٢٤.
- (٧) ابراهيم شجر، المصدر السابق، ص ٣٩.
- (٨) الدكتور/ اسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية والسياسة الدولية. (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥)، ص ٣٢ - ٣٣، ص ٤٠٥، ص ٧٢٣ (٩) نفس المصدر، ص ٤٠٥.
- (١٠) أحمد عبد المجيد، نفس المصدر السابق، ص ٥٠ - ٥٤.
- (١١) جمال بركات، المصدر السابق، ص ٣٧ - ٤٦.
- (١٢) الجزيرة (الرياض : المملكة العربية السعودية)، ١٩ نوفمبر ١٩٨٥.
- (١٣) احمد عبد المجيد، المصدر السابق ص ٦٣. (١٤) نفس المصدر، ص ٦٣ - ٦٥.
- (١٥) الدكتور/ محسن عبد الخالق، «الدبلوماسية، صفاته ومصادر معلوماته»، محاضرة لطلبة الدبلوم - بحث غير منشور، الرياض : معهد الدراسات الدبلوماسية، (١٩٨٥ - ١٩٨٦).
- (١٦) جمال بركات، المصدر السابق، ص ٣٧ - ٤٦.
- (١٧) الدكتور/ فاضل زكي محمد، المصدر السابق، ص ٤٣.
- (١٨) جمال بركات، المصدر السابق، ص ٣٧ - ٤٦. (١٩) الجزيرة - المصدر السابق.
- (٢٠) الدكتور/ سموحي فوق العادة، المصدر السابق، ص ٤١.
- (٢١) نفس المصدر، ص ٤٣.
- (٢٢) مجلة المستقبل، (بيروت - لبنان)، ١٢ أكتوبر ١٩٨٥. (٢٣) نفس المصدر.
- (٢٤) جمال بركات، الدبلوماسية ماضيها وحاضرها ومستقبلها. (الرياض : مطابع دار الفرزدق التجارية، ١٩٨٣) ص ٢٩٢ - ٣٠٧.

الخاتمة

الدبلوماسية علم ومهنة اسهمت فيه جميع الحضارات الإنسانية منذ بدء التاريخ. وبمرور الزمن ورسوخ مفاهيم الدولة، أخذ هذا العلم الذي بدأ كأعراف وتقاليد يهتم برعاية العلاقات الدولية ويتطور إلى أن حل القرن التاسع عشر حين أصبحت معالمه واضحة وخصوصاً منذ مؤتمر فيينا لعام ١٨١٥م. لقد بدأت تتضح أبعاد الدبلوماسية كمهنة عريقة وتبرز مزاياها بفعل الأحداث والتطورات التي أصابت المسرح الدولي منذ ذلك الوقت.

ولاشك أن السبب في تعاقب الأحداث التي أثرت على المجتمع الدولي ككل يعود في جزء كبير منه إلى الابتكارات العلمية والتكنولوجية سواء في الحقل الصناعي أو في المجالات العسكرية أو في ميادين الإتصال والمواصلات.

لقد أدت التطورات والتقدم التكنولوجي إلى إيجاد قوى ومؤثرات تحمل في طياتها عناصر الاستقرار وكذلك عدم الاستقرار الدولي. وكان حصيلة ذلك تأثير الفرد في أي مكان وزمان بهذه العناصر وبشكل أثر على قدرته في فهم ابعاد ما يحصل في وطنه ومختلف أنحاء العالم. وبصرف النظر عن طبيعة هذا الفهم سلباً أو إيجاباً، فلقد أمتد هذا التأثير ليشمل معظم النشاطات الخاصة به أو المرتبطة بمجتمعه وعلى كافة الأصعدة.

لقد تسبب التقدم التكنولوجي في ميادين الإتصال والمواصلات في جعل العالم وحدة جغرافية ومعنوية شبه متماسكة، إذ أصبح في مقدور الإنسان أن يتصل بأي مكان في العالم في دقائق وأن يسافر إلى أي بقعة في غضون ساعات. ومما لا ريب فيه أن الدبلوماسية وهي أحد وسائل الإتصال بين المجتمعات الإنسانية قد تأثرت بهذه الحقائق شكلاً ومضموناً. فلقد أصبحت القرارات والتعليمات الصادرة من رؤساء الدول تصل فوراً إلى السفراء وبشكل قلل من حرية السفير ومرونته واستقلاله نسبياً. ومن ناحية أخرى، أتاحت هذه الميزة الفرصة لتأجيج الخلافات الدولية بنفس السرعة

التي أتاحت فيه فرص تنسيق المواقف وتحقيق مصالح الدول التي تربط بينها علاقات ودية. كذلك قللت الإمكانيات التكنولوجية التي تسهل إيصال القرارات بسرعة من الوقت اللازم لدراسة القرارات بهدوء وروية الأمر الذي أصبح يؤدي أحياناً إلى صعوبة في اتخاذ القرارات الحاسمة والمواقف الواضحة التي يمكن أن تحقق أفضل النتائج.

من هنا أضفى التقدم التكنولوجي على الدبلوماسية أبعاداً وأعباء متزايدة جعلها تتسم بخصائص ومزايا جديدة حرص البحث على إبراز بعضها. وما أن قامت الحرب العالمية الثانية التي ادخلت العالم في عصر الذرة حتى وصلت الدبلوماسية إلى مرحلة انتقلت فيه من عصرها التقليدي إلى عصر أصبحت تعرف فيه بالدبلوماسية الحديثة/ المعاصرة. لقد أدى التقدم التكنولوجي منذ قيام هذه الحرب إلى ابتداع وسائل التسليح النووية القادرة على تدمير حضارات بأكملها في ساعات، في نفس الوقت تم فيه ابتداع وسائل نووية وعلمية تتيح إيجاد الحلول للمشاكل التي تعاني منها البشرية. أن الصواريخ المخصصة لعبور القارات وللقتل والتدمير هي نفسها التي يمكن استخدامها في استكشاف الفضاء وفتح آفاق جديدة لبني الإنسان.

لعل أبرز نتائج (التقدم التكنولوجي) تبسيطها وكذلك تعقيدها للسياسة الدولية المسرح الرئيسي للدبلوماسية. وبصرف النظر عن طبيعة التناقضات التي تشكل أحد خصائص هذا التقدم، فلقد أدت التكنولوجيا إلى توسيع دور الحكومات وقدراتها على التحكم بمصائر شعوبها. كذلك ساعد التقدم التكنولوجي في إبراز حاجة المجتمعات الوطنية أياً كانت لتلبية متطلباتها في كافة الميادين الأمر الذي ساعد وبحكم واقع الأمور على قيام ظاهرة التبعية المتبادلة بين شعوب الأرض. وبالإضافة إلى اسهام التكنولوجيا في تنشيط العوامل المؤدية إلى حدوث التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في مختلف مجتمعات العالم، فلقد ساعدت التكنولوجيا على إيجاد السبل التي تسهل من فهم الإنسان لطبيعة المشاكل التي تواجهه وتحيط به. من هنا فرضت وقائع الأمور أن يصبح عنصر التخصص أمراً حيوياً لازماً إذا ما أريد الوصول إلى معالجة أفضل للمشاكل القائمة، لذلك كان لا بد أن تتأثر الدبلوماسية بهذه الظاهرة بدليل حاجة

الدولة المستمرة إلى الخبراء في مختلف المجالات لكي يأخذوا مكانهم بجانب الدبلوماسيين عند قيام أية مفاوضات هامة بين الدول.

لقد حدثت هذه الوقائع وغيرها من قدرة الدبلوماسي على مواجهة مهامه اعتماداً على أساليب الدبلوماسية التقليدية التي أعطته قدراً من الحرية والإستقلال والمبادرة، من هنا لم يعد القرار السياسي حكراً على وزارة الخارجية في أية دولة ولا على وسيلتها الأساسية – الدبلوماسية – بل أصبح القرار السياسي حصيلة إسهام وجهود دوائر وأوساط أخرى تهتم وتشارك في صنع القرار الذي يحقق مصلحة الدولة.

لقد تأثرت الدبلوماسية كذلك وباستمرار بقواعد القانون وبقيام المنظمات الدولية. وما من شك أن هذا الأمر تجلّى بوضوح منذ إنشاء منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م. وحيث أن الهدف الأساسي من هذا التنظيم كان تعزيز التعاون الدولي والعمل الجماعي سعياً وراء تحقيق المصالح المشتركة، فلقد وجدت الدبلوماسية بأوجهها الرئيسية الثنائية أو المتعددة الأطراف في هذه المنظمة (وغيرها) ميداناً خصباً لاستخدامها بشكل هادف وفعال. وإذا كانت التكنولوجيا في مثل هذه المنظمات محط اهتمام جميع دول العالم لعلاقتها بالتنمية الوطنية والتقدم العلمي وكذلك بالتسلح ومنع الحرب، فلقد اكتسبت الدبلوماسية أهمية لم يسبق لها مثيل لأنها أعطت الدول الأعضاء فرصاً جديدة ومستمرة للإتصال والتشاور والتفاوض جرياً وراء الحلول اللازمة للعقبات القائمة.

لقد تطرق البحث في ثناياه إلى أثر التكنولوجيا على الدبلوماسية كمفهوم في العلاقات الدولية وكمهنة ذات وظائف ومهام محددة. ولعل النتيجة الرئيسية التي يمكن استخلاصها هي أن العلاقة قائمة وستبقى، كما أن التأثير حاصل وسيستمر بشكل مباشر وغير مباشر. أن الدور الذي تلعبه التكنولوجيا في تقدم الإنسان أمر لا يمكن تجاهله بنفس القدر الذي لا يمكن فيه صرف النظر عن امتداد العلاقات ووثوقها بين المجتمعات الإنسانية وكياناتها السياسية والتي تشكل الدبلوماسية وسيلة الإتصال الرئيسية فيها.

وبالنظر إلى هذه الحقائق، وفي هذه الأيام التي نعيش فيها على أعتاب عصر

استكشاف الفضاء تدور في الذهن تساؤلات عديدة تطرح نفسها بقوة، ماهي الأعباء الإضافية التي ستحملها الدبلوماسية عندما يتيح التقدم العلمي للإنسان استعمار الكواكب الأخرى؟ وإذا بقيت التكنولوجيا حكرًا في أيدي الدول المتقدمة التي ستتعلم بمقدرات جديدة آنئذ، فهل يعني هذا أننا أمام عصر «دبلوماسية الفضاء» وأن دبلوماسية اليوم حديثة كانت أم معاصرة ستكون وقفًا على الدول النامية والمتخلفة؟

هذه أسئلة سيكون الزمن كفيلاً بسبر أغوارها وكشف مضامينها والأمل أن يكون ذلك في الوقت المناسب.

المراجع العربية

الكتب :

- الدكتور/ ابراهيم محمد العناني. التنظيم الدولي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢.
- أحمد عبد المجيد، أضواء على الدبلوماسية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.
- الدكتور/ أدونيس العكر. من الدبلوماسية إلى الإستراتيجية، الطبعة الأولى. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨١.
- الدكتور/ اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، الطبعة الثانية، الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٩.
- الدكتور/ اسماعيل صبري مقلد. الإستراتيجية والسياسة الدولية، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥.
- انطوان زحلان. البعد التكنولوجي للوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣.
- جمال بركات، الدبلوماسية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الطبعة الأولى، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٨٥.
- الدكتور/ جلال يحيى. تاريخ العلاقات الدولية. دمشق: دار المعارف، ١٩٨٠.
- الدكتور/ سموحي فوق العادة. الدبلوماسية الحديثة. دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٧٣.
- الدكتور/ فاضل زكي محمد. الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، الطبعة الثالثة بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٧٣.
- مصطفى طيبه. الثورة العالمية والتكنولوجية والعالم العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣.

الدوريات :

- الأستاذ/ ابراهيم محمد شجر. «الإتصال». محاضرة لطلبة الدبلوم. الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، الفصل الدراسي الثاني، ١٩٨٦.
- الدكتور/ باسل الخطيب. «التكنولوجيا والعالم الثالث»، مجلة الدراسات الدبلوماسية، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد الأول، ١٩٨٤.

الدكتور/ باسل الخطيب. «الدبلوماسية المتعددة الأطراف والمنظمات الدولية» مجلة الدراسات الدبلوماسية الرياضية: معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد الرابع ١٩٨٧، ص ٣٨ - ٦٣.

الأستاذ/ صلاح الدين صبري «الإعلام الخارجي ودور الدبلوماسية». مجلة الدبلوماسي، جدة: معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد الأول، ١٩٨١.

الأستاذ/ عباس موسى. «السياسة والدبلوماسية». مجلة الدبلوماسي، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد الثالث، ١٩٨٦.

الدكتور/ محسن عبد الخالق. «الدبلوماسي - صفاته ومصادر معلوماته». محاضرة لطلبة الدبلوم، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، ١٩٨٥ - ١٩٨٦.

الدكتور/ محسن عبد الخالق. «دبلوماسية الدولة» مجلة الدراسات الدبلوماسية، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، العدد الأول، ١٩٨٤.

الدكتور / محسن عبد الخالق «القوة» محاضرة لطلبة الدبلوم، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية ١٩٨٦م.

الدكتور/ محسن عبد الخالق. «علم السياسة». محاضرة لطلبة الدبلوم، الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، ١٩٨٥ - ١٩٨٦.

المجلات :

المجلة (لندن - بريطانيا)، ٢٧ نوفمبر - ٣ ديسمبر ١٩٨٥م.

المستقبل (بيروت - لبنان)، ١٢ أكتوبر ١٩٨٥م.

الجرائد :

الجزيرة: (الرياض - المملكة العربية السعودية)، ١٩ نوفمبر ١٩٨٥م

الرياض: (الرياض - المملكة العربية السعودية)، ١١ ديسمبر ١٩٨٥.

الرياض: (الرياض - المملكة العربية السعودية)، ١٣ ديسمبر ١٩٨٥.

المراجع الأجنبية :

1 - Feltham, R G. Diplomatic Hand Book: Third Edition. New York: Longman Group Limited, 1980.

2 - Kissinger, Henry. Years Of Upheaval. Boston: Little Brown and Company, 1972.

3 - Watson, Adam. Diplomacy. London: The Chaucer press Ltd. 1982.

البحر الأحمر
والأمن القومي العربي

**«البحر الأحمر والأمن
القومي العربي»**

إشراف الأستاذ
عباس موسى مصطفى

إعداد الدارس
هشام مشعل السويلم

مقدمة

اكتسب البحر الأحمر اسمه من المتغيرات اللونية،
فبالرغم من أن لونه أزرق مخضر إلا أنه تتكاثر فيه كثير من
الطحالب التي تكسبه لوناً محمراً بعد موتها، فالبحر الأحمر
واحد من أهم البحار العالمية وبحكم موقعه الجغرافي الهام
كان على مسار التاريخ ومازال قبلة أنظار العالم بصفة عامة
والدول العربية المطلة على مياهه بصفة خاصة.

وكان افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية عام ١٨٦٩م
ايذاناً بتحويل البحر الأحمر من بحيرة مغلقة إلى شريان
بحري حيوي هو جزء من أقصر وأسرع الطرق بين الشرق
والغرب توافرت له سمات خاصة جعلته دائماً محوراً رئيسياً
تتحرك حوله صراعات الدول الكبرى تحقيقاً لمصالحها
الاقتصادية والسياسية والعسكرية وتلاطم فيه أمواج
النزاعات الاقليمية حول الحدود والمطالب القومية.

وبتفجير البترول في منطقة الخليج العربي اكتسب
البحر الأحمر قيمة استراتيجية متزايدة جعلته حلبة
للتنافس بين القوى العظمى كما جعلت منه موضوعاً مثيراً
للكتاب والباحثين.

والذي لا ريب فيه أن البحر الأحمر يؤثر تأثيراً عميقاً في
مصالح ومصاير جزء كبير من العالم ومن ثم فقد حظي
باهتمام جل اقطاره وقدرت أهميته معظم بلدانه.

وبالرغم من أن الدول العربية التي تطل على البحر
الأحمر تجمعها وحدة المصير والكفاح المشترك فضلاً عن

وحدة الدين واللغة والثقافة وعلى الرغم من ادراكها الأكيد للمخاطر والتحديات التي تهدد المنطقة فلا توجد حتى الآن استراتيجية عربية موحدة لتأمين هذا البحر الهام.

وبالرغم من أن هناك دراسات عديدة تناولت البحر الأحمر من جوانب مختلفة إلا أن القليل منها هي التي تناولت البحر الأحمر وأهميته بالنسبة للأمن القومي العربي. لذا فقد اختار الباحث البحر الأحمر والأمن القومي العربي عنواناً لهذا البحث.

ولما كان للبحر الأحمر تأثير على قضية الأمن القومي العربي فقد رأى الباحث أن يلقي الضوء على الأبعاد الهامة التي يمكن من خلالها إبراز الدور الذي يلعبه البحر الأحمر في تعزيز الأمن القومي العربي.

هذا ويتخذ البحث الطابع التحليلي منهجاً له، وقد قسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

حيث سيتناول الفصل الأول البحر الأحمر جغرافياً وتاريخياً ومن ثم أهميته الاستراتيجية، كما سيتناول الفصل الثاني البحر الأحمر وتأثيره على الأمن القومي العربي من خلال تعريف مفهوم الأمن القومي ومنطقة الأمن، كذلك التعرض للصراعات الدولية والأقليمية في البحر الأحمر ومخاطرها على أمنه، ومن ثم التعرض أيضاً للاستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر وتأثيرها على أمنه. أما الفصل الثالث فسيتناول أمن البحر الأحمر وذلك من خلال ارتباطه بأمن كل من المحيط الهندي والخليج العربي والتأثير المتبادل بينهما، كذلك سيتطرق هذا الفصل إلى الجهود العربية نحو تأمين البحر الأحمر.

هذا وقد اعتمد الباحث على العديد من المراجع المختلفة من كتب ودوريات ووثائق وغيرها.

ولا يسع الباحث في هذا المقام إلا أن يتقدم بالشكر الجزيل للاستاذ المشرف على هذا البحث سعادة السفير عباس موسى عضو هيئة التدريس بمعهد الدراسات الدبلوماسية، كما يشكر أيضاً مكتبة المعهد ممثلة في أمنائها الذين لم يألوا جهداً في تقديم العون والمساعدة، والله من وراء القصد.

البحر الأحمر

جغرافيا وتاريخيا واستراتيجيا

عند الحديث عن البحر الأحمر ينبغي أولاً إعطاء خلفية توضح التكوين الجغرافي الطبيعي للبحر الأحمر، والأحداث التاريخية التي مر بها عبر العصور المختلفة، وكذلك الأهمية الاستراتيجية التي يتميز بها هذا البحر.

لذا فإن الفصل قد قسم إلى مبحثين سيتناول الأول البحر الأحمر جغرافياً وتاريخياً، كما سيتطرق الثاني إلى الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر.

المبحث الأول

البحر الأحمر جغرافياً وتاريخياً

أولاً : البحر الأحمر جغرافياً :

(أ) موقع البحر الأحمر :

البحر الأحمر حوض شريطي الشكل يفصل بين كتلتين من القشرة الأرضية هما شبه الجزيرة العربية وكتلة شمال أفريقيا، يتصل شمالاً بالبحر المتوسط عن طريق قناة السويس وجنوباً بالمحيط الهندي عبر مضيق باب المندب ويمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بين خطي عرض ٣٢ شمالاً، ١٢ر٣٠ شمالاً لمسافة ٢١٠٠ كيلو متر، وتبلغ مساحته نحو ٤٣٧٩٦٩ كيلو متر مربع وطوله من السويس إلى باب المندب حوالي ١٩٠٠ كيلو متر، ويتراوح عرضه بين ٤٠٢ كيلو متر من النصف الجنوبي وبين ٢٠٩ كيلو متر عند خط ٢٧ر٤٥ شمالاً حيث يتفرع إلى ذراعين هما:

خليج السويس وخليج العقبة اللذان تقع بينهما شبه جزيرة سيناء (١). ويضيق حوض البحر الأحمر كلما اتجهنا شمالاً عند مضيقي تيران وجوبال وجنوباً في مضيق باب المندب والذي لا يزيد اتساعه على عشرين ميلاً فقط (٢).

وقد عرف البحر الأحمر منذ أقدم العصور بصعوبة الملاحة فيه لكثرة شعابه المرجانية وشدة رياحه الشمالية والتيارات المائية على اختلافها وارتفاع درجة الحرارة فيه مع ازدياد نسبة الرطوبة وتأثير ذلك على سواحله بالإضافة إلى ارتفاع نسبة ملوحة مياهه وتضرس قاعه الشديد وعدم انتظام أعماقه ثم جذب سواحله وقلة موانيه مما جعل الملاحة فيه مغامرة خطيرة محفوفة بالكثير من الصعاب، وبالرغم من ذلك فقد ظل البحر الأحمر يؤدي دوره كمر ملاحى بحري هام.

وتطل على مياه البحر الأحمر بما فيها خليج عدن، عشر دول هي : الكيان الصهيوني،

الأردن، السعودية، اليمن الشمالي، اليمن الجنوبي، جيبوتي، الصومال، أثيوبيا، السودان، مصر (٣).

(ب) جزر البحر الأحمر وأهميتها :

يقدر عدد جزر البحر الأحمر بحوالي ٣٧٩ جزيرة مما يدل على سيطرة اليابس على الماء إلا أن معظمها متناهي الصغر بينما هناك عدد قليل من الجزر الكبيرة والتي تتجاوز مساحتها ثمانية أميال مربعة مثل: ذقر والحنيش الكبيرة، ودهلك الكبيرة، وفرسان الكبيرة، وقمران، وتزداد أهمية الجزر كلما اقتربنا من نقط الاختناق الرئيسية في البحر الأحمر مثل جزيرتي: بريم، وموليله اللتين تقعان في داخل مضيق باب المندب وتقل أهميتها كلما اتجهنا شمالاً نحو جزر الحنيش، وذقر، وأرخبيل دهلك، وجزر أريتريا لاسيا دوميرا وحالب وفاطمة، وتقل أهميتها أيضاً كلما اتجهنا إلى القطاع الأوسط، ثم تتدرج أهمية الجزر كلما اتجهنا شمالاً نحو نقط الإختناق مثل: جزر ضافير، وتيران، وجوبال (٤).

(ج) مضائق البحر الأحمر :

يوجد في البحر الأحمر ثلاثة مضائق هامة هي: مضيق جوبال، مضيق تيران، مضيق باب المندب.

ويتحكم مضيق جوبال في مدخل خليج السويس الذي يعد الذراع الشمالية للبحر الأحمر والذي يصل عمقه إلى ٣٣٠ قدماً بينما يصل اتساعه إلى ٢٠ ميلاً عند مدخله، كما توجد به بعض الجزر الهامة مثل: جزر جوبال، وطويله وجزيرة شدوان، وهي جزر صخرية جرداء، وينحصر المضيق بين رأس محمد وجزيرة شدوان وجزر جوبال (٥).

أما مضيق تيران فيقع في مدخل خليج العقبة، الذي يعد الذراع الشمالية الشرقية للبحر الأحمر، وهو أعمق من خليج السويس إذ يصل عمقه إلى أكثر من ٣٣٠٠ قدم بينما يصل متوسط اتساعه إلى تسعة أميال عند المدخل الذي تتحكم فيه جزيرتا تيران وصنافير اللتان تقسمان المضيق إلى ثلاثة ممرات لا يصلح منها للملاحة سوى الممر المحصور بين جزيرة تيران وساحل سيناء والذي لا يتجاوز عرضه ٣٧ ميل (٦).

بينما يقع مضيق باب المندب في جنوب البحر الأحمر فهو البوابة التي تصله بخليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندي، ويبلغ عرضه حوالي عشرين ميلاً وتقسمه جزيرة بريم (ميون)

وهي أهم جزره إلى ممرين شرقي ويصل عرضه إلى ميلين تقريبًا ويبلغ عمقه ٨٥ قدمًا وغربي ويصل عرضه إلى ١٦ ميلًا وعمقه إلى حوالي ٩٩٠ قدمًا وهو الممر الوحيد الصالح للملاحة (٧).

ثانياً : البحر الأحمر عبر التاريخ : (أ) في العصور القديمة :

نظرًا لأهمية البحر الأحمر الجغرافية فقد أصبح موضع اهتمام الدول منذ أقدم العصور فاهتم به المصريون القدماء كطريق لمواصلاتهم مع بلاد الصومال وجنوب الجزيرة العربية للحصول على البخور والعطور وبعض الأخشاب اللازمة للمعابد والحياة الدينية.

وقد توطدت العلاقة التجارية بين مصر والصومال، بالإضافة إلى أن إقليم وخليج السويس كانا متصلين بفرع النيل الشرقي بقناة تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر فهي تعتبر أقدم اتصال مائي في التاريخ، كما أن أول رحلة مدونة في البحر الأحمر هي التي أرسلت في عهد الفرعون (سحورع) وقد دون فيها أنه أحضر إلى مصر من بلاد اليمن والأقاليم الإفريقية الواقعة على البحر الأحمر العطور والبخور (٨).

وقد ترتب على اهتمام الفراعنة بالتجارة مع دول البحر الأحمر رواج تلك التجارة، ففي العصر الإغريقي كان هذا البحر محل اهتمام الأسكندر الأكبر الذي كان يسأل عن أخبار البعثات الاستكشافية التي أرسلت من أجل التعرف على الطريق البحري الذي يربط بابل ومصر، وربما ورث ذلك عن الفرس وملكهم (دارا الأول) الذي كان يحلم باستكشاف هذا البحر والذي قام بإكمال القناة التي شقها فرعون مصر (نخاو) من أجل ربط النيل بهذا البحر، كما أدرك أيضًا البطالمة في عهد بطليموس الثاني أهمية هذه القناة فأعادوا حفرها، فالبطالمة كانت حاجتهم شديدة لاستخدام هذا البحر وذلك من أجل حاجاتهم الماسة إلى سلع الشرق والفيلة الإفريقية ليواجهوا بها الفيلة الهندية التي كانت لدى منافسيهم السلوقيين ورغبة منهم في معرفة هذا البحر والتعامل مع شعوبه (٩).

بعد ذلك جاء الرومان وسيطروا على طرق التجارة العالمية والعمل على مرور أكبر كمية من هذه التجارة في الأراضي الخاضعة لهم فأرسلوا الحملات لغزو اليمن وأمروا بتدمير عدن عملاً على انتعاش تجارة مصر في البحر الأحمر فأصبحوا سادة البحر الأحمر في العصور الكلاسيكية.

ثم بدأ البيزنطيون باتباع سياسة تشجيع التجارة في البحر الأحمر من أجل تقليل أرباح أعدائهم الفرس من التجارة التي تمر عبر أراضيهم، وتوطدت العلاقات التجارية بين البيزنطيين والأحباش الذين كانوا يسيطرون في ذلك الوقت على جنوب البحر الأحمر^(١٠).

(ب) في العصور الإسلامية :

عند استيلاء العرب على مصر فطن عمرو بن العاص إلى أهمية إعادة وصل البحر الأحمر بالنيل وذلك من أجل إرسال القمح إلى الحجاز فأمر بإعادة حفر القناة القديمة التي عرفت باسم قناة أمير المؤمنين^(١١).

ثم أخذت الهجرات المستمرة لبعض القبائل العربية عن طريق البحر الأحمر إلى أفريقيا تمضي قدمًا، خصوصًا بعد انتشار الإسلام فيها، ويؤكد أبو الفدا (المختصر في أخبار البشر، الجزء الثاني) على الدور الهام الذي قام به التجار المسلمون عبر البحر الأحمر في نشر العقيدة الإسلامية، وتأسيسهم للإمارات والممالك الإسلامية مثل إمارة شو الإسلامية نسبة إلى إقليم شو المشهور في هضبة الحبشة، وإمارة إيفات الإسلامية، فأصبح البحر الأحمر شريانًا هامًا للمواصلات والتجارة واحتل مركزاً مرموقاً كطريق هام للحجيج^(١٢).

فأصبحت التجارة العربية بلا منافسة في الخليج العربي والبحر العربي، والبحر الأحمر. ودانت للعرب السيطرة على مفاتيح الطرق بين الشرق والغرب، حتى قيل أن التجار العرب قد وصلوا إلى الصين، ولاشك أن أفراد العرب بالبحار الشرقية إنما يرجع إلى الحاجز البري الذي يفصل بين البحار الشرقية والغربية، وسيطرة العرب عليه. وقد ارتبط بازدهار ممائل في البحر المتوسط أعتمد على موقع مصر كحاجز برى بين البحار الشرقية والغربية، ففي أوروبا المتوسطية نشأت مدن وموانئ تجارية تستقبل بضائع الشرق الثمينة وتقوم بدورها بتوزيعها على بقية أنحاء أوروبا كجنوه والبندقية^(١٣).

كل هذه الأسباب دفعت البرتغاليين إلى محاولة العثور على طريق يوصلهم بثروات الشرق فكانت حركة الاكتشافات الجغرافية التي أدت إلى وصول البرتغاليين إلى الهند بعد ثلاثة عشر عامًا من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح، بعد ذلك أخذ البرتغاليون في مهاجمة السفن العربية التي تمر بين البحر الأحمر والمحيط الهندي، وعملوا على منع البضائع الشرقية من المرور عبر مضيق باب المندب وهرمز إذ حولوا الجانب الأكبر من التجارة

البحرية مع أوروبا إلى طريق رأس الرجاء الصالح مما أدى إلى أن فقدت موانئ البحر الأحمر والخليج العربي أهميتها. بعد أن استولى العثمانيون على بلاد الشرق ومنها مصر حاولوا صد البرتغاليين إلا أنهم لم ينجحوا إلا في تخفيف بعض الضغط على التجارة العربية، وبهذا أصبحت تجارة الشرق بيد الغرب فتحكموا فيها واحتكروها (١٤).

(ج) في العصور الحديثة :

لم تترك الدول الأوروبية البرتغال وحدها تنعم بالسيطرة على هذا الطريق بل مالبت أن أخذت هذه الدول تتصارع وتتنافس فنزلت هولندا وفرنسا وإنجلترا إلى هذا الصراع، فكانت إنجلترا هي أقوى الدول البحرية في هذا الصراع وكانت تفضل الاتصال بالهند عن طريق رأس الرجاء الصالح مما أفقد البحر الأحمر أهميته التجارية. هذا بالإضافة إلى منع الدولة العثمانية للسفن التجارية الأجنبية من الملاحة فيه خوفاً من تدخلهم في شؤون الشرق الأوسط مما يعرض الأماكن المقدسة للخطر، فالسلطان العثماني رفض رفضاً باتاً أن يسمح للسفن البحرية الأجنبية بأن تبحر في البحر الأحمر إلى أبعد من ميناء جدة شمالاً، وحرم على السلطات الحاكمة في مصر استقبال سفن أوروبية بالسويس والإذن لركابها باختراق الأرض المصرية في طريقهم إلى الإسكندرية، وأظهر السلطان خشيته من أن تكون هذه المحاولات - تحت ستار التجارة - سبيلاً إلى نفوذ الاستعمار الأوروبي لهذه البلاد العربية الإسلامية (١٥).

وقد حاولت كل من إنجلترا وفرنسا فيما بعد إحياء طريق التجارة عبر البحر الأحمر ومصر مرة أخرى إلا أن تركيا رفضت ذلك، وأخيراً نجحت فرنسا في عقد اتفاقية مع مراد بك عام ١٧٨٥م تسمح للسفن الفرنسية الآتية من الهند بالوصول حتى السويس، وما أن دخل نابليون مصر حتى ظهرت له أهمية برزخ السويس وكان مشروع قناة السويس هو العمود الفقري في برنامج نابليون الاستعماري مما جعل إنجلترا تتربص للانقضاض على فرنسا في مصر فأعدت لها حملة عثمانية إنجليزية مكنتها من طردها سنة ١٨٠١م، وبعد خروج فرنسا من مصر أعاد محمد علي طريق التجارة بين الهند وأوروبا عن طريق مصر فبسط سيادة مصر في البحر الأحمر وثبت الأمن فيه فكانت البضائع القادمة عبر البحر الأحمر ترسل من السويس عبر النيل إلى الإسكندرية وهو الطريق الأكثر أمناً وقصراً عن طريق رأس الرجاء الصالح، ورغم أن محمد علي كان معرضاً عن مشروع القناة حتى لا يكون ذريعة للتدخل الأجنبي إلا أن خليفته سعيد باشا والي مصر قد أذن إلى فرديناند

دليسيبس بتنفيذ المشروع وحفر قناة بين البحرين مباشرة ونجحت الفكرة هذه المرة في ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩م وفتحت قناة السويس للملاحة العالمية (١٦).

فكان افتتاح قناة السويس بداية للتنافس الاستعماري للسيطرة على البحر الأحمر، فسارعت القوى الاستعمارية بريطانيا - وفرنسا - وإيطاليا إلى تثبيت أقدامها في البحر الأحمر باعتباره ممراً استراتيجياً عالمياً. ففي عام ١٨٦٩ - ١٨٨٢م احتلت بريطانيا مزيداً من الأراضي العدنية منشئة بذلك مستعمرة عدن بل واحتلت مصر نفسها في عام ١٨٨٢م، كما احتلت مينائي الصومال زيلغ وبربره عام ١٨٨٤م، ثم السودان عام ١٨٩٩م، أما فرنسا فقد احتلت مينائي أوبوك وتاجورا في عامي ١٨٨٤ - ١٨٨٥م وميناء جيبوتي عام ١٨٨٨ (١٧).

أما إيطاليا فقد احتلت ميناء عصب عسكرياً عام ١٨٨٥م، كما احتلت أيضاً ميناء مصوع وفي عام ١٩٢٥م اكملت إيطاليا احتلالها للصومال.

إلا أن هذا الاستعمار الأوروبي لم يدم طويلاً وذلك بفضل شعوب هذه المناطق العربية وعزمها على التحرر من الاستعمار ففي عام ١٩٣٧م حصلت مصر على استقلالها، كما حصل السودان على استقلاله في يناير ١٩٥٦م بينما أصبح الصومال البريطاني مستقلاً في يونيو ١٩٦٠م، ثم نالت عدن وبقية مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية استقلالها في عام ١٩٦٧م لتصبح جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، ومن هنا يمكن القول بأن بريطانيا تركت منطقة البحر الأحمر بحلول عام ١٩٦٧م (١٨).

أما جيبوتي والتي كانت مستعمرة من قبل فرنسا فقد نالت استقلالها في عام ١٩٧٧م، وقد حاولت إيطاليا التوسع بضمها اثيوبيا إلا أن القوات الأثيوبية هزمتها عام ١٩٣٥م بمساعدة فرنسا، وبعدها تحالفت إيطاليا مع ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، فقامت القوات البريطانية باحتلال أريتريا عام ١٩٤١م كذلك هاجمت بريطانيا في العام نفسه الصومال الإيطالي وبقية أريتريا تحت الإدارة البريطانية حتى عام ١٩٥٠م عندما أعادت بريطانيا الصومال الإيطالي إلى إيطاليا كإقليم تحت وصاية الأمم المتحدة. وأصبح الصومال الإيطالي مستقلاً في يوليو ١٩٦٠م وأنضم في اليوم نفسه إلى الصومال البريطاني ليشكل ما يعرف بجمهورية الصومال الديمقراطية (١٩).

المبحث الثاني

الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر

يعتبر البحر الأحمر واحدًا من أهم الطرق البحرية العالمية على أساس أنه يوفر لقوى إقليمية ودولية إمكانات الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي والمحيط الهندي.

ومن هنا فالأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر تأتي من حقيقة موقعه الجغرافي في حد ذاته (٢٠).

ولما كانت أهمية البحر الأحمر الإستراتيجية نابعة أساسًا من موقعه الجغرافي فقد استوجب ذلك دراسة العناصر التي شكلت هذه الأهمية الإستراتيجية وهي كما يلي:

- يمتاز البحر الأحمر بموقعه الذي يتوسط القارات الكبرى الأساسية آسيا وأفريقيا وأوروبا، وقد لعب دورًا تاريخيًا في ازدهار الحضارات الآسيوية والأفريقية والمتوسطية التي نشأت على شطآنه أو بقرها بفضل قيامه بدور الشريان الحيوي لنقل التجارة فيما بين الشرق والغرب منذ عصور التاريخ القديمة وحتى اليوم (٢١).
- يتميز البحر الأحمر بموقعه الوسط بين البحار الشرقية والغربية بصفة عامة وبين البحر المتوسط والمحيط الهندي بصفة خاصة، ولعل من أهم ما يميز البحر الأحمر كطريق هو امتداده بين الشمال الغربي والجنوب الشرقي بحيث يربط بينهما من أقصر طريق وبذلك تتوافر له صفة أقصر وأنسب طريق بين الشرق والغرب بصفة عامة وبين المحيط الهندي والبحر المتوسط بصفة خاصة مما أدى إلى تخفيض في أسعار السلع والنقل بالإضافة إلى اكتساب الوقت وتخفيف الجهد.

والجدول التالي يوضح الفرق الشاسع بين استخدام البحر الأحمر ورأس الرجاء الصالح في توفير المسافة والزمن للسفن التي تتجه من الشرق إلى الغرب وبالعكس (٢٢).

«المسافة المقارنة عن طريق البحر الأحمر ورأس الرجاء الصالح»

| الأيام اللازمة | | الوفره نسبة % | المسافة المتوفرة | المسافة بالميل | | الرحلة |
|----------------|-------|------------------|---------------------|----------------|-------|------------------------------------|
| الرأس | البحر | | | الرأس | البحر | |
| ٣٥ | ٢١ | ٤١ | ٤٣٠٠ | ١٠٥٠٠ | ٦٢٠٠ | من بريطانيا إلى الهند (بومبي) |
| ٦٥ | ٣٧ | ٤٣ | ٤٨٠٠ | ١١٣٠٠ | ٦٥٠٠ | من بريطانيا إلى إيران (عبدان) |
| ٣٨ | ٢٧ | ٢٩ | ٣٣٠٠ | ١١٤٠٠ | ٨١٠٠ | من بريطانيا إلى سنغافورة |
| ٤٣ | ٢٢ | ٢٦ | ٣٣٠٠ | ١٢٨٠٠ | ٩٥٠٠ | من بريطانيا إلى هونغ كونغ |
| ٤١ | ٣٨ | ٩ | ١١٠٠ | ١٢٣٠٠ | ١١٢٠٠ | من بريطانيا إلى استراليا (سدني) |
| — | — | ٦٤ | ٧٦٠٠ | ١١٨٠٠ | ٤٢٠٠ | من الهند إلى البحر الأسود |
| — | — | ١٠ | ١٥٠٠ | ١٣٠٠٠ | ١١٥٠٠ | من اليابان إلى هولندا |

— كذلك فإن التجارة الدولية التي تمر عبر البحر الأحمر تقدر بمئات البلايين من الدولارات، وفي مقدمتها النفط الذي تستورده الولايات المتحدة وأوروبا من دول الخليج العربي وهذا يدل على أن البحر الأحمر يعد من الممرات الرئيسية للملاحة والتجارة الدولية، فلو أخذنا الولايات المتحدة كنموذج يبين مدى ضخامة هذه المعاملات التجارية لرأينا أن قيمة وارداتها وصادراتها التي مرت بالبحر الأحمر وحده لدول الخليج العربي والبحر الأحمر قد بلغت ما يزيد على الثمانية بلايين دولار في خلال ثلاثة أشهر، إذ كانت على النحو التالي في الربع الأول من عام ١٩٨١م^(٢٣).

جدول يبين الصادرات والواردات عبر البحر الأحمر خلال ثلاثة أشهر

| الواردات بملايين الدولارات | الصادرات بملايين الدولارات | البلد |
|----------------------------|----------------------------|---------------|
| ١٨ | ٦٦٢ | البحرين |
| — | ٣١ | جيبوتي |
| ١٦٦٨ | ٥١١٢ | مصر |
| ٩٣ | ٦٥ | أثيوبيا |
| ٦٤ | ٥١٣ | إيران |
| ٥ | ١٨٧٧ | الأردن |
| ٤٤١ | ٢٥٤٠ | الكويت |
| ٦٥٩ | ٣٥٤ | عمان |
| ١٦٦ | ٣٥٩ | قطر |
| ٤٠٠١٦ | ١٦٤٢٢ | السعودية |
| — | ١٥٦ | الصومال |
| ٦٣ | ٤٠٥ | السودان |
| ٥٧٥٢ | ٣١٣٦ | الإمارات |
| ٢ | ١٣ | اليمن الجنوبي |
| ١ | ١٠٤ | اليمن الشمالي |
| <u>٤٨٩٦٦</u> | <u>٣٢٤٧٦</u> | |

— يعتبر البحر الأحمر المتحكم في مخارج ومداخل البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي، فأى تحرك في البحر المتوسط ينتهي إلى البحر الأحمر عن طريق قناة السويس، كما أن أي تحرك في الخليج العربي ينتهي إلى البحر الأحمر عن طريق مضيق هرمز — خليج عمان — المحيط الهندي — خليج عدن — باب المندب. اللهم إلا إذا كان التحرك شرقاً إلى الشرق الأقصى حتى يصل إلى اليابان والسواحل الغربية للأمريكتين أو جنوباً عن طريق رأس الرجاء الصالح في حركة إلتفاف حول السواحل الغربية لإفريقيا وأوروبا والسواحل الشرقية للأمريكتين^(٢٤).

— يمتاز البحر الأحمر بأنه شريان عالمي لنقل النفط الخام من مصادر إنتاجه على الخليج العربي إلى أوروبا التي تحتاج إلى ٤٥٨ مليون طن في العام وهذا يشكل ٦٠٪ من احتياجاتها من مصادر الطاقة، كما أن إسرائيل تعتمد ١٠٠٪ على البحر الأحمر في نقل احتياجاتها من النفط والتي كانت تستورده من إيران قبل الاطاحة بحكم الشاه^(٢٥).

— وأخيراً فإن البحر الأحمر يقع في مركز استراتيجي بحيث يشكل طريقاً بحرياً للقوات العسكرية وخصوصاً الدولتين العظميين، كما تحيط به قوى إقليمية لها قواتها الخاصة وتوجد بينها تناقضات أيضاً، ولذلك فالبحر الأحمر يعتبر مسرحاً هاماً للصراع الدولي والإقليمي على السواء^(٢٦).

هوامش الفصل الأول

- (١) د. أجييه يونان جرجس، البحر الأحمر ومضايقه، (القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧م) ص ٩.
- (٢) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢م) ص ٨٠.
- (٣) محمود توفيق محمود، «البحر الأحمر في الإستراتيجية الدولية»، السياسة الدولية، العدد ٥٧، (القاهرة: يوليو ١٩٧٩م) ص ٢٨.
- (٤) محمود توفيق محمود، نفس المرجع، ص ٣٠ وما بعدها.
- (٥) عبد الغنى عبد الرحمن محمد، البحر الأحمر والأطماع الدولية، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م) ص ٤٠.

- (٦) محمود توفيق محمود، المرجع السابق، ص ٢٨.
- (٧) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ط ١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤م)، ص ٣٠.
- (٨) د. أجييه يونان جرجس، المرجع السابق، ص ص ٢٨، ٢٩.
- (٩) د. محمد عبد الرحمن برج «ندوة البحر الأحمر» معهد الدراسات الدبلوماسية، (الرياض: مرامر للطباعة ١٩٨٥م) ص ص ٢١، ٢٢.
- (١٠) د. أجييه يونان جرجس، المرجع السابق، ص ٢٩.
- (١١) مجلة كلية الملك خالد العسكرية، العدد ٧، (الرياض: مطابع الحرس الوطني ١٩٨٦م)، ص ١٠٤.
- (١٢) د. محمد عبد الرحمن برج، المرجع السابق، ص ٢٤.
- (١٣) محمود توفيق محمود، المرجع السابق، ص ٢٦.
- (١٤) د. أجييه يونان جرجس، المرجع السابق، ص ٣١.
- (١٥) د. أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٠٧م) ص ص ٢٤، ٢٧.
- (١٦) د. أجييه يونان جرجس، المرجع السابق، ص ص ٣٢، ٣٣.
- (١٧) د. شوقي عطا الله الجمل، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، (القاهرة: النهضة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م) ص ٣٥.
- (١٨) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، المرجع السابق، ص ٥٤.
- (١٩) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، نفس المرجع، ص ٥٦.
- (٢٠) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، نفس المرجع، ص ٣٤.
- (٢١) صلاح الدين حافظ، المرجع السابق، ص ٩١.
- (٢٢) د. محمود حسن خليل، «الموجهات الفاعلة لسياسات البحر الأحمر»، مجلة الدراسات الدبلوماسية، (جدة: مطابع دار البلاد، ابريل ١٩٨٤م) ص ١٠٣.
- (٢٣) د. محمود حسن خليل، نفس المرجع، ص ١٠٣.
- (٢٤) أمين هويدي، أحاديث في الأمن العربي، ط ١، (بيروت: دار الوحدة ١٩٨٠م) ص ٣٠.
- (٢٥) أمين هويدي، نفس المرجع، ص ٣١.
- (٢٦) نجيب صالح، «العصر الإسرائيلي من قناة السويس إلى باب المندب» ط ١، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٣م) ص ١٢٣.

البحر الأحمر

وتأثيره على الأمن القومي العربي

سيتناول هذا الفصل بالدراسة والتحليل البحر الأحمر باعتباره إحدى مناطق الأمن القومي العربي.

ومن ثم فإنه سيتناول أولاً التعريف بمفهوم الأمن القومي، ومفهوم منطقة الأمن ثم يتعرض للصراعات الدولية والإقليمية في حوض البحر الأحمر ومخاطرها على أمنه وذلك في مبحث أول.

أما المبحث الثاني فسيتطرق إلى الإستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر وتأثيرها على أمنه.

المبحث الأول

الأمن القومي والصراعات الدولية والإقليمية في حوض البحر الأحمر ومخاطرها على أمنه

أولاً : تعريف مفهوم الأمن القومي :

يقصد بالأمن القومي «تأمين كيان الدولة – أو مجموعة من الدول – من الأخطار التي تهددها داخلياً وخارجياً، وتأمين مصالحها وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق أهدافها وغاياتها القومية».

ويتضح من هذا المفهوم أنه يدور حول ثلاثة محاور رئيسية، هي تأمين كيان الدولة عن طريق:

- وحدة أراضيها وحماية إقليمها.
- مواجهة كافة الأخطار الداخلية والخارجية القائمة والمحتملة.
- تحقيق أهدافها العامة في الاستقرار السياسي والاجتماعي والتنمية الشاملة.

ونظراً لصعوبة تحديد الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية التي يتحقق في ظلها استقرار المجتمع ورفاهيته ووحدته الإقليمية، وكذلك صعوبة تحديد الظروف أو المواقف التي تمثل خطراً على هذا الأمن والتي تتطلب سرعة الحركة لمواجهتها أو العمل أصلاً للحيلولة دون قيامها، فإن الأمن القومي ليس مجرد قضية عسكرية فحسب ولكنه مسألة متعددة العوامل والأبعاد تختلط فيها السياسة بالاقتصاد والجغرافيا بالعسكرية والوضع الاجتماعي بقوة الدولة والنظام السياسي بالاستراتيجية^(١).

والحقيقة أنه يمكن الحديث عن مستويين للأمن العربي: الأول: يتعلق بحماية كل دولة أو قطر كأمر واقع ويمكن تحديد مقوماته من خلال تحليل السياسة الخارجية للدولة، والثاني: يرتبط بمجموعة الأقطار العربية وينطلق من حقيقة الإنتماء إلى أمة واحدة والارتباط بهدف

الوحدة العربية، ويمكن أن نطلق على الأول تعبير الأمن الوطني وعلى الثاني تعبير الأمن القومي العربي، وأن نؤكد على أن الأمن الوطني هو جزء من كل، وأن أمن كل قطر عربي يرتبط بأمن الدول العربية الأخرى.

مفهوم منطقة الأمن :

يقصد بمناطق الأمن لدولة ما أو لمجموعة من الدول تلك المناطق التي يمكن أن تؤثر مباشرة على سلامتها واستقرارها من خلال ارتباطها الوثيق بمصالحها وسياساتها الإستراتيجية، ويمكن أن تحدد منطقة الأمن وفقاً لثلاثة معايير :-

(أ) المعيار الجغرافي: ويعنى مايتضمنه عنصر الجوار من صلات طبيعية وبشرية ومايوجده من تفاعلات ومصالح اقتصادية وأمنية ينعكس على الأطراف المتجاورة إيجاباً أو سلباً.

(ب) المعيار السياسي أو الأيديولوجي: وهو الذي يتعلق بالعقيدة السياسية للدولة وماتتصدى له من أهداف ونوع الأفكار السائدة فيها بما توجده من ارتباطات وانتماءات.

(ج) معيار قوة الدولة: هناك علاقة إيجابية بين قوة الدولة ونطاق أمنها، فكلما ازدادت قوة الدولة وتنوعت مصالحها وتعددت ارتباطاتها اتسع نطاق أمنها.

وكما هو واضح فإن هذه المعايير متفاوتة من حيث نسبة الثبات والاستمرار^(٢).

من هنا فإن أي نظرة لخريطة المنطقة العربية لا بد أن تتوقف أمام البحر الأحمر كأحد مناطق الأمن الرئيسية من زاوية الأمن العربي.

فالبحر الأحمر يقع في قلب الوطن العربي وتطل على مياهه ثمان دول عربية هي: الأردن، السعودية، اليمن الشمالي، اليمن الجنوبي، وتقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وتقع على الساحل الغربي كل من مصر، السودان، جيبوتي، الصومال.

وبهذا يتبين أن السواحل العربية تشكل نحو ٩٠,٢% من الطول الإجمالي لسواحل البحر الأحمر^(٣).

لذا فإن أهمية البحر الأحمر بالنسبة للدول العربية يمكن أن تثار من جانبين:

الأول : هو الجانب العسكري الأمني :

— فالبحر الأحمر يعتبر محورًا مهمًا للأمن العربي بصفته شريانًا استراتيجيًا حيويًا للمواصلات البحرية العربية الداخلية والخارجية فإذا ماتعرض هذا الممر لأي نوع من أنواع السيطرة أو التهديد فإن ذلك ينعكس بدوره على الأقطار العربية المطلة عليه وبالتالي يهدد أمنها^(٤).

— يشكل البحر الأحمر ضرورة استراتيجية للأمن العربي لامتداده من مركز كتلة الأرض العربية، وتقريبًا كل البلدان التي تقع على ساحليه هي عربية، لذلك فالبحر الأحمر يعتبر العمق الإستراتيجي للبلدان العربية التي تقع على ساحليه، وثمة مثل يوضح الأهمية التي يتسم بها البحر الأحمر بالنسبة إلى الأمن العربي: فعندما قصفت إسرائيل المنشآت البحرية لمصر في سفاجة والغردقة وغيرها من الأهداف فيما وراء الأقصر على البحر الأحمر خلال حرب الاستنزاف (١٩٦٨ — ١٩٦٩م) نقلت مصر جزءاً من قواتها الجوية إلى وادي سيدنا شمال الخرطوم وإلى قواعد جوية سودانية أخرى، كما نقلت وحدات بحرية مؤقتًا إلى موانئ السودان واليمن الشمالي واليمن الجنوبي، كذلك وخلال حرب أكتوبر ١٩٧٣م أظهرت البحرية العربية مدى الأهمية الإستراتيجية الكبيرة للبحر الأحمر بالنسبة إلى الأمن العربي وخصوصًا في الصراع العربي مع إسرائيل^(٥).

— كما يرتبط بالبحر الأحمر أيضاً أمن الأراضي العربية في الداخل التي تقع في قلبها المناطق الإستراتيجية العربية والثروة الاقتصادية إذ يشكل البحر الأحمر العمق الدفاعي والإستراتيجي لتلك الأراضي والتي ربما تكون عرضة لهجوم عدائي محتمل والتي تحتوي على خطوط مواصلات تتضمن مرافئ وقنوات، ومضائق ومطارات كذلك تحتوي على منشآت اقتصادية الخ^(٦)...

— كما أنه المنفذ البحري الوحيد لكل من السودان، والأردن، واليمن الشمالي، وجيبوتي إذ يمكن تهديد أمن هذه الأقطار في حالة فقدانها لمنافذها على هذا البحر.

والثاني : هو الجانب الاقتصادي :

— فحركة الملاحة في البحر الأحمر تمثل المصدر الأساسي للدخل في اليمن الجنوبي ومصدرًا هامًا للدخل في مصر وجيبوتي وأي تهديد أو إعاقة لسير السفن في أي

جزء منه فإنه سوف ينزل بهذه الدول أضرارًا اقتصادية جسيمة^(٨).

— يعتبر البحر الأحمر الممر الرئيسي الذي يتدفق عبره البترول العربي إلى أسواق التصدير لآسيا وأن اقتصاديات معظم الدول العربية تعتمد بصفة أساسية على تصدير البترول الذي يشكل ما بين ٩٣ — ١٠٠٪ من مجموع صادرات بعض الدول العربية كالسعودية والعراق والكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان.

ويتضح من ذلك أن الخليج العربي وإن كان يعتبر مركز ثقل من الناحية الاقتصادية فإن أهميته تلك تعتمد اعتماداً كلياً على البحر الأحمر ومضايقه من ناحية التسويق والنقل إذ لو تأثرت الحركة من خلاله لترتب على ذلك نتائج خطيرة للغاية تؤدي إلى انهيار الموارد الاقتصادية للكثير من الدول العربية وغيرها من التي تطل على هذا البحر أو تتصل به بأي نوع من أنواع الاتصال^(٩).

— أيضاً فإن وجود ثروات معدنية في قاع البحر الأحمر بالإضافة إلى البترول تزيد من أهميته جغرافياً وقومياً بالنسبة للمجموعة العربية، فإذا ماتعرضت تلك الثروات للخطر فإن ذلك سيلحق أضراراً اقتصادية بتلك الدول العربية المطلة عليه^(١٠).

ومن خلال ماتقدم يتبين بأن للبحر الأحمر أهمية إستراتيجية بالغة بالنسبة إلى الأمن القومي العربي بصفة عامة والأمن الوطني للدول العربية المطلة عليه بصفة خاصة.

ثانياً : الصراعات الدولية الحديثة في حوض البحر الأحمر :

احتدم التنافس في السنوات الأخيرة بين الدول العظمى خصوصاً بعد حدوث بعض المتغيرات الرئيسية في الساحة الدولية وفي مقدمتها حرب أكتوبر ١٩٧٣م، أزمة الطاقة العالمية، وكثافة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الداخلية في دول أفريقيا مما أدى إلى ارتفاع درجة التنافس الدولي في دول المنطقة^(١١).

لقد ظهر الوجود العسكري السوفيتي في المنطقة عام ١٩٥٥م بعد صفقة الأسلحة التشيكية لمصر ثم تزايد هذا الوجود بعد حرب عام ١٩٥٦م مستغلاً الصراع العربي الإسرائيلي، ومن ثم أصبح الوجود السوفيتي في المنطقة قوة تؤثر على مجريات الأحداث بعد

حرب ١٩٦٧م مباشرة، فقد دفعت موسكو إلى المنطقة بقوات بحرية جديدة نتيجة التسهيلات التي منحها جمال عبدالناصر لها في الموانئ المصرية بهدف الحد من الإنطلاق الإسرائيلي المعبر عن قوة الغرب ونفوذه في منطقة الشرق الأوسط، وفي نفس الوقت أخذ الإتحاد السوفيتي يدعم قواته البحرية في المحيط الهندي ثم تزايد ثقل الوجود السوفيتي بتزايد احتياجات مصر العسكرية خلال مرحلة الاستنزاف وتوقيع معاهدة صداقة سوفيتية مصرية في مايو عام ١٩٧١م، إلا أن هذه المعاهدة لم تؤخذ مأخذ الجد فسرعان ما تم طرد الخبراء السوفيت من مصر في ١٧ يوليو عام ١٩٧٢م على أن حكومة موسكو نجحت في إيجاد مايعوض فقدان نفوذها في مصر بالحصول على تسهيلات هامة وكبيرة في ميناء بربره الصومالي بعد توقيع معاهدة صداقة وتعاون مع الصومال في يوليو عام ١٩٧٤م بالإضافة إلى دعم وجودها العسكري في اليمن الجنوبي والتسهيلات الممنوحة لها في ميناء عدن.

وهكذا فقد وطد الإتحاد السوفيتي أقدامه في الجزء الإستراتيجي الجنوبي للبحر الأحمر بدأه في الصومال ثم في اليمن الجنوبي (١٢).

أما الولايات المتحدة فكان لها وزنها وثقلها الهامان في عهد أثيوبيا هيلاسيلاسي في الوقت الذي كان فيه للاتحاد السوفيتي نفوذ كبير في الصومال، ولكن سرعان ما تبذلت الأدوار في خريطة التنافس الدولي في المنطقة فأصبح للإتحاد السوفيتي نفوذ في أثيوبيا مما أدى إلى تقلص الوجود الأمريكي فيها وذلك بعد تغير نظام الحكم وتولي منغستو ماريام مهام الحكم عام ١٩٧٤م.

بينما أصبح للولايات المتحدة التأثير والنفوذ في الصومال بعد أن طردت الصومال النفوذ السوفيتي وألغت كافة التسهيلات الممنوحة لأسطوله وذلك بسبب انحياز السوفيت إلى أثيوبيا أثناء حربها مع الصومال.

من هنا نجد أن الصراع في القرن الأفريقي والذي تم تعزيزه بأطراف دولية له انعكاسات خطيرة على الوضع في جنوب البحر الأحمر (أي مداخله الجنوبية) فكما قيل: أن من يسيطر على الأطراف يسيطر على القلب. كذلك فإن إقليم أريتريا والمدعم من قبل نظم عربية مختلفة الإتجاهات والأيدولوجية يتبدل وضعه في خريطة التنافس الدولي بين العملاقين أيضاً فالإتحاد السوفيتي الذي كان مؤيداً لأريتريا وثورتها منذ بداية الخمسينات أصبح اليوم يشجع نظام منغستو في أثيوبيا على سحق الثورة في أريتريا سعياً

وراء دعم الوجود السوفيتي في أثيوبيا وبالتالي على مشارف البحر الأحمر، أما الموقف الأمريكي السلبي تجاه تحرير أريتريا فيشير علامة استفهام كبيرة إلا أن الإجابة عليها لا يمكن أن تغيب عن نظرة المحللين وذلك لأنه إذا ماتم تحرير هذا الإقليم الذي يحظى بالمساندة العربية فإن هناك احتمالاً كبيراً أن ينضم هذا الإقليم إلى جامعة الدول العربية وبالتالي سوف يكون له تأثير على مجريات الأمور في منطقة البحر الأحمر^(١٣).

أما الوجود البحري للعملاقين في مدخل البحر الأحمر إلى الجنوب حيث المحيط الهندي فإنه يزداد يوماً بعد يوم وخاصة الولايات المتحدة التي لها وجود عسكري في عدد من القواعد الموجودة في المحيط الهندي مثل ديجوجارسيا وموريشيوس ومالديف، ويدعم النفوذ الأمريكي الأدوار التي تقوم بها عدة دول أخرى مثل فرنسا وإسرائيل وعدد من الدول المطلة على البحر الأحمر^(١٤).

باختصار شديد يمكن القول أن سياسة كل من الدولتين العظميين في منطقة البحر الأحمر تقوم أساساً على استغلال حاجة دول المنطقة للمساعدات المالية والتقنية والعسكرية كوسيلة لتحقيق المصالح الوطنية لكل منها والاستفادة من المشاكل الإقليمية من عرقية وسياسية واقتصادية وبالتالي التدخل في شؤونها وكسبها لأحد الطرفين، من هنا نجد أن المصالح الأمريكية تتركز حول مركزها التنافسي الإستراتيجي مع العملاق السوفيتي وحول البترول والاستثمارات، أما المصالح السوفيتية فتتركز حول الوصول للمياه الدافئة وتوسيع النفوذ وفرض الهيمنة ومناوأة أمريكا، وتهديد المصالح الغربية.

جملة القول أن كلاً من الدولتين تميل إلى اتخاذ موقف متماثل من حيث الجوهر، فكل منهما تفضل حرية الملاحة في البحر الأحمر وعبر مضايقه ومداخله نظراً لما لها من مصالح استراتيجية مرتبطة بقدرتها على تحريك أساطيلها على امتداد البحر المتوسط والمحيط الهندي^(١٥).

أما فرنسا فقد ظلت تسيطر على عفار وعيسى حتى عام ١٩٧٧م عندما أعلن استقلال جمهورية جيبوتي، ولكن لأهمية جيبوتي الإستراتيجية من ناحية، وللخلافات الكامنة بينها وبين كل من أثيوبيا والصومال من ناحية أخرى، فقد استمر الوجود العسكري الفرنسي فيها بعد الاستقلال^(١٦).

ثالثاً : الصراعات الإقليمية في حوض البحر الأحمر :

١ - تبرز إسرائيل في خريطة الصراع في حوض البحر الأحمر حيث تسعى إلى فرض وجودها فيه وبشكل واضح خصوصاً بعد عام ١٩٧٣م وإن كان للسياسة الإسرائيلية جذورها وأبعادها التي تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

لقد كتب موشي ديان في مؤلفه بعنوان: «مذكرات حملة سيناء:» (إن واحدة من أهم قضايا الصراع بين إسرائيل ومصر هي حرية الملاحة الإسرائيلية في البحر الأحمر)، وكان يقصد بذلك، كما أوضح هو، حرية استخدام كل من مضيق تيران وقناة السويس.

كما تسعى إسرائيل أيضاً إلى إثارة العالم حول باب المندب بسبب ما وقع لها في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م، وكذلك إثارة مخاوف جميع الدول من وجود المضيق وجزره في نطاق السيطرة العربية.

إن الأهداف الإسرائيلية في البحر الأحمر متعددة، منها أولاً ضمان الملاحة التجارية لميناء إيلات، وتوسيع التجارة مع الدول الإفريقية والآسيوية وخصوصاً شرق وجنوب أفريقيا وأستراليا وتوفير احتياجاتها من النفط الخام.

٢ - العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية التي لها أهمية خاصة بالنسبة لإسرائيل حيث تعتبر أثيوبيا جسرها الذي يوطد أقدامها في إفريقيا لتثبيت وضع عسكري استراتيجي في مدخل البحر الأحمر وقد دعمت هذا الوضع - تاريخياً - عدة اعتبارات:

- أن كلاً من أثيوبيا وإسرائيل يمثل نوعاً من الهامش الإقليمي في المنطقة على حدود الدول العربية.

- نمو العلاقات الاقتصادية والعسكرية بينهما في عهد الإمبراطور هيلاسيلاسي التي تمثلت في عديد من الشركات الإسرائيلية والمختلطة، وبالتدريب وتزويد الخبرة الفنية.

- وجود جالية يهودية في أثيوبيا، تعتبر من أقدم الجاليات اليهودية في العالم وتعرف باسم الفلاشا، والتي عملت إسرائيل على مساعدتها اقتصادياً واجتماعياً.

- استغلت إسرائيل دعم بعض الدول العربية وتأييدها لاستقلال أريتريا لكسب ود أثيوبيا.

ومازال الدعم العسكري الإسرائيلي لأثيوبيا مستمرًا و يتمثل في تزويدها ببعض الأسلحة والمعدات اللازمة لحرب العصابات ضد الثورة الأريتيرية (١٧).

وإذا تتبعنا قضايا الصراع الإقليمي الذي يدور بين بعض دول المنطقة والذي يوفر البيئة الموضوعية لتدخل القوى الخارجية فإننا نجد أن الصراع في القرن الأفريقي يعتبر من أهم الصراعات في حوض البحر الأحمر حيث يتحكم القرن الأفريقي في طرق الملاحة العالمية شمالاً عبر البحر المتوسط وجنوباً وشرقاً عبر المحيط الهندي وخليج عدن كما أنه يعتبر مدخلاً ونقطة وثوب على وسط وجنوب القارة من جهة الشرق بالإضافة إلى مايشكله كحلقة هامة من حلقات الأحزمة الإستراتيجية التي تحاول أن تفرضها الدول الكبرى، ويدور الصراع في القرن الأفريقي حول مطالب إقليمية وقد تلاقت، في معظمها، الملامح الأساسية لنزاعات الحدود بين عدد من دول أفريقيا مع المظاهر الرئيسية والطبيعية والتاريخية لمشكلات تصفية الاستعمار في القرن.

من هنا فإننا سنتطرق إلى أهم المشاكل الدائرة في القرن الأفريقي والأسلوب الذي تنتهجه الدولتان العظيمان تجاهها.

(أ) الثورة الأريتيرية: وهي منقسمة إلى ثلاث فصائل:

١ - جبهة تحرير أريتريا - المجلس الثوري، وهي جسم الثورة وجبهتها الثورية العريضة حيث تمثل استمرارية الجبهة التي نشأت منذ عام ١٩٦٠م وتركز الجبهة في تحليلها السياسي على عدائها للاستعمار الأثيوبي كما تقدر الخطوات الاجتماعية التي يقوم بها النظام الحالي في أثيوبيا وتعمل الجبهة منذ منتصف الستينات على الاقتراب من الدول الاشتراكية في العالم، ولما كانت جبهة تحرير أريتريا ترفع شعارات يسارية فقد أمدتها موسكو بالعون المادي والعسكري وذلك في عهد الإمبراطور هيلاسيلاسي، أما بعد سقوطه وقيام نظام جديد في أثيوبيا موال للإتحاد السوفيتي فقد كف عن تأييده للجبهة وسعى إلى استقطابها وتطويعها للحل الذي يريده.

٢ - قوات التحرير الشعبية : وهي التي انفصلت عن جبهة تحرير أريتريا منذ

عام ١٩٦٩م وحملت اسم قوات التحرير الشعبية التي تجمع القوى المتعددة خارج جبهة تحرير أريتريا. وتبني قيادة قوات التحرير سياسة الحصول على أكبر قدر من المساعدات الخارجية للكفاح ضد أثيوبيا وهو نهج يجعل سلوكها الداخلي عسكرياً فقط، وهي تهاجم الدول الاشتراكية لاسيما الإتحاد السوفيتي وكوبا (١٨).

٣ - الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا: التي انفصلت عن قوات التحرير الشعبية سنة ١٩٧٦م ويتفق برنامجها مع جبهة التحرير في العداء للنظام الأثيوبي.

وقد سعت موسكو سعياً حثيثاً إلى استقطاب بعض قادة فصائل الثورة من خلال ما أسمته بالطرح الاشتراكي للقضية وكانت تأمل في نهاية المطاف التوصل إلى صيغة تعطي لأريتريا حكماً ذاتياً داخل إطار الوطن الأثيوبي إلا أن محاولات السوفيت التي تركزت بصفة أساسية على المجلس الثوري لم تلق آذاناً صاغية من معظم فصائل الثورة برغم التناقضات الفكرية بينها، غير أن الإتحاد السوفيتي لم يركن إلى اليأس بل مازال يأمل في حمل قادة الثورة على قبول حكم ذاتي داخل إطار الوطن الأثيوبي وعلى هذا الأساس فإنه يعمل على تعزيز حزب العمل الأريتري الذي ظهر مؤخراً ودعمه مادياً ومعنوياً حتى يتمكن من الإنفراد بالساحة محاوراً وحيداً باسم شعب أريتريا.

في حين تردد دول الغرب الكبرى لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية أن القضية ذات طبيعة خاصة وأغلب الظن أن معظمها يؤيد إقامة إتحاد فيدرالي بين أريتريا وأثيوبيا يختلف في كيانه عن ذلك الإتحاد الوهمي الذي فصمه هيلاسيلاسي سنة ١٩٦٢م (١٩).

ولاشك أن الأطراف المحلية هي التي خلفت الصراع الإقليمي وهي التي قررت الإستعانة بطرف دولي لمساندتها خاصة من الناحية العسكرية.

(ب) الصومال وأثيوبيا :

بينما يطالب الصومال بتحقيق وحدته القومية وذلك بإدخال أوجادين وعفر وعيسى

ضمن أراضيه نجد الدول المجاورة ترفع ادعاءات معاكسة، فأثيوبيا كانت تطالب بضم إقليم عفر وعيسى وفرنسا قبل استفتاء سنة ١٩٧٧م كانت هي الأخرى تطالب بضمه إلى الممتلكات الفرنسية مثل جزيرة رينون في المحيط الهندي. ولما كانت المادة السادسة من دستور دولة الصومال تنص على «تحقيق وحدة الأراضي الصومالية» فإن رد الفعل كان يعني مطالبة أثيوبيا بإقليم أوجادين، ومطالبة كينيا بالإقليم الشرقي انفدى، كذلك مطالبة فرنسا بإقليم عفر وعيسى، على أساس أن المناطق الثلاث تسكنها قبائل صومالية، ولما فشلت الجهود السلمية الصومالية في تحقيق مطالبها الإقليمية نشبت الحرب على الحدود الصومالية الأثيوبية في يناير - فبراير سنة ١٩٦٤م لكنها لم تستمر أكثر من شهرين حيث أعادت اتفاقية الخرطوم التي وقعها الجانبان المتصارعان الموقف إلى ما كان عليه قبل الحرب، إلا أنه استجدت عوامل جديدة أهمها الانقلاب العسكري في الصومال في ٣ نوفمبر سنة ١٩٦٩م ووصول الجنرال محمد سياد بري إلى رئاسة الدولة فاحتل الدفاع والشئون الخارجية مكانة هامة في السياسة الصومالية الجديدة كما اتسعت مجالات المعونة العسكرية السوفيتية على نحو يمكن معه القول أنه في عام ١٩٧٤م أصبحت القوات الجوية الصومالية تمتلك أكبر قدرة على القتال بين دول أفريقيا السوداء كما أصبحت للصومال قوات مدرعة مجهزة تجهيزاً جيداً، وقد أدى هذا التعاضم في القدرات العسكرية الصومالية إلى الإخلال بالتوازن العسكري في المنطقة ثم تابعت التطورات وأهمها قيام الحكم العسكري في أثيوبيا في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٧٤م مما أدى إلى قلب المعطيات التقليدية في اللعبة التي تقوم بها الدول الكبرى في منطقة القرن الأفريقي، وقد انعكس هذا التغيير على الصراع القائم في المنطقة على نحو عجل باندلاع الحرب الصومالية الأثيوبية الثانية في عام ١٩٧٨/٧٧م وقد تصاعدت الحرب في المنطقة في ظل عاملين استجدوا في القرن الأفريقي هما:

الاختيار السوفيتي للورقة الأثيوبية على حساب الصداقة مع الصومال ثم التقارب الذي جرى بين الصومال والدول العربية والغرب.

إن هذين العاملين قد جعلنا من ساحة القتال لأول مرة في تاريخ المنطقة مسرحاً للتنافس الجاري بين الدولتين العظميين، وبالرغم من التنافس الأمريكي السوفيتي في المنطقة والعوامل الإقليمية في حوض البحر الأحمر فإن القوة الصومالية وتطلعها إلى الصومال الكبرى هي في نهاية الأمر التي تقف في وجه القومية الأثيوبية (٢٠).

ثالثا : مخاطر الصراعات الدولية والإقليمية وتأثيرها على أمن البحر الأحمر :

يمكن تلخيص هذه المخاطر فيما يلي :

١ - أدى تدخل القوى العظمى في شئون دول المنطقة إلى تأجيج نار الفتنة والعداء بينها مستغلة في ذلك عوزها المالي وضعفها العسكري، كذلك وجود مشاكل الأقليات وتعدد الإنتماءات الفكرية والدينية والطائفية، فانتهزت القوتان العظميان هذا الضعف ليؤازر كل منهما طرفًا ضد الآخر لكونه من الدول الصديقة أو الحليفة لها فظهرت في المنطقة أربع سياسات مختلفة: الأولى: اتخذت من الاتحاد السوفيتي حليفًا ومعينًا فقدمت له كافة التسهيلات، والثانية: رأت في الولايات المتحدة الحليف والمعين فقدمت له أيضاً نفس التسهيلات وتدعي في ذلك بأنها تدافع عن نفسها أمام ماتعتبره تهديدًا موجهًا إليها من الأولى، أما الثالثة: فقد عارضت الوجود الأجنبي تمامًا بعكس الرابعة التي باركت هذا الوجود وأيدته^(٢١).

٢ - اتجه إسرائيل لدعم مبدأ حرية الملاحة في البحر الأحمر وضمان عدم إغلاق مضايقه وخصوصًا مضيق باب المندب في وجه تجارتها وذلك بالسعي إلى تعميق الخلاف بين دول البحر الأحمر والحيلولة دون تقريب وجهات نظرها للوصول إلى صيغة بشأن تأمينه.

٣ - اتجه أثيوبيا المعارض لأية ترتيبات جماعية في البحر الأحمر وعدم تحمس اليمن الجنوبي لذلك وتأكيدا على إشراك أثيوبيا في أية ترتيبات مقبلة علمًا بأن أثيوبيا ترفض الوصف الذائع للبحر الأحمر بأنه بحيرة عربية^(٢٢).

المبحث الثاني

الاستراتيجية الإسرائيلية في البحر الأحمر وتأثيرها على أمنه

بدأت الإستراتيجية الإسرائيلية حيال البحر الأحمر عام ١٩٤٩م وذلك بعد استيلاء إسرائيل على قرية أم رشراش الأردنية المطلة على خليج العقبة والتي شيدت عليها ما يعرف باسم ميناء إيلات.

وبهدف الإتصال مع العالم الخارجي عن طريق البحر الأحمر، فقد بدأت إسرائيل في تكثيف وجودها في هذا البحر واستخدامه من أجل تحقيق أهدافها العسكرية والاقتصادية والسياسية فسعت إلى مد نفوذها وسيطرتها على مواقع أخرى من منطقة البحر الأحمر عن طريق وضع اليد بالقوة تنفيذاً لسياستها التوسعية والتسلطية^(٢٣).

ونتيجة لهذا فقد دلت رئيس حكومة العدو دافيد بن غريون عن تطلعات إسرائيل إلى السيطرة على البحر الأحمر. فلقد صرح في أواخر عام ١٩٤٩م عن أمله بأن يصبح ميناء إيلات ميناء تجارياً وعسكرياً يخدم إسرائيل لكي تنطلق منه أساطيلها التجارية لتصل إلى شرق أفريقيا وإلى الشرق الأقصى وإلى أي مكان في آسيا وأفريقيا بالإضافة إلى استخدامه كقاعدة عسكرية بحرية للقيام بأية عمليات عسكرية ضد الدول المجاورة وعلى الأخص مصر وغيرها من الدول العربية^(٢٤) ومع ازدياد هذه الأطماع الإسرائيلية بدأت عدة دول عربية ومنها مصر والسعودية والأردن تشعر بالخطر الإسرائيلي المستفحل، قامت السلطات المصرية بتعزيز جزيرتي تيران وصنافير عسكرياً ومحاصرة إسرائيل بحرياً مما دفع بإسرائيل إلى استخدام القوة ل فك هذا الحصار وذلك عام ١٩٥٦م عندما اتفقت مع فرنسا وبريطانيا على شن حرب ضد مصر وهو ما يعرف بالعدوان الثلاثي، وقد كانت إسرائيل تهدف من هذه الحرب إلى كسر الحصار المصري وبالتالي تأمين رأس الجسر الذي أقامته

في خليج القبة وتطويره عن طريق استخدامه كممر مائي دولي. وهذا استطاعت إسرائيل من خلال سيطرتها على شرم الشيخ وخليج تيران تأمين منفذ لها في البحر الأحمر. وبعد انسحاب القوات الإسرائيلية من شرم الشيخ وتيران وسيناء ظل هذا المنفذ مفتوحاً بعد رفع الحصار عندما رابطت القوات الدولية في منطقة شرم الشيخ لتأمين سلامة وحرية الملاحة في مضائق تيران وخليج العقبة مما ساعد على ازدهار ميناء إيلات (٢٥). هذا بالإضافة إلى تطور العلاقات الإسرائيلية السياسية والعسكرية والاقتصادية مع الدول الأفريقية والآسيوية وأثيوبيا، وجنوب أفريقيا وروديسيا - زمبابوي. ثم اليمن الجنوبي في باب المندب عندما كان تحت الحكم البريطاني. وحتى استقلال اليمن الجنوبي سعت إسرائيل بمساعدة بريطانيا إلى الهبوط في عدن إذ كانت تستخدم عدن، وهي نقطة الوصل بين كينيا وإيران، كمركز توزيع في المنطقة لمنتجاتها الخفيفة.

ففي عام ١٩٦٧م أصبح البحر الأحمر له أهمية بالغة لدى إسرائيل فهي تعتبره طريقاً استراتيجياً من خلاله تصدر منتجاتها إلى أفريقيا وآسيا وأستراليا ومن خلاله أيضاً تستورد حاجتها وخاصة النفط، فإسرائيل حتى عام ١٩٧٩م كانت تشتري معظم نفطها من إيران وتشحنه إلى إيلات عن طريق البحر الأحمر، فالنفط يعتبر جزئياً أحد العوامل التي تدفع إسرائيل إلى ممارسة نشاطاتها البحرية في البحر الأحمر (٢٦).

وقبل عدوان حزيران/ يونيو ١٩٦٧م كانت إسرائيل قد أكملت استعداداتها من أجل السيطرة على أجزاء أخرى في البحر الأحمر مع العلم أن ملاحظتها كانت تسير فيه دون أية عوائق وذلك لوجود قوات الطوارئ الدولية في مضيق تيران. ونتيجة لاستعدادات إسرائيل ونواياها وأطماعها التوسعية أعلن الرئيس جمال عبدالناصر في ٢٢/٥/١٩٦٧م إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية وحظر مرور البضائع الإسرائيلية فيه والمتجهة إلى إسرائيل ولو كانت على سفن غير إسرائيلية. ونتيجة لهذا الاعلان المصري شن العدو الصهيوني عدوانه في ٥/٦/١٩٦٧م ضد ثلاث دول عربية وتمكن العدو خلال هذا العدوان من السيطرة على الساحل الشرقي لسيناء والجزر الواقعة في المدخل الشمالي، تيران وصنافير وجزء من خليج السويس (٢٧).

وبعد انتهاء الحرب أخذت إسرائيل تسعى إلى ضمان حرية ملاحتها في البحر الأحمر فبادرت بوضع استراتيجية جديدة خصوصاً بعد إغراق مدمرتها (إيلات) على يد البحرية

المصرية في ٢١ / أكتوبر / ١٩٦٧م وتمثلت هذه الإستراتيجية في الإتجاهات الآتية :-

- ١ - العمل على زيادة عدد الزوارق البحرية وإمدادها بالصواريخ.
- ٢ - الحصول على غواصات من بريطانيا تلائم قدرات إسرائيل القتالية وعملياتها الحربية في المستقبل.
- ٣ - الإعتماد على الصناعات الإسرائيلية المحلية لإنتاج المعدات الحربية البحرية المطلوبة.
- ٤ - العمل على تزويد قواتها البحرية بطائرات الاستطلاع والتغطية الجوية لمهاجمة الأهداف أو الدفاع عن قواتها خلال الهجوم عليها كما سعت إسرائيل أيضاً إلى تركيب محطات للرادار على الساحل الأريتيري وخصوصاً في جزيرة حالب.

ولدعم الوجود الإسرائيلي في البحر الأحمر وخاصة في باب المندب سعت إسرائيل إلى احتلال بعض الجزر الصغيرة المتناثرة ذات الموقع الإستراتيجي في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر إما مباشرة أو بالإعارة والتأجير من أثيوبيا وذلك بالتعاون والتنسيق بينها وبين أثيوبيا والولايات المتحدة. ومن هذه الجزر. حالب، ودهلك، وحنيش الكبرى والصغرى وهي تابعة لأريتريا. وهذا أصبح الوجود الإسرائيلي في عدد من جزر البحر الأحمر يشكل تحدياً مباشراً للأقطار العربية خصوصاً بعد نمو العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية. (٢٨)

إلا أنه في حرب ١٩٧٣م ونتيجة للتنسيق العربي الذي تم لأول مرة في مجال تأكيد حق العرب في تجسيد سيادتهم على مياههم وخاصة البحر الأحمر وقف العرب في مواجهة الإستراتيجية الإسرائيلية للسيطرة على البحر الأحمر والدليل على ذلك الحصار الذي فرضته القطع البحرية المصرية بالتعاون مع سلطات اليمن الجنوبي واليمن الشمالي فقد أدت هذه الخطوة إلى إغلاق باب المندب أمام السفن الإسرائيلية وقد برهنت هذه الخطوة على أن في مقدور الدول العربية الواقعة على سواحل البحر الأحمر أن تفرض السيادة القومية على هذا الممر وعلى مضايقه وجزره لو أنها انتهجت استراتيجية عربية موحدة (٢٩).

لقد أدركت إسرائيل من خلال الحصار العربي الذي فرض عليها في باب المندب عام ١٩٧٣م وبعد توقيعها لاتفاقية فصل القوات مع مصر أدركت أنه لا بد لها من وضع استراتيجية جديدة تضمن لها عدم إغلاق المضيق الهام فسعت جاهدة تساعدها في ذلك الولايات المتحدة إلى تثبيت أقدامها في أثيوبيا بالرغم من تغيير نظام الحكم هناك، وقد

أصبحت الإستراتيجية الإسرائيلية تعمل في اتجاهين أولهما تصعيد صراعات منطقة البحر الأحمر وتأييد فكرة تدويل مضيق باب المندب، ومعارضة أي استراتيجية عربية ترمي إلى تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة عربية، بينما يعتمد الاتجاه الآخر على دعم علاقاتها بأثيوبيا ومن ثم فقد أصبحت الحيلولة دون نجاح الثورة الأريتيرية في مقدمة الإهتمامات الإسرائيلية في المنطقة (٣٠).

إن المفهوم الإسرائيلي للعلاقات مع أثيوبيا ينطلق من قاعدة محاولات إسرائيل للسيطرة على البحر الأحمر خاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م بغية تحقيق أهدافها الإستراتيجية والاقتصادية.

وتتمثل أهداف إسرائيل الإستراتيجية في البحر الأحمر في سعيها إلى فرض وجودها البحري في مياهه وتأمين ملاحتها خصوصًا في منطقة جنوب البحر الأحمر، لذلك خصصت زوارق حراسه سريعة لمرافقة السفن التجارية التي تحمل بضائع إسرائيلية مرورًا بباب المندب حتى المحيط الهندي، كما تتمثل في خلق عمق استراتيجي ووجود عسكري مباشر يشتمل الجهد العربي العسكري في البحر الأحمر فضلًا عن كسر طوق الحصار العربي السياسي والاقتصادي بالإضافة إلى حماية حرية تجارتها الخارجية مع البلدان الأفرو-آسيوية عن طريق الحفاظ على حرية الحركة التجارية في المنطقة. ودعمًا لهذه الإستراتيجية تبذل إسرائيل نشاطًا متزايدًا من أهمه الدعم المستمر للقمع الأثيوبي ضد الشعب الأريتيري حيث أنها تعتبر أمن أثيوبيا وسلامتها هما ضمان أمن إسرائيل. هذا بالإضافة إلى أهدافها الاقتصادية في البحر الأحمر لكونه يحتوي على كميات من البترول وثروات هائلة من المعادن كالذهب والفسفور والمنجنيز والنحاس والبوتاسيوم والتي ترى إسرائيل أنها ستصبح مصدرًا اقتصاديًا هامًا تستفيد منها في المستقبل (٣١).

ومن خلال هذه الإستراتيجية والإستراتيجيات التي سبقتها يتبين لنا أن خطورة إسرائيل على الأمن العربي بشكل عام والبحر الأحمر بشكل خاص يكمن في تطور قوتها العسكرية كمًا ونوعًا واستخدامها لهذه القوة واعتمادها عليها منذ نشأتها.

كما أن إسرائيل تطمح في التوسع والهيمنة في البحر الأحمر وذلك على حساب الدول العربية.

من هنا فإن إسرائيل تعتبر حرية الملاحة في البحر الأحمر أمرًا ضروريًا لأمنها وتجارها لذلك فهي تعارض وتقاوم كل فكرة تهدف لتحويل البحر الأحمر إلى بحيره عربية تحت السيطرة العربية (٣٢).

«والحقيقة أنه من الصعب تحقيق الاستقرار في منطقة البحر الأحمر مع وجود طموحات إيران وإسرائيل في الهيمنة والتوسع في منطقة البحر الأحمر والخليج العربي ما لم يتم التوصل إلى حل شامل للصراعات العربية – الإسرائيلية، والعربية – الإيرانية، وما الألغام التي تفجرت على طول البحر الأحمر في صيف ١٩٨٤م. إلا مؤشراً لما يمكن أن يحصل للبحر الأحمر في المستقبل في ظل غياب سيطرة عربية محكمة عليه» (٣٣).

هوامش الفصل الثاني

- (١) د. على الدين هلال، «الأمن العربي والصراع الإستراتيجي في منطقة البحر الأحمر، «المستقبل العربي، العدد ٩، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٧٩م) ص ٩٨.
- (٢) د. على الدين هلال، نفس المرجع، ص ٩٩.
- (٣) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي.
- (٤) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ط ١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤م) ص ١٧٩.
- (٥) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، نفس المرجع، ص ٢٩١.
- (٦) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، نفس المرجع، ص ٢٩٢.
- (٧) محمود توفيق محمود، «البحر الأحمر في الإستراتيجية الدولية»، السياسة الدولية، العدد ٥٧، (القاهرة: يوليو ١٩٧٩م) ص ٣٣.
- (٨) جمال علي زهران، «نحو إستراتيجية عربية في البحر الأحمر في ضوء قانون البحار الجديد»، قضايا عربية، العدد ٥، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م) ص ١٣٧، وما بعدها.
- (٩) أمين هويدى، أحاديث في الأمن العربي، ط ١ (بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٠م) ص ٣٠.
- (١٠) علي عجيل منهل، «البحر الأحمر وجزره - أهميته السياسية والاقتصادية والعسكرية للوطن العربي»، (جامعة البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، السلسلة الخاصة ٤٠، ١٩٨٠م) ص ٣٩.
- (١١) د. السيد عليوه، الجوانب في صراعات البحر الأحمر، السياسة الدولية، العدد ٥٩، (القاهرة: يناير ١٩٧٩م) ص ٣٩.
- (١٢) جمال علي زهران، القواعد والتسهيلات الأمريكية في الشرق الأوسط، السياسة الدولية، العدد ٦٦، (القاهرة: أكتوبر ١٩٨١م) ص ١٠٤ وما بعدها.
- (١٣) جمال علي زهران، المرجع السابق، ص ١٣٨ وما بعدها.
- (١٤) جمال علي زهران، نفس المرجع، ص ١٣٩.
- (١٥) د. السيدة عليوة، الجوانب الإستراتيجية في صراعات البحر الأحمر، السياسة الدولية، العدد ٥٩، (القاهرة: يناير ١٩٨٠م) ص ٣٩.
- (١٦) د. علي الدين هلال، المرجع السابق، ص ١٠٣.
- (١٧) د. علي الدين هلال، نفس المرجع، ص ١٠٤.
- (١٨) حلمي شعراوي، الثورة الأرتيرية وحق تقرير المصير، السياسة الدولية، العدد ٥٠، (القاهرة: أكتوبر

- ١٩٧٧م) ص ١٣٧ وما بعدها.
- (١٩) د. فؤاد عبد السلام الفارسي، قضايا سياسية معاصرة، الكتاب العربي السعودي، ط ١ (جدة: تهامة، ١٩٨٢م) ص ١٧٣ وما بعدها.
- (٢٠) نبيه الأصفهاني، المواجهة المسلحة الأثيوبية الصومالية، السياسة الدولية، العدد ٥٤، (القاهرة: أكتوبر ١٩٧٨م) ص ٢٣ - ٢٧.
- (٢١) د. محمود حسن خليل الموجهات الفاعلة لسياسات البحر الأحمر، مجلة الدراسات الدبلوماسية، العدد الأول، (جدة: دار البلاد، ابريل ١٩٨٤م) ص ١١٠ - ١١١.
- (٢٢) د. علي الدين هلال، المرجع السابق، ص ١٠٦.
- (٢٣) د. محمود حسن خليل، المرجع السابق، ص ١١٢.
- (٢٤) حلمي عبد الكريم الزعبي، الإستراتيجية الصهيونية للسيطرة على البحر الأحمر، شؤون عربية، العدد ٤٧، (تونس: سبتمبر ١٩٨٦م) ص ١٩٤.
- (٢٥) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، المرجع السابق، ص ١٨٤ وما بعدها.
- (٢٦) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، المرجع السابق، ص ١٩٦.
- (٢٧) حلمي عبد الكريم الزعبي، المرجع السابق، ص ١٩٨.
- (٢٨) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، المرجع السابق، ص ١٩٧ - ١٩٨.
- (٢٩) حلمي عبد الكريم الزعبي، المرجع السابق، ص ٢٠٠.
- (٣٠) حلمي عبد الكريم الزعبي، ص ٢٠٢ - ٢٠٤.
- (٣١) د. أجيّة يونان جرجس، البحر الأحمر ومضايقه، (القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧م) ص ٧٠ - ٧١.
- (٣٢) د. عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ندوة البحر الأحمر، (الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، شركة مرامر، ٤/٥/١٩٨٥م) ص ٩٤ - ٩٥.
- (٣٣) د. عبد المحسن السلطان، نفس المرجع، ص ٩٥.

الفصل الثالث

أمن البحر الأحمر

سيتم تناول هذا الفصل في مبحثين الأول سيتناول أمن البحر الأحمر وارتباطه بأمن كل من المحيط الهندي والخليج العربي. والثاني سيتناول الجهود العربية نحو تأمين البحر الأحمر.

المبحث الأول

ارتباط أمن البحر الأحمر بالمحيط الهندي والخليج العربي

أولاً : أهمية المحيط الهندي والعلاقة الأمنية بينه وبين كل من البحر الأحمر والخليج العربي :

يغمر المحيط الهندي نحو سبع الكرة الأرضية وتحده شرقاً الجزر الأندونيسية وأستراليا، وغرباً السواحل الأفريقية، كما أنه يربط بين آسيا وأفريقيا بالإضافة إلى تحكمه في أهم الممرات المائية في العالم – مضيق هرمز في الخليج العربي، مضيق باب المندب في مدخل البحر الأحمر جنوباً، وقناة السويس في مدخل البحر الأحمر شمالاً.

ومن هذا المفهوم يتبين أن للمحيط الهندي أهمية استراتيجية بالغة، فنذ بداية الكشوف البرتغالية، وانتشار المد الاستعماري الأوربي وخاصة البريطاني. فقد سعت بريطانيا إلى فرض سيطرتها على هذه الممرات المائية الهامة وخاصة المحيط الهندي من أجل الحفاظ على مستعمراتها في قارتي آسيا وأفريقيا^(١).

إلا أن هذه السيطرة انهارت في النصف الثاني من القرن العشرين وبالتحديد في عام ١٩٦٧م، وذلك عندما أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الذي أشار إلى اعتزامها تخفيض حجم قواتها الموجودة في شرق السويس واتبعت ذلك بتصريحها المشهور في ١٦ يناير ١٩٦٨م الذي جاء ضمن الخطاب الذي ألقاه رئيس وزراء حكومة العمال هارولد ولسون وتحدث فيه عن المشكلات الاقتصادية الحادة التي تواجهها بريطانيا، وعن برنامج جديد للحد من التزاماتها الخارجية. وذكر أن حكومته قررت الانسحاب عسكرياً من منطقة البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي قبل نهاية عام ١٩٧١م.

وبالرغم من هذا الإعلان البريطاني بالانسحاب من تلك المناطق فإن بريطانيا لم تنسحب من المحيط الهندي بل رأت أنه من الضروري البقاء فيه وذلك لأهميته

الإستراتيجية النابعة من تحكمه في طرق الملاحة البحرية. فعمدت إلى اتباع إستراتيجية تساعد على إبقاء سيطرتها على هذا المحيط وذلك بالتعاون مع العملاق الأمريكي. فهي تقدم له الجزر التي تمتلكها في المحيط الهندي بينما تتولى الولايات المتحدة نفقات إقامة القواعد العسكرية عليها، على أن يكون الإشراف العسكري مشاركة بين الدولتين كما حدث في قاعدة دييجوجارسيا^(٢).

ونتيجة لذلك وضعت الإستراتيجية الأمريكية أمامها عدة أهداف وهي تدفع بأساطيلها الضخمة للسيطرة على البحار والمحيطات متمثلة في الأسطول السادس في البحر المتوسط، والسابع في المحيط الهادي، والخامس في المحيط الهندي وأهم هذه الأهداف :-

١ - فرض الحصار البحري لدعم الحصار البري على الاتحاد السوفيتي. وذلك عن طريق السيطرة على أهم المعابر والمضايق والمنافذ الإستراتيجية.

٢ - تأمين حقول البترول الضخمة في الجزيرة والخليج العربي وإيران وحماية طرق تدفق البترول منها إلى الغرب الأوروبي الأمريكي والشرق الأقصى الياباني الحليف.

٣ - السعي إلى الحصول على بعض التسهيلات البحرية والجوية في أراضي الدول الصديقة في المنطقة كما هو الحال في مصر، والصومال، وكينيا، وعمان، وذلك من أجل حماية منابع النفط وطريق الناقلات من أي تهديد^(٣).

أما اهتمام الإتحاد السوفيتي بالمحيط الهندي، والذي يحظى لديه بأهمية إستراتيجية خاصة تفوق أهمية المناطق الحيوية الأخرى في العالم، فإن ذلك يرجع إلى ما يلي:

١ - تتحكم مياه المحيط الهندي في مجموعة من أهم الممرات المائية في العالم والتي تربط بين قواعد الإرتكاز السوفيتية على المحيط الهادي مثل (فلاديفوستك) وعلى البحر الأسود مثل (سفاستبول).

٢ - تأمين سلامة اليابس السوفيتي أمام خطر التهديد النووي الأمريكي المتمركز فوق سطح المحيط الهندي وفي أعماقه، وذلك بعد أن أدخلت الولايات المتحدة منذ منتصف الستينات نظام التسليح البحري النووي والذي يضم السفن وغواصات تحمل صواريخ ذات رؤوس نووية.

٣ - الحد من النفوذ الأمريكي في المحيط الهندي والتقليل من فاعلية الأسطول الأمريكي خلال الأزمات الطارئة في المنطقة.

٤ - حماية خطوط الملاحة السوفيتية ودعم وجودها في هذه المياه. فقد ركزت الإستراتيجية السوفيتية على التواجد البحري في هذه الممرات المائية العالمية وعلى مقربة من مناطق البترول، ومن هذا المنطلق فقد عمل السوفيت على إيجاد علاقات صداقة مع بعض الدول التي تطل على هذه المعابر والمضايق والمنافذ الاستراتيجية واستطاعوا من خلال ذلك التواجد فوق أراضي هذه الدول الصديقة أو الحليفة (٤).

وخلاصة القول أن كل الدلائل تؤكد أن منطقة المحيط الهندي تحولت إلى مسرح تتزايد أهميته في لعبة الصراع الدولي وترجع أسباب ذلك إلى أهمية الوضع الجغرافي للخليج العربي والبحر الأحمر بالنسبة للعالم أجمع وما يترتب على ذلك من أهمية إستراتيجية لهذين المحورين الهامين.

ثانياً : التأثير الإستراتيجي المتبادل بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي :

إن البحر الأحمر والخليج العربي يعتبران ذراعي المحيط الهندي وهما يتأثران بما يحدث في أي منهما. فهما بحران متوازيان تقريباً ويتصل كل منهما بأعالي البحار ببوابات بحرية ذات أهمية إستراتيجية كبيرة.

فمضيق هرمز هو البوابة البحرية التي تصل الخليج العربي بخليج عمان والمحيط الهندي. ويقابل ذلك بالنسبة للبحر الأحمر مضيق باب المندب الذي يصل هذا البحر بخليج عدن وبحر العرب ثم المحيط الهندي.

وكلاهما طريقان عالميان هامان للإمداد بالبترول (٥).

ولما كان البحر الأحمر تطل على مياهه دول جميعها عربية فيما عدا الكيان الصهيوني وأثيوبيا فقد أصبح مع الخليج العربي يمثلان ركن الحساسية الأولى في كيان العرب.

وأصبحت سلامة الخليج العربي مرتبطة ارتباطاً عضوياً مباشراً وتاماً بسلامة البحر الأحمر.

وقد أدى تعاظم القوة البحرية لكل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي في المحيط الهندي إلى توفير العمق الإستراتيجي اللازم لوجود القوتين العظميين على مقربة من مدخل البحر الأحمر والخليج العربي.

وقد قاد هذا الإهتمام إلى إيجاد أحزمة تحيط بالمنطقة منها الحزام الشمالي الذي يتكون من الأسطول السادس الأمريكي والقواعد العسكرية الأمريكية في شرق البحر المتوسط، ويتشكل الحزام الجنوبي من القاعدة الأمريكية في الصومال وهي ترتبط بالقواعد الأمريكية البريطانية في جزر المحيط الهندي والتي يؤثر وجودها على الصراع في الساحل الشرقي لأفريقيا وسواحل آسيا^(٦).

إذا تصورنا احتمالات تهديد الجزيرة العربية لوجدنا أن أكثر القطاعات تعرضًا للخطر هو جناحها الشرقي في الخليج وقطاعاتها الشمالية والجنوبية الغربية المطلة على البحر الأحمر، حيث توجد المضائق الإستراتيجية التي تحكم الملاحة في هذا البحر، وأن مصادر الخطر إما أن تكون إسرائيل أو القوات الأجنبية التابعة للدول الكبرى والتي يمكن أن تعمل من القواعد السوفيتية في أثيوبيا أو من غواصاتها وسفنها في المحيط الهندي إن تسلل القوى الثلاث إلى مياه البحر الأحمر ينبيء عن أخطار رهيبية تنطلق منه لإرهاب منطقة الخليج العربي التي تعتمد بدرجة كبيرة على الملاحة البحرية في تسويق بترولها وفي استيراد مقومات حياتها كما أن تعرض البحر الأحمر ومداخله الجنوبية بالذات لأي خطر سينعكس مباشرة على ملاحه الخليج العربي وأمن شعوبه^(٧).

ومن هذا المنطلق فقد شعرت الدول المطلة على الخليج العربي بالخطر الذي يحيط بها. فسارعت إلى بحث مسألة أمن الخليج. وقد تبلورت مسألة الأمن هذه بفكرة قيام حلف أممي إقليمي لدول الخليج وذلك لسد الفراغ الذي خلفه الإنسحاب البريطاني من شرق السويس في عام ١٩٧١م.

وكانت هذه الفكرة كمضمون تلقى تأييد الغرب بيد أن موقفه لم يكن واضحًا إزاء التطبيق العملي للمشروع وقد تزايد الإهتمام به بعد توقيع الإتفاقية الإيرانية - العراقية في عام ١٩٧٥م، وتحسن العلاقات السعودية - العراقية بعد حل مشكلات الحدود بينهما، وبعد أن زار الأمير فهد بن عبدالعزيز في ذلك الوقت إيران ظهر إعلان أطلق عليه (تعاون وثيق) بين الدول المطلة على الخليج.

ثم انعقد مؤتمر وزراء خارجية إيران، والسعودية، والعراق، والكويت وقطر، وعمان والإمارات في مسقط في ٢٥ نوفمبر ١٩٧٦م. لكنه لم يتوصل إلى شيء.

وكانت النظرة إلى الأمن مختلفة بين دول المنطقة إيران الشاه والمملكة العربية السعودية. والعراق. فكان التصور الإيراني يعتمد على سوق آسيوية مشتركة بين إيران والهند وباكستان بهدف تشكيل كتل تواجه للقومية العربية. أما التصور العراقي فكان يركز على عروبة الخليج وعلى التنمية ويعتبرها أسس تحقيق الأمن في المنطقة.

لذا فقد رأت الدول العربية أن أمن الخليج يجب أن يرتبط بالأمن العربي وهو ما لم توافق عليه إيران.

وفي ضوء اختلاف وجهات النظر كان الاتجاه العام من جانب الدول العربية الذي تزعمته السعودية والعراق رفض الدخول في أحلاف أمنية للدفاع عن الخليج. وكما قال المغفور له الملك فيصل في رده على كيسنجر حول مشروع تواجد قوات التدخل والانتشار السريع لتأمين الخليج قال رحمه الله (أن أمن المنطقة من مسؤولية أبنائها) وكان البديل هو تحسين العلاقات السياسية والتضامن بين دول المنطقة فضلاً عن اتباع التدابير الذاتية^(٨).

المبحث الثاني

الجهود العربية نحو تأمين البحر الأحمر

عندما قامت الثورة المصرية عام ١٩٥٢م تطلعت إلى ضمان أمن البحر الأحمر بواسطة الأقطار التي تقع على سواحلها دون وجود قوى خارجية، فدعت إلى التضامن العربي في مواجهة كافة المخاطر والمطامع الأجنبية المتكالبة على الأمة العربية بأقطارها المشتتة والواقعة حتى الخمسينات تحت الإحتلال^(٩).

لقد بدأت مصر منذ عام ١٩٥٥م بسلسلة من اللقاءات والاتفاقات الثنائية والثلاثية والجماعية من أجل التضامن العربي ضد القوى الخارجية، وكانت أول هذه الجهود هو المؤتمر الذي عقد في القاهرة في ٨ فبراير عام ١٩٥٥م والذي شاركت فيه حكومات كل من الأردن وسوريا واليمن والسعودية بجانب مصر، ثم الإتفاق المصري السوري والذي عقد بدمشق في ٣ مارس ١٩٥٥م والذي انضمت إليه المملكة العربية السعودية في ٥ مارس من نفس العام والذي ينص على عدم الإنضمام إلى الحلف التركي العراقي أو أي أحلاف أخرى وعلى إقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادي عربي مشترك وعلى الإلتزام بالإشتراك في صد أي عدوان يقع على إحدى دول المنظمة وعلى إنشاء قيادة مشتركة دائمة وعلى عدم قيام أية دولة مشتركة في المنظمة بعقد اتفاقات دولية عسكرية.

كما كان من بين هذه الاتفاقات العربية ميثاق الحلف العسكري الذي تم التوقيع عليه في القاهرة في ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٥م بين كل من المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية لضمان الأمن والسلام ورد العدوان الخارجي عند وقوعه في إطار مبادئ ميثاق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية^(١٠).

ثم جاء ميثاق أمن جدة لتكتمل المسيرة في إطار التحالفات العربية التي تزعمتها مصر والذي وقع بمدينة جدة في ٢٠ - ٢١ ابريل عام ١٩٥٦م والذي ضم كلاً من مصر واليمن والسعودية ويهدف هذا الميثاق إلى حماية أمن البحر من خلال الدفاع المشترك ضد الأخطار

الخارجية وترجع أهمية هذا الميثاق إلى أن الدول التي وقعتته تشرف على جزء كبير من ساحل البحر الأحمر الآسيوي والأفريقي كما تمسك بمدخله الشمالية والمطلّة على خليج العقبة والبحر الأبيض المتوسط عبر قناة السويس ومدخله الجنوبية المطلّة على المحيط الهندي عبر مضيق باب المندب.

وقد جاء في صلب الميثاق «أن حكومات جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية توطيّدًا لميثاق الجامعة العربية وتأكيدًا لإخلاص الدول المتعاقده لهذه المبادئ ورغبة منها في زيادة تقوية وتوثيق التعاون العسكري وحرصًا على استقلال بلادها ومحافظة على سلامتها وإيمانًا منها بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينها يعتبر عاملاً رئيسيًا في تأمين سلامة واستقلال كل منها وتحقيقًا لأمانها في الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقًا لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافها وعملاً بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية، فقد اتفقت على عقد اتفاقية لهذه الغاية».

ومن ثم فقد نصت المادة الأولى من هذا الميثاق الأمني على حرص الأقطار الموقعة عليه على «دوام الأمن والسلام واستقرارهما» وهذا يعني اعتزام كل من مصر والسعودية واليمن على تأمين الأرض والبحر ضد كل عدوان خارجي ولكن - كما جاء في نفس المادة - باللجوء أولاً إلى أسلوب «فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية» وذلك تمثيلاً مع نصوص ميثاق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية بهذا الخصوص.

كما نصت المادة الثانية من الميثاق على أن «تعتبر الدول المتعاقدة كل إعتداء مسلح يقع على أية دولة منها أو على قواتها إعتداءً عليها، ولذلك فإنها عملاً بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن كيانها تلتزم بأن تبادر كل منها إلى معونة الدولة المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم جميع مالهيا من وسائل بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الإعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابها».

كما نصت المادة الثالثة على أن «تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها بناء على طلب إحداها، كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر في سلامة أراضي أية واحدة منها أو استقلالها وفي حالة خطر الحرب الداهم أو قيام حالة مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف».

حرصت المادة الرابعة من الميثاق على تأكيد التزام الأقطار الثلاثة بالدفاع المشترك وضمان الأمن حتى في حالة وقوع عدوان خارجي مفاجيء على إحدى دول الميثاق سواء حدث العدوان على الأرض أو المياه الإقليمية لتلك الدولة، وجاء هذا التأكيد في النص على أنه «بالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التي تتخذ لمواجهة هذا العدوان تقرر الدول الثلاث فوراً الإجراءات التي تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ».

وتتوالى مواد الميثاق لتؤكد التزام الدول الثلاث بضمان أمن وسلامة أراضيها أو مياهاها بإتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا الالتزام ومن بين هذه الإجراءات ما نصت عليه المادة الخامسة بتشكيل عدة أجهزة تتولى تنفيذ ما نص عليه الميثاق من التزام دفاعي مشترك مثل: المجلس الأعلى، والمجلس الحربي، والقيادة المشتركة.

وقد عالجت المواد السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشر كيفية تشكيل هذه المجالس واختصاصاتها ووظائفها وتمثيل دول الميثاق الثلاث فيها، فالمجلس الأعلى يتكون من وزراء الخارجية والحربية للدول المتعاقدة، والمجلس الحربي يتكون من رؤساء أركان حرب الجيوش الثلاث التابعة لدول الميثاق، بينما تتكون القيادة العامة من قائد عام وهيئة أركان الحرب والوحدات التي يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها، وتمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب وهي ذات صفة دائمة.

وانتهى الميثاق بالمادتين الحادية عشرة والثانية عشره الأولى نصت على عدم تعارض نصوص الميثاق مع موثيق هيئة الأمم المتحدة، بينما نصت الثانية على سريان الميثاق لمدة خمس سنوات تتجدد تلقائياً لمدة خمس سنوات أخرى وهكذا، ولأي دولة من الدول المتعاقدة أن تنسحب منها بعد إبلاغ الدولتين الأخريين كتابة برغبتها في ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أي من المدة المذكورة سابقاً (١١).

وهكذا كان ميثاق أمن جدة خطوة عربية لضمان أمن البحر الأحمر ولمواجهة أي تهديدات خارجية لهذا البحر، وبالتالي للدول المطلة عليه لأن تهديد أمن البحر الأحمر تهديد للدول الواقعة على سواحله الأفريقية والآسيوية في آن واحد، كما أن تهديد أمن الدول التي لها سواحل على البحر الأحمر تهديد لأمن هذا البحر وجعله مسرحاً لاضطرابات دولية بل وتنافس عالمي حول إمكانات البحر الأحمر وإمكانات دوله في وقت واحد.

وقد واجه صعوبات بسبب الخلافات العربية ميثاق جدة وتفتت الجهود والمحاولات العربية من أجل الإتفاق على استراتيجية موحدة لحماية البحر الأحمر بمداخله الجنوبية والشمالية وبعد حرب عام ١٩٦٧م واحتلال إسرائيل للأراضي العربية بما فيها الساحل الشرقي لسيناء والجزر الواقعة في المداخل الشمالية للبحر الأحمر، تيران وصنافير وجزء من خليج السويس^(١٢)، فقد فتح العرب عيونهم بشكل جاد على حقيقة المخاطر والاطماع الأجنبية التي تحيط بهم والتي أعادت للأذهان فكرة إحياء الإستراتيجية العربية الموحدة من أجل مياه البحر الأحمر بمداخله من القرن الأفريقي جنوباً إلى السويس شمالاً فكانت أولى هذه المحاولات أن تصدرت المملكة العربية السعودية الدعوة إلى التنسيق بين الدول المطلة على البحر الأحمر منذ عام ١٩٧٢م وكانت تهدف الدعوة أساساً إلى بحث الوسائل اللازمة للمحافظة على ثروات البحر الأحمر، لذا انعقد المؤتمر الأول في جدة في ١٥/٧/١٩٧٢م وبحث السبل والوسائل اللازمة للمحافظة على حقوق الدول المطلة على البحر الأحمر في ثرواته وقد اشتركت في هذا المؤتمر كل من مصر وأثيوبيا والسودان واليمن الشمالي والسعودية، وقد اتفقت الدول مجتمعة على استغلال هذه الموارد كذلك اتفقت على اتخاذ الإجراءات اللازمة لأجل حمايتها من تدخل الدول والهيئات الأجنبية^(١٣).

وعقب حرب أكتوبر صدر الإعلان المشترك للسودان ومصر والمملكة العربية السعودية باعتبار البحر الأحمر بحرًا إقليميًا عربيًا مغلقًا. إلا أنه في ١٢/١/١٩٧٦م عقد في جدة مؤتمر البرنامج الإقليمي لدراسة أمن البحر الأحمر وخليج عدن وحضره كل من مصر والسودان وأثيوبيا والصومال واليمن الشمالي واليمن الجنوبي والأردن بالإضافة إلى السعودية كذلك انعقد في ٢٧ فبراير ١٩٧٧م مؤتمر القمة الثلاثي بين مصر وسوريا والسودان في الخرطوم وكان أحد موضوعاته الرئيسية أمن البحر الأحمر، وقد خلص البيان الرسمي لهذا اللقاء إلى التأكيد على ضرورة توفير السلم والأمن في منطقة البحر الأحمر والتي لا بد وأن تكون منطقة سلام لصالح الشعوب وبعيدة عن الصراعات الدولية، وغني عن البيان أنه قد تردد آنذاك في الصحف العربية أن «البحر الأحمر هو بحر عربي» وكان من نتيجة ذلك هجوم أثيوبي على هذا الشعار الذي تجاهل وجودها على البحر الأحمر والذي يعكس في مضمونه ضوئاً أخضر لتأييد الثورة الأريتيرية^(١٤).

ثم جاء مؤتمر تعز والذي عقد في ٢٢ - ٢٣ مارس ١٩٧٧م كآخر خطوة اتخذتها الدول المطلة على البحر الأحمر حتى الآن للبحث في كيفية ضمان أمن البحر الأحمر ضد

التهديدات الخارجية، فقد جاء انعقاد هذا المؤتمر نتيجة لعدد من الأسباب وهي كما يلي:

١ - تغير النظام في أثيوبيا والذي أدخل الإتحاد السوفيتي إلى مياه البحر الأحمر عند السواحل الأريتيرية مما اعتبرته الأقطار العربية تهديدًا لأمنها وأمن البحر الأحمر وهذا يعتبر من أقوى الأسباب التي كانت وراء الدعوة لعقد مؤتمر لبحث ضمان أمن البحر الأحمر.

٢ - ازدياد اشتعال الثورة الأريتيرية ضد السيطرة الأثيوبية وهذا يدعو إلى تدخل قوى خارجية تساند طرفًا ضد الطرف الآخر مما يهدد أمن البحر الأحمر وبالتالي الدول المطلة عليه.

٣ - الصدام بين أثيوبيا والصومال حول إقليم أوجادين الذي تسيطر عليه أثيوبيا رغم أن معظم سكانه صوماليون ودخول الإتحاد السوفيتي وكوبا إلى جانب أثيوبيا.

٤ - محاولات إسرائيل التعاون مع أثيوبيا ضد الدول العربية من أجل أن تجد لها مواقع في جنوب البحر الأحمر قرب مضيق باب المندب، وخصوصًا بعد أن تغلب العرب عليها في حرب أكتوبر ١٩٧٣م، فمحاولات إسرائيل هذه تهدد أمن البحر الأحمر وبالتالي تزيد من تهديداتها لأمن الأقطار العربية المطلة على هذا البحر.

٥ - الصراع البحري على سواحل المحيط الهندي قرب مداخل البحر الأحمر بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي فقد استطاعت الولايات المتحدة الحصول على عدد من القواعد العسكرية في المحيط الهندي في كل من موريشيوس، ومالديف، وجزر ديجو جارسيا، كما استأجرت جزيرتي دهلك وسنتيان لمدة ٢٥ سنة من أثيوبيا وهما جزيرتان قريبتان من مضيق باب المندب، كما حصل الإتحاد السوفيتي على تسهيلات بحرية في عدن وفي ميناء بربرة الصومالي وفي موزمبيق، وبدأ يتطلع إلى الموانئ الأثيوبية على البحر الأحمر.

إن الوجود الأجنبي في البحر الأحمر ما هو إلا تهديد لأمنه وأمن الأقطار المطلة عليه، لذلك لا بد من إبعاد التدخلات الأجنبية عن البحر الأحمر وذلك من أجل الحفاظ على سلامة أمنه وأقطاره المطلة عليه (١٥).

ونتيجة لهذه الأسباب فقد أعلن الرئيس السوداني السابق جعفر نميري مبادرته التي أدت إلى عقد مؤتمر تعز في ٢٢ - ٢٣ مارس ١٩٧٧م باليمن الشمالي وضم رؤساء كل من: اليمن الشمالي واليمن الجنوبي والسودان والصومال بينما تغيبت عنه أهم الدول العربية المطلة على البحر الأحمر وهي مصر والسعودية بالإضافة إلى الأردن وهو الغياب الذي أفقد المؤتمر أهميته وبالتالي أدى إلى إضعاف نتائجه، ولهذا السبب أنهى المؤتمر إلى مجرد بيان صحفي معمم سجل عقد إجتماع تشاوري بين الرؤساء الأربعة جعفر نميري (السودان) وسياد برى (الصومال) وسالم ربيع علي (اليمن الجنوبي) وإبراهيم الحمدي (اليمن الشمالي) وجاء في البيان: «يجب أن يظل البحر الأحمر منطقة سلام ووثام، وأن الرؤساء اتفقوا على استغلال ثروات البحر الأحمر لمافيه مصلحة الشعوب في الدول المطلة عليه بل وعلى مواصلة الجهود لعقد لقاء موسع يضم كافة الدول المطلة عليه» (١٦).

هذا وقد سبق أن أكد الرئيس (الحمدي) في افتتاح المؤتمر «بأن المؤتمر ليس مظهرة ضد أحد ولا من أجل التآمر على أحد وإنما في الجمهورية العربية اليمنية ندرك أن هناك من يحاولون زج الدول المطلة على حوض البحر الأحمر في «حلبة الصراع الدولي» ولذا فإن علينا مسؤولية عظيمة تلك هي الخروج بأوطاننا من شبك الصراع الدولي» (١٧).

وبهذا البيان العام أجملت نتائج المحاولة الأخيرة لتحقيق استراتيجية عربية موحدة للبحر الأحمر ومداخله، ورغم أن الفارق الزمني بين ميثاق أمن جدة في عام ١٩٥٦م وبين مؤتمر تعز في عام ١٩٧٧م قد عمر بالمتغيرات السياسية الجديدة، وامتلاً بكل مظاهر الصراعات الدولية حول هذه المنطقة الإستراتيجية، فإن السياسات العربية ظلت متناقضة ومختلفة، ولم تستطع الإتفاق والتلاحم من أجل حماية أمن هذا البحر وأمنها أيضاً.

لذلك لا بد من وضع استراتيجية عربية تعبر عن إرادة عربية فعلية وواقعية من أجل ضمان أمن البحر الأحمر وضمان أقطاره من أي تهديدات داخلية أو خارجية.

هوامش الفصل الثالث

- (١) نجيب صالح، «العصر الإسرائيلي من قناة السويس إلى باب المندب»، ط ١ (بيروت: دار إقرأ، ١٩٨٣م) ص ١٢٣.
- (٢) د. اسماعيل صبري مقلد، «أمن الخليج وتحديات الصراع الدولي»، ط ١ (الكويت: شركة الربيعان، ١٩٨٤م) ص ٢٣ وما بعدها.
- (٣) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢م) ص ٢٣٨ وما بعدها.
- (٤) صلاح الدين حافظ، نفس المرجع، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.
- (٥) نجيب صالح، المرجع السابق، ص ١٢٣.
- (٦) د. إسماعيل صبري مقلد، المرجع السابق، ص ٢٢ وما بعدها.
- (٧) نجيب صالح، المرجع السابق، ص ٢٣٠ وما بعدها.
- (٨) عبد العاطي محمد أحمد، «التوتر ومشكلات الأمن في الخليج العربي»، السياسة الدولية، العدد ٥٩، (القاهرة: يناير ١٩٨٠م) ص ١٠٣ - ١٠٤.
- (٩) صلاح الدين حافظ، المرجع السابق، ٢١٥.
- (١٠) د. رأفت عنيمي الشيخ «أمن البحر الأحمر بين ميثاق أمن جدة ومؤتمر تعز، مجلة دار الملك عبد العزيز، العدد الثاني، (الرياض، يناير ١٩٨١م) ص ١٥٠ - ١٥١. نقل بتصرف.
- (١١) د. رأفت عنيمي الشيخ، نفس المرجع، ص ١٥١ - ١٥٤. نقل بتصرف.
- (١٢) حلمي عبد الكريم الزعبي، الإستراتيجية الصهيونية للسيطرة على البحر الأحمر، شؤون عربية، العدد ٤٧، (تونس: سبتمبر ١٩٨٦م) ص ١٩٨.
- (١٣) جمال علي زهران، «نحو استراتيجية عربية في البحر الأحمر في ضوء قانون البحار الجديد»، قضايا عربية، العدد ٥، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م) ص ١٤١.
- (١٤) جمال علي زهران، نفس المرجع، ص ١٤٢.
- (١٥) د. رأفت عنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص ١٥٥ وما بعدها.
- (١٦) صلاح الدين حافظ، المرجع السابق، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
- (١٧) د. السيد عليوه، سياسة اليمن في البحر الأحمر، السياسة الدولية، العدد (القاهرة: أكتوبر ١٩٧٨م) ص ١٠٧.

الخاتمة

لابد لكل بحث أن يصل في النهاية إلى نتائج وتوصيات لذا فإنه ينبغي في نهاية هذا البحث الوقوف على أهم النتائج التي توصل إليها، والتي سبق ذكرها، وسيكتفى هنا بالإشارة إليها فقط وذلك تلافياً للتكرار وهي كالتالي:

- ١ - عدم وجود استراتيجية عربية واضحة المعالم ونافذة المفعول حيال البحر الأحمر مما جعله حلبة للصراعات الإقليمية والدولية على حد سواء.
- ٢ - منح بعض الدول المطللة على البحر الأحمر القواعد والتسهيلات العسكرية للدول الكبرى، وخاصة في بعض جزر البحر الأحمر مما يهدد أمن هذا البحر ودوله.
- ٣ - تصدى الكيان الصهيوني وأثيوبيا لأية سيادة عربية مشتركة على البحر الأحمر ومحاولة إبطائها.
- ٤ - سعي الكيان الصهيوني إلى وضع استراتيجية تهدف إلى حرمان العرب من حقوقهم الطبيعية والثابتة في البحر الأحمر.
- ٥ - التواجد السوفيتي والأمريكي في المحيط الهندي وتحكمه في أهم الممرات الملاحية العالمية - البحر الأحمر - والخليج العربي، بالإضافة إلى قربه من منابع البترول في الخليج والجزيرة العربية وهذا يشكل تهديداً صارخاً لأمن هذه الممرات المائية العالمية وبالتالي تهديداً لأمن الدول المطللة عليها.

هذا فيما يتعلق بالنتائج أما التوصيات فهي كما يلي :

الدعوة الجادة لعقد مؤتمر عربي تشترك فيه كافة الدول العربية المطللة على البحر الأحمر من أجل وضع استراتيجية عربية واضحة المعالم تهدف إلى تعزيز الأمن القومي العربي خاصة في البحر الأحمر وبالتالي إبعاده عن الأطماع والصراعات الدولية ويتقرر في هذا المؤتمر مايلي :

- ١ - إنشاء قوة عسكرية بحرية موحدة ممثلة فيها كافة الدول العربية المطللة على البحر الأحمر والتي يجب أن تشتمل على أحدث القطع البحرية بكافة

أشكالها بالإضافة إلى الأفراد المدربين على استخدامها وأن يتم التعاون والتنسيق بين هذه القوة العربية في البحر الأحمر وبين القوة العربية الأخرى المقابلة لها في الخليج العربي وهي قوات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، فبالتعاون والتنسيق يمكن لهما حماية السواحل العربية في الخليج العربي والبحر الأحمر من أي خطر أجنبي يهددها وبالتالي السيطرة على مياهما.

٢ - إنشاء هيئة عربية برأس مال مشترك بين دول البحر لتطوير موانئه وإنشاء موانئ جديدة تستطيع مواجهة النشاط التجاري المتنامي وتزويدها بكل ما تحتاجه من تكنولوجيا العصر.

٣ - ضرورة الاهتمام المستمر بالجزر الموجودة في البحر الأحمر والتي تتناثر أمام ساحل كل دولة عربية تطل عليه، كما أنه من الضروري تحويل بعض هذه الجزر والتي تتمتع بموقع جغرافي واستراتيجي إلى قواعد عسكرية عربية لحماية المضائق الشمالية والجنوبية والمواني البحرية وذلك لأنه من المحتمل شن هجومات عدائي مفاجيء عليها، كما يجب فرض الوجود الحضاري العربي على الجزر المناسبة ذات الأهمية الإستراتيجية ومد هذه الجزر بما تحتاجه من مرافق الحياة وإيجاد بعض الصناعات البيئية لتساعد السفن الجواله (الحراسة) على أن تأخذ حاجتها من الوقود والطعام والشراب ولتكن مواقع أمن متقدمة في وجه أي عدو يدخل البحر الأحمر.

٤ - توسيع الشركة السعودية السودانية لاستغلال ثروات البحر الأحمر بحيث يمكنها أن تضم بقية الدول العربية المطلة على هذا البحر أو إنشاء شركة عربية جديدة تسعى لتحقيق نفس الغرض.

٥ - العمل على كسب جانب أثيوبيا بحيث تكون سياستها تجاه البحر الأحمر أكثر اعتدالاً و متمشية مع سياسات الدول العربية المطلة عليه، ومطالبتها بسحب كافة التسهيلات البحرية التي منحتها للكيان الصهيوني لأن ذلك يهدد أمن هذه الدول العربية المطلة على البحر الأحمر.

٦ - وضع خطة مرحلية للقضاء على الوجود الأجنبي في البحر الأحمر وذلك بالعمل على تحييده وإخراجه من دائرة الصراعات الدولية.

قائمة المراجع

المراجع العربية

الكتب المتخصصة :

- ١ - د. أجييه يونان جرجس. البحر الأحمر ومضايقه. القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧م.
- ٢ - د. اسماعيل صبرى مقلد. أمن الخليج وتحديات الصراع الدولي، الكويت: شركة الربيعان، ١٩٨٥م.
- ٣ - أمين هويدي. أحاديث الأمن العربي. بيروت : دار الوحدة، ١٩٨٠م.
- ٤ - د. شوقي عطالله الجمل. سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. القاهرة: النهضة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- ٥ - صلاح الدين حافظ. صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والآداب، ١٩٨٢م.
- ٦ - عبدالغني عبدالرحمن محمد. البحر الأحمر والأطماع الدولية. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.
- ٧ - د. عبدالله عبدالمحسن السلطان. البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤م.
- ٨ - علي عجيل منهل. البحر الأحمر وجزره، أهميته السياسية والاقتصادية والعسكرية للوطن العربي. جامعة البصرة: مركز دراسات الخليج العربي، السلسلة الخاصة ٤٠، ١٩٨٠م.
- ٩ - د. فؤاد عبدالسلام فارسي. قضايا سياسية معاصرة. جدة: تهامة، ١٩٨٢م.
- ١٠ - نجيب صالح. العصر الإسرائيلي من قناة السويس إلى باب المنذب. بيروت: دار إقرأ، ١٩٨٣م.

الكتب العامة :

- ١ - د. أحمد عزت عبدالكريم. دراسات في تاريخ العرب الحديث. بيروت : دار

النهضة العربية، ١٩٧٠م.

- ٢ - د. دولت أحمد صادق وآخرون. الجغرافيا السياسية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

الدوريات :

- ١ - الدارة. دار الملك عبدالعزيز. العدد الثاني. الرياض: يناير ١٩٨١م.
- ٢ - مجلة الدراسات الدبلوماسية. معهد الدراسات الدبلوماسية. العدد الأول. جدة: مطابع دار البلاد، ابريل ١٩٨٤م.
- ٣ - مجلة السياسة الدولية. مؤسسة الأهرام. العدد ٥٠. القاهرة: أكتوبر ١٩٧٧م.
- ٤ - مجلة السياسة الدولية. مؤسسة الأهرام. العدد ٥٤. القاهرة: أكتوبر ١٩٧٨م.
- ٥ - مجلة السياسة الدولية. مؤسسة الأهرام. العدد ٥٧. القاهرة: يوليو ١٩٧٩م.
- ٦ - مجلة السياسة الدولية. مؤسسة الأهرام. العدد ٥٩. القاهرة: يناير ١٩٧٩م.
- ٧ - مجلة السياسة الدولية. مؤسسة الأهرام. العدد ٦٦. القاهرة: أكتوبر ١٩٨١م.
- ٨ - مجلة شؤون عربية. جامعة الدول العربية. العدد ٤٧. تونس: سبتمبر ١٩٨٦م.
- ٩ - مجلة قضايا عربية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. العدد ٥. بيروت: ١٩٨١م.
- ١٠ - مجلة كلية الملك خالد العسكرية. كلية الملك خالد العسكرية. العدد ٧، الرياض: مطابع الحرس الوطني ١٩٨٦م.
- ١١ - مجلة المستقبل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. العدد ٩. بيروت: ١٩٧٩م.

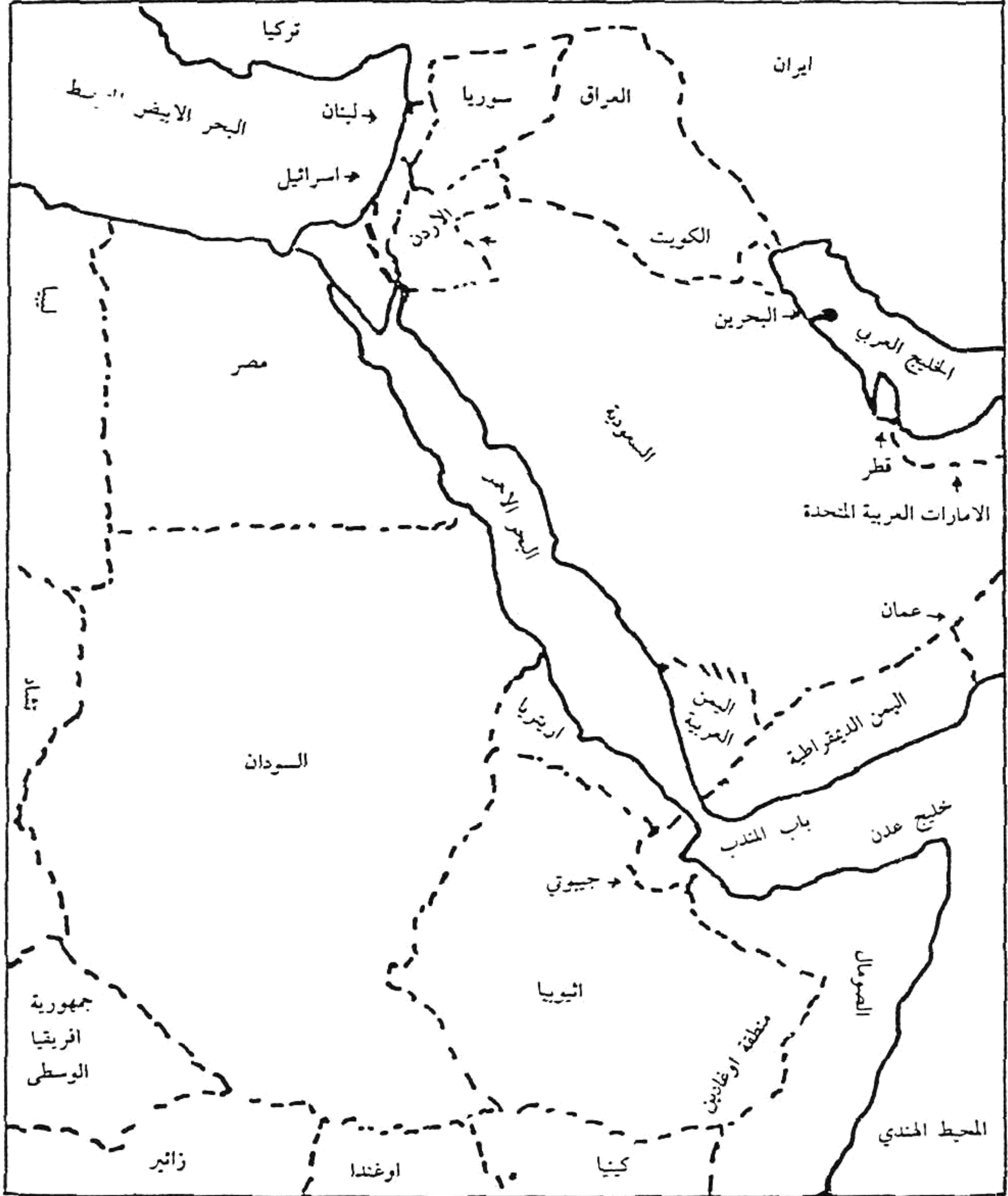
الندوات :

- ١ - ندوة البحر الأحمر. معهد الدراسات الدبلوماسية. الرياض: مرامر للطباعة، ١٩٨٥م.
- ٢ - ندوة البحر الأحمر. جامعة الكويت. الكويت: يوليو ١٩٧٧م.

المراجع الأجنبية :

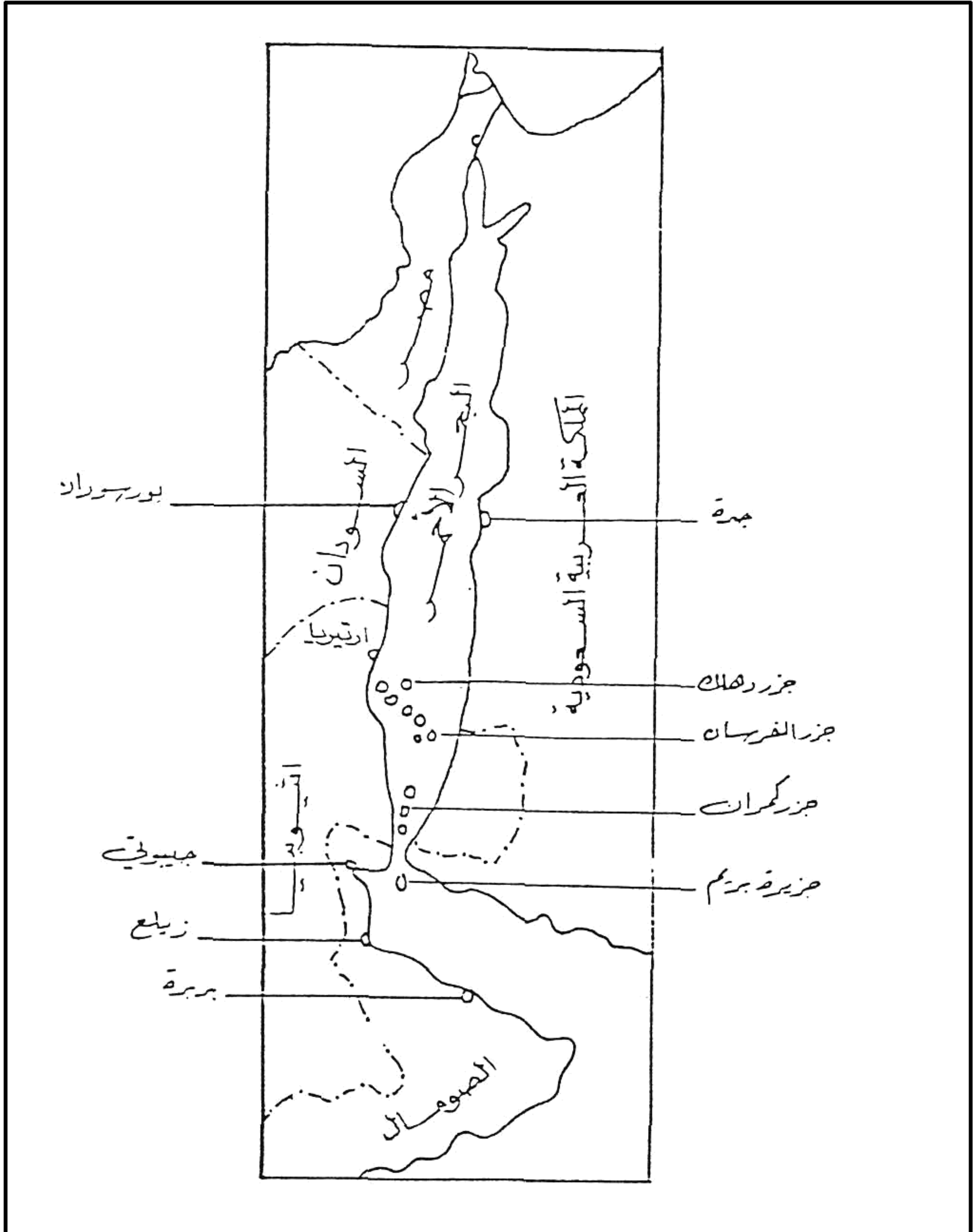
- 1- Mangone, Gerard J. **The Red Sea and the Gulf of Aden** Martinus Nijhoff publishers, The Hague/ Boston/ London, 1982.
- 2- Koury Enrer M. And others. **The Arabian Peninsula, Red Sea, and Gulf: Strategic Considerations.** The Institute of Middle Eastern and North African Affairs (INC), 1979.
- 3- Farid, Abdel Majid. **The Red Sea: Prospects for Stability** . Arad Research Center, 1984.

منطقة البحر الأحمر وما حولها

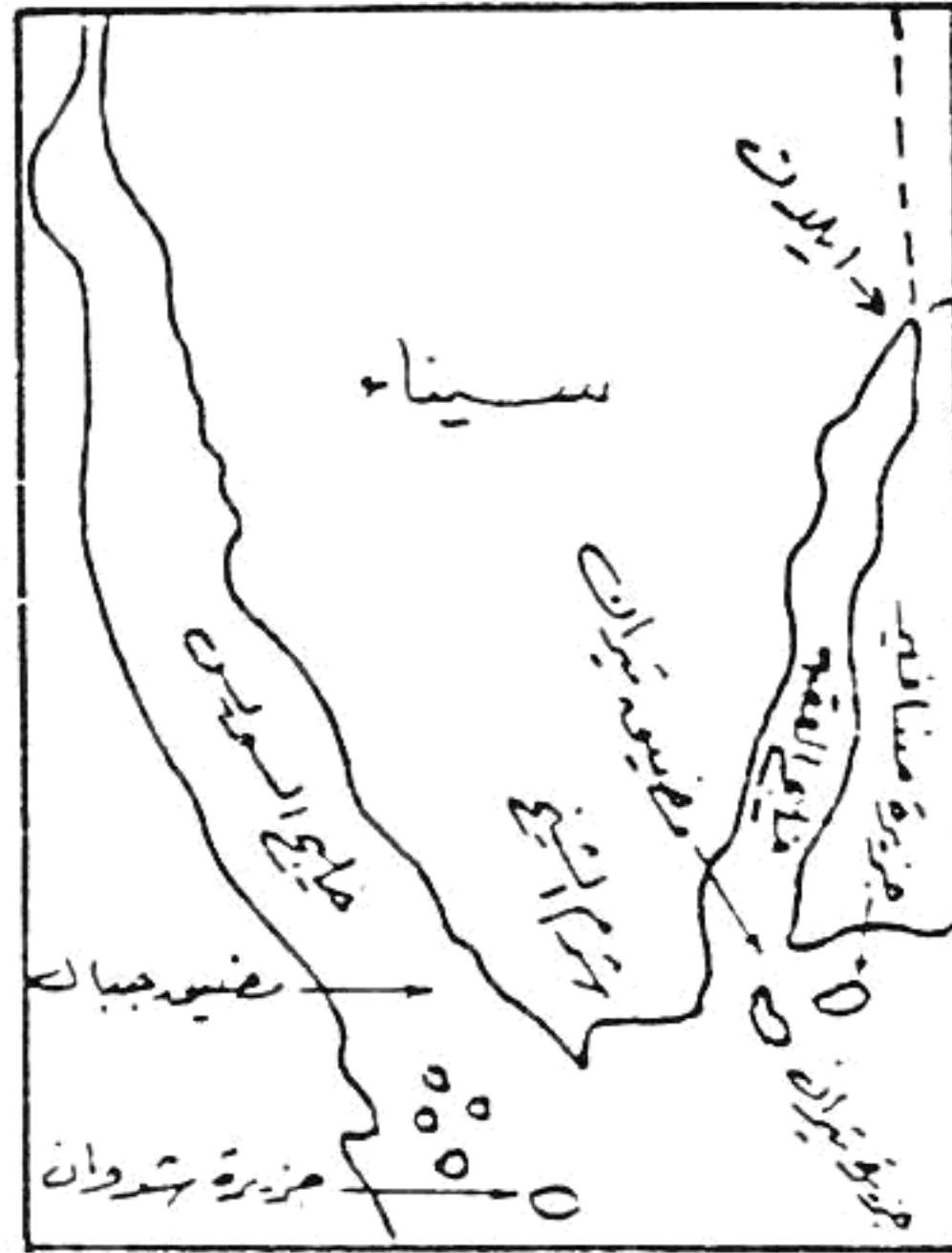


* د. عبدالله عبدالمحسن السلطان. البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤م.

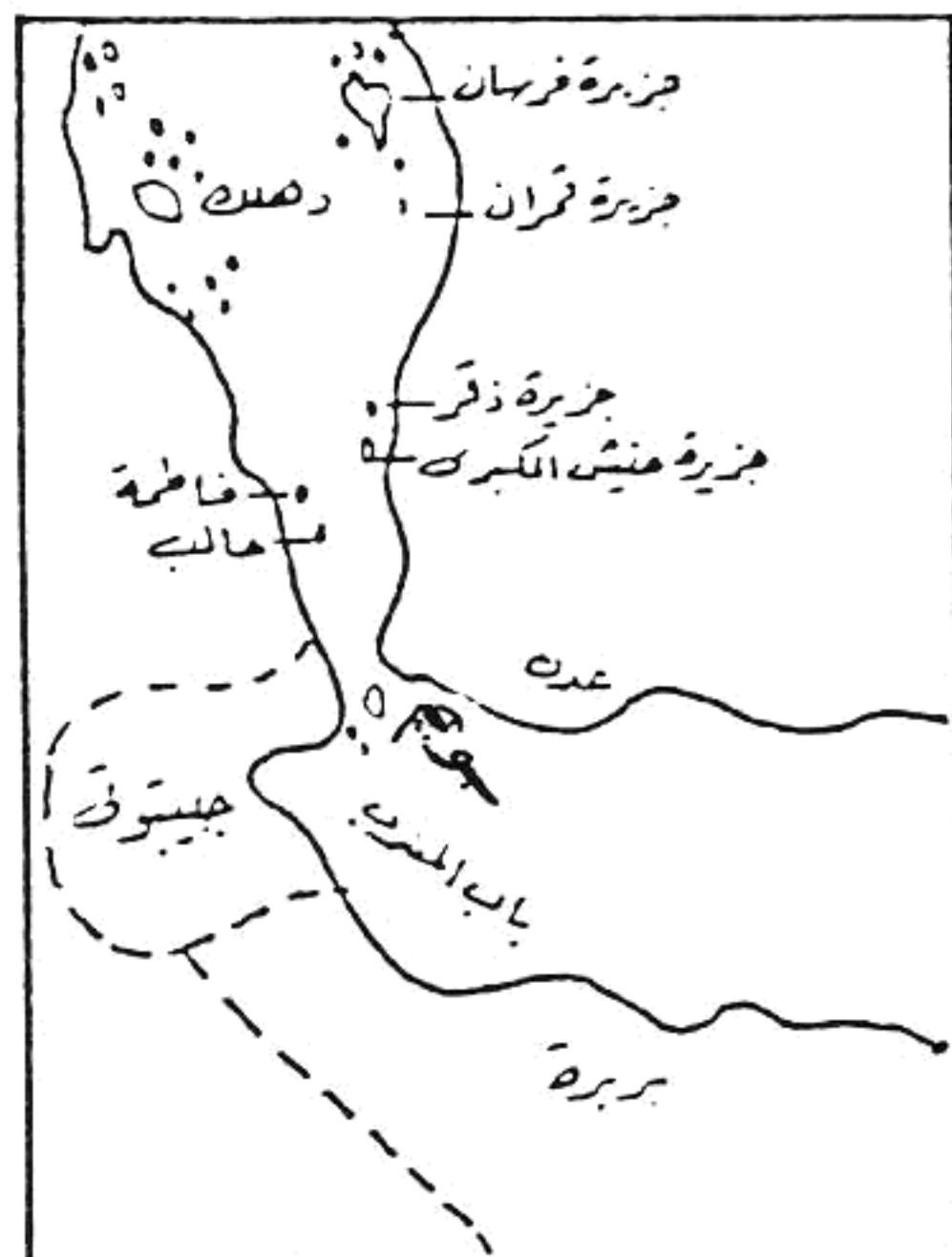
موانئ وجزر البحر الأحمر



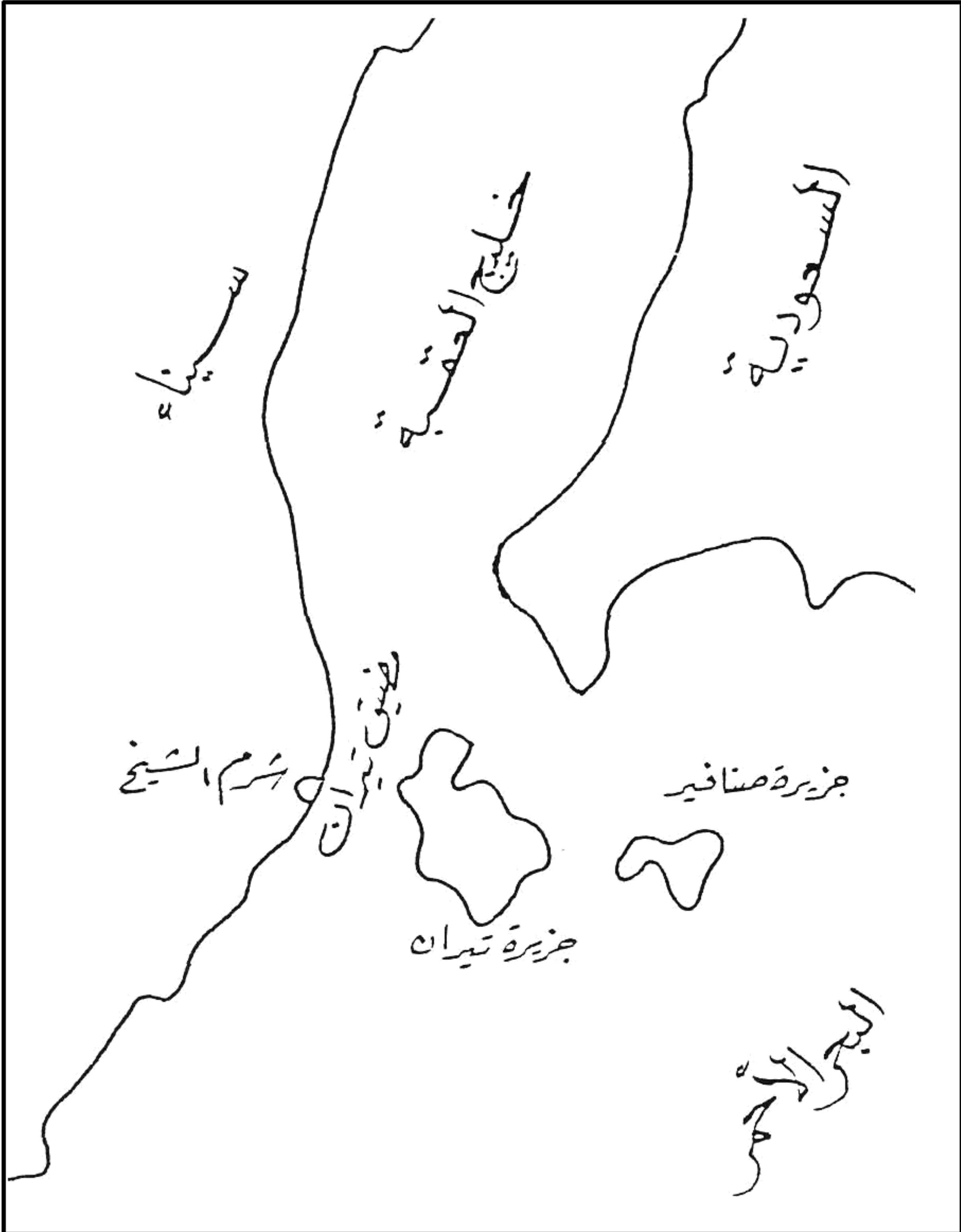
*** أهم الجزر الواقعة شمالي البحر الأحمر**



*** أهم الجزر الواقعة جنوبي البحر الأحمر**



* مضيق تيران وجزره



* مجلة التعاون. الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية. العدد السادس.
الرياض : ابريل ١٩٨٧م.

هجرة
اليهود الفلانا

هجرة اليهود الفلاشا

إشراف

الدكتور نظام بركات

اعداد الدارس

حماد غانم مصبول الرويلي

مقدمة

إن اسرائيل وهي تعتبر نفسها المسئولة عن اليهود في العالم تحاول وبشتى الطرق استقطاب أكبر عدد ممكن منهم إلى فلسطين وذلك من أجل تكريس احتلالها لتلك البقعة الغالية من أرضنا العربية، ونراها بين حين وآخر تقوم بجلب مهاجرين يهود من دول كانت تمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين سواء من الإتحاد السوفيتي أم من إيران أم الفلاشا من أثيوبيا أم غيرها من الدول.

وفي هذا البحث سوف نلقي نظرة على هجرة يهود الفلاشا لما لهذا الموضوع من أهمية تستحق الدراسة والتمحيص لأن مثل هذه الحادثة ربما ستكرر في أي وقت وبأي مكان. ولذلك رأينا أن نلقي بعض الضوء عليها.

وستكون دراستنا لهذا البحث عن طريق أربعة فصول تأخذ الشكل التالي:-

الفصل الأول: المجتمع اليهودي خارج فلسطين:

وسنتناول في هذا الفصل الأقليات اليهودية في العالم والأقلية اليهودية في أثيوبيا وسيأخذ الموضوع الأول شكل إحصائي أما الموضوع الثاني فسيكون تاريخي.

الفصل الثاني: أهمية الهجرة إلى فلسطين بشكل عام:

نتطرق فيه وبشكل عام إلى دوافع الهجرة ووسائل الهجرة ليكون بذلك مدخلاً للفصل الذي يليه.

الفصل الثالث: هجرة يهود الفلأشا:

يتناول هذا الفصل دوافع هجرة الفلأشا بالنسبة للكيان الإسرائيلى وبالنسبة لليهود الفلأشا أنفسهم ثم تنتقل إلى وسائل الهجرة وكيف تمت عملية التهجير ودور الأطراف الذين ساهموا فى هذه العملية ثم بعد ذلك نتطرق لحجم الهجرة والتقديرات المختلفة والمتباينة لهذا الحجم.

الفصل الرابع: تأثير هجرة الفلأشا على الكيان الإسرائيلى:

وسنتعرض فى هذا الفصل إلى الأثر السياسى والأثر الأمنى والعسكرى والأثر الاجتماعى والثقافى والأثر الإقتصادى لهذه الهجرة على الكيان الإسرائيلى ثم نختتم البحث بخاتمة نبين فيها مؤشرات الهجرة فى المستقبل والدور الذى يجب أن تقوم به الدول العربية لمنع تكرار مثل هذا الحدث.

الفصل الأول

المجتمع اليهودي خارج فلسطين

- المبحث الأول: الأقليات اليهودية في العالم.**
- المبحث الثاني: الأقلية اليهودية في أثيوبيا.**

المبحث الأول

الأقليات اليهودية في العالم

يعيش حوالي ٧٠٪ من اليهود خارج فلسطين المحتلة كمواطنين أصليين في الدول التي يتواجدون فيها وهناك تقديرات متفاوتة لأعداد اليهود في العالم وهذه التقديرات تتراوح عادة بين ٩ ملايين و١٤ مليون يهودي موزعين على قارات العالم، والسبب في ذلك يمكن إرجاعه إلى عدة أمور: ^(١)

- ١ - إن كثير من الدول وخاصة الدول النامية ليست لديها إحصاءات دقيقة عن السكان بشكل عام.
- ٢ - إن الدول وخاصة الدول الغربية لا تهتم بالديانة عند القيام بإحصاء لعدد السكان فيها.
- ٣ - بعض الدول لا تحاول إعطاء العدد الحقيقي لليهود الموجودين فيها وذلك تجنباً لما يثار حولها من مشاكل بشأن السماح لهم بالهجرة مثل الاتحاد السوفيتي.
- ٤ - إن بعض هذه الإحصائيات تضم اليهود بشكل عام سواء من كان منهم داخل فلسطين أو خارجها ولا تشير إلى ذلك.
- ٥ - إهمال التناقص الذي يطرأ على عدد اليهود في العالم والذي من أسبابه التولد السلبي «الوفيات أكثر من المواليد» والدوبان داخل المجتمعات الأخرى بسبب التزاوج المختلط الذي تصل نسبته إلى حوالي ٥٠٪ في بعض المجتمعات.

هذه بعض الأسباب على سبيل المثال لا الحصر التي تجعل من الصعوبة أخذ رقم حقيقي لأعداد الأقليات اليهودية في العالم. وسنعمد نحن التقديرات المتوسطة من الاحصاءات التي بين أيدينا والتي يتلاعب الصهيونيون بها زيادة أو نقصاً في هذا البلد أو ذاك حسب مصلحتهم.

جدول رقم (١)

تعداد اليهود في العالم حتى عام ١٩٨٥ (تقريباً) (٢)

| العدد | الجهة |
|---------------------------|------------------------------------------------|
| ٣٥٠٠,٠٠٠ | إسرائيل |
| ٣,٠٠٠,٠٠٠ (٣) | الولايات المتحدة الأمريكية |
| ١,٠٠٠,٠٠٠ | دول غربية أخرى |
| من ٢٥٠٠,٠٠٠ - ٣,٠٠٠,٠٠٠ | الاتحاد السوفيتي |
| ١,٠٠٠,٠٠٠ | دول شرقية أخرى |
| ٥٠٠,٠٠٠ | دول أمريكا اللاتينية |
| حوالي ١٠٠,٠٠٠ | دول عربية وإيران |
| | (سوريا - المغرب - تونس - مصر - العراق - اليمن) |
| ٢٠٠,٠٠٠ | أفريقيا |
| ١,٠٠٠,٠٠٠ | دول أخرى |
| ١٣,٢٠٠,٠٠٠ - ١٢,٨٠٠,٠٠٠ | المجموع مع إسرائيل |
| ٩,٨٠٠,٠٠٠ - ٩,٣٠٠,٠٠٠ (٤) | المجموع بدون إسرائيل |

من هنا نجد أن أكبر تجمع لليهود هو في الولايات المتحدة الأمريكية يليها الاتحاد السوفيتي ثم أوروبا الشرقية والغربية ثم أمريكا اللاتينية ثم أفريقيا ثم الدول العربية وإيران أما البقية فهم منتشرون في أقطار العالم الأخرى وقد كان اليهود قبل قيام ما يسمى بالحركة الصهيونية ومن ثم إسرائيل يشكلون نسباً أعلى في المجتمعات التي أشرنا إليها ولكن تهجير أعداد كبيرة منهم إلى إسرائيل وإندهم أكثر في المجتمعات التي يعيشون فيها وتخلي بعضهم عن يهوديته بسبب الزواج المختلط قد قلل من عددهم

ويتوقع أن يصل عدد اليهود في العالم مستقبلاً من خلال التقديرات المتوسطة لهم إلى ٨٩ مليون سنة ١٩٩٠ وإلى ٧٩ مليون سنة ٢٠٠٠ انظر الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢) ^(٥)

| الأقطار | سنة ١٩٩٠ | سنة ٢٠٠٠ |
|----------------------------|----------|----------|
| الولايات المتحدة الأمريكية | ٥٦٠٠٠٠٠ | ٥٣٠٠٠٠٠ |
| في غرب أوروبا | ١٠٠٠٠٠٠ | ٩٠٠٠٠٠٠ |
| في شرق أوروبا | ١٢٠٠٠٠٠ | ٩٠٠٠٠٠٠ |
| في كل البلدان | ٨٩٠٠٠٠٠ | ٧٩٠٠٠٠٠ |

ويشير احد التقارير إلى تناقص أعداد اليهود إذ يعتبر اليهود الموجودين في الولايات المتحدة أثناء أعداد البحث هو ٦ ملايين يهودي وحسب التوقعات في ذلك البحث فإنه في سنة ٢٠٢٥ سيكون في العالم ٥ مليون يهودي وفي إسرائيل ٦ ملايين.

ووفق معطيات الكتاب الإحصائي السنوي لعام ١٩٨٤م كان عدد المواليد اليهود في إسرائيل سنة ١٩٨٣م (٧٤٩٨٣) ووفق بحث شملتس كان عدد المواليد اليهود خارج إسرائيل لنفس العام ٩٠٠٠٠٠، ويوجد في فلسطين المحتلة ٤ ملايين يهودي وفي العالم ٩٦ مليون ويرجع التناقص إلى التوالد السلبي «الوفيات أكثر من المواليد» والذوبان داخل المجتمعات الأخرى بسبب التزاوج المختلط ^(٦).

المبحث الثاني

الأقلية اليهودية في أثيوبيا

أثيوبيا: الموقع والمساحة والسكان: (٧)

أثيوبيا هي إحدى الدول الواقعة في شرق أفريقيا وهي من دول حوض نهر النيل. لا تطل على البحر الأحمر إلا عبر إقليم أريتريا المحتل. يحدها غرباً السودان. وجنوباً كينيا وتشارك بحدود طويلة مع السودان ومساحتها ١٠٠٠ر٢٢١ كم مربع.

عدد السكان: ٢٨٠٠٠٠٠٠ر٦٧٨ نسمة حسب تعداد عام (١٩٧٦م). ويتكلمون اللغة الأمهرية وهي اللغة الرسمية مع انتشار الانجليزية بشكل واسع واستعمال العربية في إقليم أريتريا.

الدين : الإسلام (أكثر من ٥٠% من السكان) والمسيحية (حوالي ١٠ ملايين أي مايقارب ٣٤ر٨% من السكان) وهم تابعين للكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالإضافة إلى ديانات أفريقية مختلفة وأقلية يهودية الفلاشا (وجميع السكان من الأقليات الدينية الأخرى بما فيهم الفلاشا يمثلون حوالي ٢ر١٥% من عدد السكان).

التعريف بالفلاشا :

الفلاشا طائفة يهودية أثيوبية ذات معتقدات خاصة مختلفة عن سائر الطوائف اليهودية، ويطلق الأثيوبيون على أبناء هذه الطائفة اسم الفلاشا الذي يشتق من كلمة بالاش العبرية ويعني المهاجر والبدوي في ذات الوقت أما هم فيطلقون على أنفسهم اسم بيتا إسرائيل وتعني قبيلة إسرائيل^(٨) كما يطلقون على أنفسهم أحياناً اسم الكابلا وهي كلمة من لغة الاغاو القديمة^(٩). ولا توجد احصاءات دقيقة حول عدد يهود الفلاشا في أثيوبيا ويتراوح عددهم بين ٢٥ ألف و٣٢ ألف، وعلى أية

حال فإن العدد التقريبي هو ما بين هذين الرقمين المذكورين. (*)

أما من ناحية أصل الفلاشا فقد تضاربت الآراء حوله ولا يزال هناك الكثير من النظريات غير الحاسمة حول أصل الفلاشا فمنهم من يرجع تاريخهم إلى حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وبأنهم يرجعون بأصلهم إلى نبلاء القدس — وهذا ما يدعيه الفلاشا أنفسهم — الذين رافقوا الأمير مينيليك إلى بلاده أثيوبيا في تلك الفترة وهذا الأمير هو ابن الملك سليمان من زوجته ملكة سبأ التي تزوجها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد بعد أن زارته في القدس^(١٠). ومن النظريات أيضاً من يعود بتاريخهم إلى ٢٠٠٠ ألفين سنة قبل الميلاد. وأنهم ينحدرون من فصائل قديمة إعتنقت اليهودية وانقطعت عن العالم منذ ذلك التاريخ^(١١). وبأنهم اعتنقوها على يد بعض التجار اليمنيين اليهود قبل دخول المسيحية بلاد الحبشة أو لعلمهم اعتنقوا اليهودية عن طريق اليهود القادمين من جنوب الجزيرة العربية. أو عن طريق بعض اليهود الذين هاجروا من مصر واستوطنوا الحبشة أو عن طريق الجنود اليهود الذين كانوا يخدمون في الفرقة الرومانية على الحدود المصرية النوبية أو لعلمهم من سلالة جالية تجارية استوطنت هناك وتغيرت معالمها بالاختلاط والتزاوج^(١٢).

ومن هنا يتبين نوع الغموض الذي يخيم على حقيقة أصل وتاريخ الفلاشا وذلك ربما يعود إلى فقدان المصادر التاريخية وعدم موضوعية ما هو متوفر منها في هذا الخصوص. فالقديمة منها ذات منحى مسيحي أو تحيز يهودي ولذلك سوف يظل هذا الموضوع مطروحاً للتساؤلات.

ولكن هذا لا يمنع أن نتبع بعض النظريات أو الآراء حول هذا الموضوع فالرأي التقليدي السائد في أثيوبيا يرد الفلاشا إلى قصة الملك سليمان وملكة سبأ كما ذكرنا آنفاً وهذه القصة وردت في كتب التراث الأثيوبي وعلى الأخص في مجموعة عظمة الملوك وتقول أن ملكة سبأ (ما كيدا) التي إمتد حكمها إلى أكسوم في شمال أثيوبيا

(*) هناك تقديرات متضاربة بنسبة كبيرة حول عددهم والسبب في الاختلاف يعود إلى مشكلة الاحصاءات الدقيقة بشكل عام في دول العالم الثالث وفي اختلاف المصادر فمثلاً الكتاب اليهودي السنوي ١٩٨٣ م يقدرهم ٢٨ ألف والكتاب الصهيوني السنوي ٨٣ — ١٩٨٤ يقدرهم ٣٢ ألف.

سافرت إلى القدس لتتعلم الحكمة من سليمان وعند عودتها إلى أثيوبيا — بعد أن كانت اعتنقت اليهودية بتأثير من ملكها سليمان — أنجبت منه ولداً سمي «منيليك» وعندما كبر توجه إلى القدس حيث استقبل بحفاوة من والده سليمان الذي أمر بعض رجال حاشيته وبلاطه الملكي بمرافقة الأمير إلى أثيوبيا عند عودته ومرافقيه وقبل عودتهم استولوا على قوس الميثاق خلصة وأخذوه معهم إلى أثيوبيا. (*)

وقد تربع منيليك على عرش أمه بعد وفاتها وبدأ سلالة من الملوك وكان دستور أثيوبيا المعمول به قبل الثورة يشير إلى أن الامبراطور هيلاسيلاسي هو أحد ملوك هذه السلالة.

ويميل المسيحيون الأثيوبيون إلى القول نحن كنا يهوداً قبل أن نكون مسيحيين ومن الصعب التمييز بين الملامح الجسدية للأثيوبيين اليهود من جهة والمسيحيين منهم من جهة أخرى. وعلى الرغم من أن هذه النظرية عن أصل الفلاشا غير مبرهنة كلياً إلا أن ما يدعمها هو وجود عناصر لاهوتية وحضارية متشابهة عند الأثيوبيين المسيحيين واليهود (١٣).

أما النظريات الأخرى حول أصل الفلاشا والتي يعتمدها البحاثة الأجانب للتاريخ الأثيوبي فليست متعلقة بقصة ملكة سبأ وسليمان ولعل أحد أكبر المراجع في هذا الموضوع هو البروفيسور إدوارد أوليندورف والبروفيسور جوزيف طوبيانا الإختصاصي بالحضارات الأفريقية، وهو أن أصل الفلاشا الأسود وفهمهم الخاص جداً للدين اليهودي يؤكد بأنهم أفراد قبيلة أثيوبية اعتنقت الدين اليهودي بعد أن أدخلوا عليه تعديلات تتناسب ومفاهيمهم المستمدة من وسط بيئتهم (١٤). ويضيف البروفيسور طوبيانا أن الفلاشا ينحدرون أساساً من الاغاوا كما ذكرنا وهو أقدم شعب سكن شمال أثيوبيا قبل أن يحكمهم الساميون الذين جاءوا من اليمن اثر إنهار مملكة سبأ وأقاموا مملكة إسمها «الأكسوم» وأن هذه المملكة إنهارت في القرن الرابع الميلادي إثر خلافات عنيفة بين القبائل التي شكلتها. ومنذ ذلك الحين انقسم شعب الاغاوا

(*) ويسمى تابوت العهد وهو صندوق يضم وصايا موسى كما يعتقد اليهود.

إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة ديانات رئيسية: القسم الأول اعتنق المسيحية الأرثوذكسية، القسم الثاني هاجر من المنطقة وسكن منطقة أخرى اسمها «البابان» أما القسم الثالث فقد اعتنق اليهودية وأقام في منطقة «الفوندور» التي كانوا يقيمون فيها إلى وقت قريب قبل أن يتم تهجير القسم الأكبر منهم إلى الكيان الصهيوني.

ويؤكد البروفيسور طوبيانا أن هذا هو السبب في أن الفلاشا لا يعرفون إطلاقاً العبرية وهم يتكلمون اللغة الأمهرية بعد أن إندثرت لغتهم الأصلية المسماه باسم «الغويانا»^(١٥). نسبة إلى «الغاوا» وهذا عرق أثيوبي صاف. أما تقاليدهم وعاداتهم فهي تشكل خليطاً من المعتقدات والطقوس الوثنية واليهودية والمسيحية. فهم بذلك «جزء لا يتجزأ من التاريخ والحضارة الأثيوبية لدرجة أن أحد المؤرخين نزع صفة اليهود عنهم، واصفاً إياهم بـ«المسيحيين الهراطقة الذين تمسكوا لأسباب أو لأخرى بالعهد القديم بدلاً من العهد الجديد في الإنجيل»^(١٦). وهم بذلك «لا يعرفون كتاب التلمود ولا يعترفون به، وكتابهم المقدس هو نسخة محورة من التوراة مكتوبة باللغة الأمهرية»^(١٧).

أما النظرية التي تلقى التأييد الأقوى بين دارسي الحضارة الأثيوبية الأجانب فتقول أن الفلاشا هم أحفاد مهاجرين يهود أو مهاجرين تأثروا باليهودية وتزاوجوا مع الأثيوبيين لدرجة أصبح معها التفريق بين الفئتين صعب وبأن هذه الهجرة كانت من اليمن أو من مصر ولكن الشواهد التاريخية على وجود اتصال بين الحبشة واليمن هي أكثر من تلك الخاصة بوجود مثل هذا الاتصال بين الحبشة ومصر^(١٨). ويؤمن كبار السن من الفلاشا وأولئك الذين لم يتأثروا بالفكر الغربي بالرواية القائلة بأن أجدادهم قدموا إلى الحبشة مع النجاشي منليك بن سليمان بعد زيارته للقدس. من هنا تتضح مدى الشكوك التي تدور حول أصلهم الحقيقي حتى لو حاول البعض التشديد على الميزات اليهودية «للفلاشا» ونسى أسمائهم الأثيوبية إذ أنهم من الناحية العرقية واللغوية ليسوا مميزين عن باقي سكان اثيوبيا كما ذكرنا وهم إذا ما كانوا يهوداً فعلاً وقبلهم حاخامات الدول الغربية الذين رفضوهم من قبل والذين يفسرون اليهودية على أنها عرق وأن جميع اليهود هم من أصل واحد جاؤا من فلسطين بعد أن شتتوا على أيدي الأثيوبيين والبابليين والرومان. أقول إذا ما قبلوهم فعلاً على أنهم

يهود فسوف يكون ذلك بدينهم وليس بعرقهم. بغض النظر عن كيف ومتى تحول هؤلاء إلى الديانة اليهودية.

فالإجابة على هذا السؤال تظل من باب الاجتهادات والنظريات. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو « هل الصهيونية وحاخاماتها ورجالها لا يزالون يؤمنون بالفكرة القائلة بأن اليهود ينحدرون من عرق واحد..؟ »

والجواب الذي آراه هو أنهم لا يزالون يؤمنون بأن التاريخ وضع ليكون لهم وحدهم يكتبونه ويحرفونه بالطريقة التي تخدم مصالحهم وتحقق أهدافهم التوسعية دون أن تقيدهم فكرة أو مبدأ وإن تحويل هؤلاء الفلاشا إلى مستعمرين جدد يغتصبون الأراضي الفلسطينية وأعداء للعرب وذلك عن طريق تهجيرهم إلى إسرائيل فوق أي اعتبار. بغض النظر عن الصلة التي ينتمون بها إلى هذا الكيان فالغاية تبرر الوسيلة من وجهة نظرهم إذ أنه عند قيام إسرائيل سنة ١٩٤٨م عن طريق احتلالها للأراضي العربية وبدأ العمل على تجميع اليهود فيها لم يكن هناك أي اهتمام من قبل إسرائيل أو اليهودية العالمية أو استعداد لاستقبال الفلاشا ويعتقد أنهم هم أنفسهم لا يعترفون بالعودة إلى فلسطين أيضاً. ودار جدل طويل بين حاخامات اليهود حول يهوديتهم ورأى بعضهم وهو الحاخام هايم ناهوم من الوكالة اليهودية أن هؤلاء الفلاشا ليسوا يهوداً ولا يجري الدم اليهودي في عروقهم ونصح بترك هؤلاء يعيشون حيث هم ويتركون للمبشرين المسيحيين الذين يؤدون لهم خدمات جليلة. ولكن ظهر هناك بعض الكتاب السياسيين الذين يقدمون الغاية على الوسيلة ودافعوا عن قضية الفلاشا في مواجهة رفض إسرائيل لهم كيهود (١٩)؛ واستطاعوا بعد ذلك أخذ هذا الإقرار بعد أن تضافرت عدة اعتبارات أو أهداف تدعو إلى تهجيرهم سواء كانت إبعاد التهمة العنصرية عن إسرائيل أمام العالم إضافة إلى حاجتها إلى العنصر البشري داخل أفريقيا وتجنيدهم لغايات فيها أو لدعم الماكينة العسكرية لها، وغيرها من الاعتبارات التي هي في واقعها أكبر من التفسيرات الدينية والإنسانية التي يحاولون إظهارها وقد حدث هذا التحول عام ١٩٧٣م حين أعلن الحاخام الأكبر لليهود السفارديم أن الفلاشا ينتسبون إلى قبيلة «دان» وأنه يتوجب إعطائهم الحق في الهجرة إلى إسرائيل أسوة

ببقية اليهود. وبعد سنتين من هذا الإعلان اتخذ الكنيست خطوة مماثلة حين منح الفلاشا حق الهجرة إلى إسرائيل وتطبيق قانون العودة عليهم وبدأت محاولات إسرائيل لتجويرهم . بعد وصول مناحيم بيغن إلى السلطة سنة ١٩٧٧م واعتبرهم سبط بنى إسرائيل المفقود (٢٠). (*)

(*) يعتقد بنى اسرائيل ان هناك اثنا عشر سبطا أي قبيلة وأن بعض هذه القبائل قد فقدت بسبب ماتعرض له اليهود عبر التاريخ من تشتيت.

الهوامش

- (١) تقرير دار الجليل رقم ٢٠٣١ بتاريخ ١٩٨٦/٣/٢٢، عمان، ص ٩.
- (٢) الجدول ماخوذ من الباحث (جمال الدين العسكري، الهجرة إلى إسرائيل والنزوح منها، مجلة الباحث العربي، العدد ١٤ يناير / كانون الثاني - مارس / آذار ١٩٨٨، لندن، ص ٢٤.
- (٣) قارن هذا رقم بما هو موجود في الياس سعد، مرجع سابق، ص ٢٤٩.
- حيث يشير أن عدد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية ٨٠٠٠٠٠٠ره وأيضاً يمكن المقارنة بين ما هو موجود هنا مع بقية الأرقام.
- (٤) المجموع هنا من اعداد الباحث حيث أن المصدر الاصيلي يضع الاجمالي بين ١٣ - ١٤ مليون.
- (٥) نشرة دار الجليل رقم ٢٠٣١ بتاريخ ١٩٨٦/٣/٢٢، ص ١٠.
- نقلًا عن بحث اعده برفيسور حوزيال شملتس تحت عنوان: احصاء وتوقعات التعداد السكاني اليهودي في مناطق العالم
- (٦) المرجع السابق، ص ٩ - ١٠.
- (٧) موسوعة السياسة، اشراف عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٦٣ - ٦٤.
- (٨) نفس المرجع، ج ٤، ١٩٨٦، ص ٤٥٤.
- (٩) ريفدكلر، الفلاشا يهود أثيوبيا، سلسلة دراسات «صامد الاقتصادي» (١٠) منشورات دار الكرم، عمان ١٩٨٥، ص ١٧.
- (١٠) عمر العملة، عملية تهجير الفلاشا إلى الكيان الصهيوني، مجلة الاقتصادي، عمان، عدد ٥٦، مرجع سابق ذكره، ص ٨٦.
- (١١) مجلة وطني، العدد ٤٠، شباط «فبراير» ١٩٨٥م. تونس.
- (١٢) عمر العملة، مرجع سابق ذكره، ص ٨٦.
- (١٣) التضامن، العدد ٩٤، ١٩٨٥/١/٢٦ - ١٩٨٥/٢/١، ص ٩.
- (١٤) موسوعة السياسة، مرجع سبق ذكره، ج ٤، ص ٤٥٤.
- (١٥) عمر العملة، مرجع سبق ذكره، ص ٨٦.
- (١٦) التضامن، مرجع سبق ذكره، ص ٩.
- (١٧) عبد الوهاب الكيالي واخرون، مرجع سبق ذكره، ج ٤، ص ٤٥٥.
- (١٨) ميل ديفد كلر في كتابه «الفلاشا يهود أثيوبيا إلى هذا الرأي» وأنا كذلك أوافقه والدليل على

ذلك لسهولة التنقلات بين الحبشة (اثيوبيا) وبين جنوب شبه الجزيرة العربية وانه كان هناك الكثير من اليهود يعيشون في هذه المنطقة ونرى أنه لا يزال هناك الكثير من شعب اليمن يعيش في اثيوبيا إلى يومنا هذا ولكن هذا ليس على اساس أنهم من اليمن في اصلهم ولكن على اساس التأثير اليهودية.

(١٩) راجع: للمزيد من المعلومات في ذلك ديفيد كلر، مرجع سبق ذكره، ص ٩٥ - ١٠٥ حول هذه النقطة.

(٢٠) المجلة، العدد ٢٨٥، ٢٤ - ٣٠ يوليو (تموز) ١٩٨٥، لندن، ص ٢٩.

الفصل الثاني

أهمية الهجرة إلى فلسطين بشكل عام

المبحث الأول: دوافع الهجرة
المبحث الثاني: وسائل الهجرة

المبحث الأول

دوافع الهجرة

تعتبر هجرة اليهود إلى فلسطين قبل نشأة إسرائيل وبعدها هي الدعامة الرئيسية التي استندت عليها الصهيونية حينما كانت تسعى إلى تجسيد المشروع الصهيوني سواء كان ذلك من ناحية نظرية أو عملية فإذا كانت الخطوة الأولى التي شغلت أفكار رواد الصهيونية هي الحصول على وثيقة دولية تعترف بضرورة توطين اليهود في فلسطين عبر علاقات التحالف الوثيق مع الدول الأوروبية الاستعمارية. حيث قدم لها مشروع إقامة الوطن القومي اليهودي كدعامة لاستمرار سيطرتها الاقتصادية والسياسية في هذه المنطقة من العالم، فإن الخطوة المنطقية التالية بعد الحصول على هذه الوثيقة والتي تبلورت فيما بعد بوعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧م هي التفكير في القوى والجماعات التي يمكن أن تشكل النواة الأساسية للدولة الصهيونية^(١)، فكانت الهجرة اليهودية إلى فلسطين قائمة على الدعائم الفكرية والمادية التي استندت إليها الحركة الصهيونية فهي بهذا تعكس مفاهيم أساسية في الفكر الصهيوني كمفهوم الحقوق التاريخية والشعب اليهودي والقومية اليهودية ومن ثم فتاريخ هجرة اليهود إلى فلسطين قبل نشأة إسرائيل وبعدها هو في الواقع تاريخ الصهيونية ومن ناحية عملية الدعامة الأساسية لإنشاء إسرائيل^(٢)، فاليهود القادمون من الدول المختلفة هم الذين يمكن أن يكونوا هذه الدولة وأن يستولوا على أراضيها ويستثمروا خيراتها ويجهزوا إدارتها وأن يطردوا شعبها صاحب الحق الشرعي بها وأن يحموها ويوسعوا حدودها^(٣) فالهجرة أصبحت هي محور الحياة داخل إسرائيل والدعم الرئيسي للكيان الصهيوني إلى جانب الأموال التي يحصل عليها من الدول المساندة له.

وعلى هذا يمكن إيجاز أهمية ودور عمليات الهجرة المتتالية إلى إسرائيل في النقاط التالية:^(٤)

١- إن الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين يسهمان في حل المسألة اليهودية ويساعدان في تنمية الشعور القومي اليهودي وتحرير اليهود من الاضطهاد وقد عبر عن هذا المجال العديد من قادة الحركة الصهيونية فهرتزل يقول بأن الهجره والاستيطان في الدولة اليهودية سيقضي على ظاهرة العداة. ويرى وايزمان أن الاستيطان في فلسطين سيساهم في تحرير اليهود و يدعم دورهم العالمي ويرى جابو تنسكي بأن الإستيطان اليهودي في فلسطين سيعمق الشعور اليهودي المتفوق.

٢- ارتبطت الهجرة اليهودية بصيغة الوطن القومي من خلال الدعوه إلى تحقيق الأمانى الاجتماعىة والقومية لليهود فبالهجرات اليهودية وبتساع هذه الهجرات مع ظهور المنظمات الصهيونية ماجاء عام ١٩١٧م حتى حصلت الحركة الصهيونية على موطىء قدم فوق أرض فلسطين لقد تحقق هذا بفضل موجات الهجرة.

٣- وبعد أن أنشئت الدولة أصبحت الهجرة اليهودية هي المصدر الأساسى في بناء المجتمع الإسرائيلي. لأن المجتمع الإسرائيلي هو مجتمع مهاجر ولا يوجد يهود بأعداد تلك الأراضى في فلسطين قبل ذلك.

٤- إن أهمية الهجرة تبرز من خلال ما تقدمه من دعم للكيان الصهيونى و دفاع عن عدوانيته ونزعة التوسعية فارتبطت هذه الهجرة بما يسمى بالأمن الإسرائيلى.

٥- أهمية الهجرة اليوم تتضح من خلال ما تمثله من تعويض للنزوح الذى تعاني منه إسرائيل علاوة على ماتواجهه مشاكل الإستيطان فى الضفة الغربية وقطاع غزة وتراجع نسبة الهجرة إلى إسرائيل واستتكاف السكان المقيمين منذ أمد عن الانتقال الى مناطق الإستيطان وهذا مايفسر هجرة الفلاشا إلى إسرائيل.

هذا بشكل عام أهم أهداف ودوافع الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالنسبة لإسرائيل وللدول الإستعمارية على أساس أنها هي التى زرعت إسرائيل فى هذه المنطقة لعدة أسباب إستعمارية كنا قد ذكرنا بعضها على أساس أن إسرائيل الصهيونية دولة عميلة نشأت فى الأصل كأحد أذيال الإستعمار وأنها قد نشأت فى ظروف اكتمال تحول الرأسمالية العالمية إلى الإستعمار بل أنها أنشئت خصيصاً لخدمة استراتيجيات

الاستعمار العالمي، وأول من مهد الطريق لوضع أسسها وبنائها هو الانتداب البريطاني في فلسطين وذلك على أسس مصلحة بريطانية بحتة عبر عنها هرتزل فيما قبل بقوله «إن عودتنا التي تنبأ بها الكتاب المقدس. تشكل .. مصلحة سياسية ملائمة لتلك الدول التي تبحث عن شيء ما في آسيا» ثم إن في إقدام الاستعمار على إنشاء إسرائيل ما أتاح له الحيلولة دون قيام أي قوة موحدة من الأمة العربية في هذا الموقع الإستراتيجي الضخم من العالم يهدد مصالحه العالمية.

ولهذه الأسباب لم تألوا هذه الدول جهداً في دعم وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على أساس أن هذه الهجرة كانت ومازالت العمود الفقري لهذا الإسفين الذي زرع في الأراضي العربية^(٥).

أما من ناحية اليهودي المهاجر فإن هناك عدة دوافع أو أهداف دفعت به للهجرة إلى فلسطين ومثله في ذلك مثل أي مهاجر يكون هناك سببين رئيسيين في هجرته هي عوامل طرد أو عوامل جذب ونستطيع أن نلخص دوافع اليهودي في الهجرة إلى فلسطين بعدة حوافز هي: -^(٦)

١ - الدافع الأيديولوجي :

وهذا الدافع نبع من خلال ماتروج له الصهيونية من أن اليهود يشكلون عنصراً واحداً نقياً وقد استطاعت من خلال هذه الدعاية أن تخلق شيئاً من القناعة لدى بعض الأفراد وبأنهم مهما اختلفت جنسياتهم فهم يشكلون أمة وأن أرض الأجداد حيث قامت المملكتان اليهوديتان الأولى والثانية هي الوعاء الصحيح لهذه الأمة ولكن هذه الدعوة في الحقيقة كانت من أضعف الدوافع التي دفعت اليهودي للهجرة إلى فلسطين فكانت هناك دوافع أخرى.

٢- الحافز الديني :

وقد كان هذا الحافز من أكثر الحوافز أو الدوافع وضوحاً في موجة الهجرة الأولى التي بدأت عام ١٨٨٢م والتي تجسد التطرف الديني إذ تسيطر على أفرادها الأبعاد الدينية البحتة وتؤمن بوعود الأنبياء وبالخلاص وبأن هجرتها إلى فلسطين ترتبط بما

لهذا البلد من قدسية حيث يستطيع اليهودي أن يمارس الطقوس الدينية بحرية كاملة بعيداً عن أية مؤثرات خارجية سواء كانت متصلة بالاضطهاد أو بالاندماج و يقترب أيضاً من الهجرة الأولى في هذا الإتجاه موجة الهجرة الشرقية التي بدأت عام ١٩٤٩م والتي يظهر فيها تأثير العامل الديني.

٣- الاضطهاد والخوف من الاضطهاد :

فتعرض اليهود للاضطهاد منذ أوائل القرن التاسع عشر والذي كانوا هم السبب فيه في أكثر الأحيان أو خوفهم من الاضطهاد والذي كانت تروج له الصهيونية بينهم من أجل دفعهم على الهجرة كان السبب في هجرة بعضهم إليها.

٤- الإعتبارات الاقتصادية :

بما إن انخفاض مستوى المعيشة في البلد الأصلي هو بالطبع من عوامل الطرد الرئيسية فإن عامل الجذب هو ارتفاع المستوى المعيشي وفي إسرائيل تشكل الاعتبارات الاقتصادية أحد دوافع الهجرة سواء قبل قيام الدولة أو بعده، وهذا يظهر جلياً في الموجتين الرابعة والخامسة وهم من الفقراء الذين لم يتح لهم تكوينهم المهني فرصة تطوير أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في بلادهم وكذلك الهجرة من الدول الاشتراكية وهجرة يهود الفلاشا كل هؤلاء كان الدافع وراء هجرتهم هو أوضاعهم الإقتصادية المتردية حتى ولو لم يعترف بذلك وحتى لو أحالت الكتابات الصهيونية دوافع الهجرة إلى معاداة السامية.

ومن هنا نستطيع أن نقول أن عوامل الطرد والجذب الأيديولوجية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية شكلت مزيجاً معقداً لدوافع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقد تغيرت القوة النسبية لكل من هذه العناصر المتفاعله في دوافع الهجرة مع تطور المجتمع الصهيوني والتطورات المتعاقبة في الصراع العربي الاسرائيلي. ومن ثم فالدافع الاقتصادي وحده لا يمكنه أن يفسر الهجرات اليهودية الجماعية إلى فلسطين^(٧)، ولا أيضاً واحداً من العوامل الأخرى كوحدة مستقلة. ولكن تفاعل هذه الدوافع مع بعض بنسبة معينة أو بأخرى كان الدافع وراء الهجرة إلى فلسطين من قبل الجماعات اليهودية.

المبحث الثاني

وسائل الهجرة

ظلت الحركة الصهيونية وإسرائيل والقوى الإمبريالية تطمح لتجميع اليهود من مختلف بلدان العالم في فلسطين المحتلة تحت شعار العودة إلى فلسطين وقد اتخذت هذه القوى العديد من الوسائل لدفع أكبر عدد ممكن من اليهود للهجرة إلى فلسطين وذلك إما عن طريق الدعاية أو التحريض أو الترغيب والترهيب، التي كان للمنظمة الصهيونية الدور الأكبر فيها من خلال جمعيات ومنظمات ومكاتب انبثقت عنها، وانتشرت في مختلف أنحاء العالم.

ويمكن تقسيم وسائل الهجرة من الناحية الزمنية إلى قسمين:

١- ما قبل قيام ما يسمى بدولة إسرائيل.

٢- بعد قيام ما يسمى بدولة إسرائيل.

١ - فقبل قيام الدولة الإسرائيلية كانت بداية الهجرة اليهودية إلى فلسطين تعتمد على نشاط وجهود أشخاص عملوا على تهجير بعض اليهود وتوطينهم في فلسطين عن طريق استئجار الأراضي في فلسطين. ثم بعد ذلك تأسست مجموعة من المؤسسات والاتحادات اليهودية في معظم الدول الغربية للعمل على تشجيع الهجرة والاستيطان في فلسطين وقد اتسمت الهجرات التي قامت على يد هذه المؤسسات والتي ارتبطت بمجموعة من الزعماء الاستعماريين والقادة اليهود في أوروبا، اتسمت بالعشوائية وعدم التنظيم. ومن هذه المؤسسات على سبيل المثال: ^(٨)

(أ) الاتحاد الإسرائيلي العالمي «الليانس» تأسس عام ١٨٦٠م على يد مجموعة من زعماء اليهود في فرنسا.

(ب) صندوق استكشاف فلسطين البريطاني وتأسس سنة ١٨٦٥م.

- (ج) الجمعية الأمريكية لاستكشاف فلسطين ١٨٧٠م.
- (د) ومن أشهر الجمعيات التي ساهمت في هجرة العديد من اليهود جمعية أحباء صهيون والتي تأسست بعد أحداث ١٨٨١م في روسيا التي تعرض لها اليهود هناك.
- (هـ) ومن أجل دعم جميع هذه المشاريع والمؤسسات السابقة قام البارون روتشيلد سنة ١٨٨٣م بإنشاء الجمعية اليهودية للاستعمار في فلسطين المعروفة باسم بيكا لتتولى عملية تمويل شراء الاراضي في فلسطين وتنظيم الهجرة اليهودية إليها.

ثم بعد أن قامت المنظمة الصهيونية سنة ١٨٩٧م اضطلعت بهذه المهمة ووضعت عملية الهجرة كأحدى الوسائل لتحقيق الهدف الصهيوني بإقامة دولة لليهود في فلسطين.

- ولقد اضطلعت الوكالة اليهودية والتي تعتبر أحد تنظيمات الحركة الصهيونية بتمويل ومسئوليات الهجرة اليهودية إلى فلسطين قبل نشأة الدولة فقد قدمت التيسيرات المالية والإدارية الخاصة بنقل المهاجرين إلى فلسطين ومازالت تقوم بهذا الدور إلى يومنا هذا من خلال المكاتب التابعة لها في الخارج. وقد نفذت سياستها في تهجير اليهود بعدة طرق نذكر منها على سبيل المثال:-(٩)
- ١ - أنها أدخلت بعض هؤلاء اليهود على أساس أنهم سياح.
 - ٢ - أدخلت بعضهم إلى فلسطين بجنسيات أوطانهم الأصلية وقد ساعدتهم قنصليات الدول الأوروبية في الدخول.
 - ٣ - استخدم بعضهم طريقة الرشوة، والتي كانت سائدة لدى موظفي الدولة العثمانية.
 - ٤ - لقد لعب الاستعمار دوراً فعالاً وبخاصة بريطانيا في دعم وتشجيع الهجرة اليهودية ومساعدة الحركة الصهيونية على إقامة دولة إسرائيل.

أما بعد قيام ما يسمى إسرائيل فقد اتخذت هذه بدورها أساليب عديدة في تنفيذ سياسة الهجرة هذه ومنها المعسكرات التي تقيمها للشباب اليهودي من البلاد

الأوروبية والأمريكيتين للعمل في إسرائيل لمدة عام كنوع من المساعدة الطوعية لإسرائيل وبحيث يصبحون مرشحين طبيعيين للهجرة. كما توجه الوكالة اليهودية والمكاتب الصهيونية في الخارج نحو تغذية وتركيز الدعاية الصهيونية على الشباب اليهودي المثقف لحثهم على الهجرة إلى إسرائيل. كما تستخدم المعونات التي تقدمها الوكالة للمهاجرين للسفر إلى إسرائيل تذكراً للطائرة ورسوم شحن حاجات المهاجرين ومعونة معيشة لهم لثلاثة شهور في إسرائيل^(١٠).

أما بالنسبة للدول التي لا تسمح لليهود بالهجرة إلى إسرائيل أو تفرض عليهم قيود معينة على هذه الهجرة فقد اتخذت إسرائيل عدة وسائل لتجويرهم ولتأخذ مثلاً على ذلك في بعض الدول:—

ففي الاتحاد السوفيتي مثلاً: بذلت السلطات الإسرائيلية والمنظمات الصهيونية جهوداً مستميتة للضغط على الاتحاد السوفيتي لكي يفتح باب الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بدون قيود فقد عقدت المنظمات الصهيونية الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية اجتماعات عديدة خصصت لبحث أوضاع اليهود في الاتحاد السوفيتي. كانت تسفر عن احتجاجات تروج لها وسائل الاعلام الغربية ضد الاتحاد السوفيتي ومنعه لليهود من الهجرة إلى إسرائيل وأنه بذلك لا يراعي حقوق الإنسان.

كما قامت هذه المنظمات بما لها من نفوذ بدفع الولايات المتحدة الأمريكية للربط بين سماح الاتحاد السوفيتي ليهوده بالهجرة إلى إسرائيل وبين معاملته كدولة احق بالرعاية من الناحية التجارية، كذلك الربط بين منح الاتحاد السوفيتي قروضاً اقتصادية وبين تعهده بهجرة اليهود منه إلى إسرائيل.

كل هذا كان يتصاحب مع نماذج دعائية تبث داخل صفوف اليهود السوفيت نابعة من علاقة الأقليات بالمجتمع والدولة التي يعيشون فيها من أجل إشعارهم بانعدام الأمن بالنسبة لهم كأقلية^(١١).

أيضاً إسرائيل لم تتأخر في استغلال الظروف الحرجة التي تمر بها الدول لتدفع بأكبر عدد من اليهود للهجرة.

هذه بشكل عام أهم الوسائل حسب وجهة النظر الخاصة التي استخدمتها الحركة الصهيونية وما يسمى بدولة إسرائيل لتأمين الهجرة إلى فلسطين.

جدول رقم (٣)

الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة من عام ١٩٤٨ الى ١٩٨٦ (*)

| عدد المهاجرين | السنة | عدد المهاجرين | السنة | عدد المهاجرين | السنة |
|---------------|-------|---------------|-------|---------------|-------|
| ٣١٩٧٩ | ١٩٧٤ | ٤٧٧١٧ | ١٩٦١ | | ١٩٤٨ |
| ٢٠٠٢٨ | ١٩٧٥ | ٥٩٦٠٠ | ١٩٦٢ | ٢٣٩٥٧٨ | ١٩٤٩ |
| ١٩٧٤٥ | ١٩٧٦ | ٦٢١٥٦ | ١٩٦٣ | ١٧٠٢١٣ | ١٩٥٠ |
| ٢١٤٥٦ | ١٩٧٧ | ٥٢٤٥٦ | ١٩٦٤ | ١٧٥١٢٩ | ١٩٥١ |
| ٧٦٣٩٦ | ١٩٧٨ | ٢٨٧٩٥ | ١٩٦٥ | ٢٤٣٦٩ | ١٩٥٢ |
| ٣٧٢٢٢ | ١٩٧٩ | ١٣٦١٠ | ١٩٦٦ | ١١٣١٦ | ١٩٥٣ |
| ٢٧٢٥٤ | ١٩٨٠ | ١٢٢٧٥ | ١٩٦٧ | ١٨٣٧٠ | ١٩٥٤ |
| ١٢٠٠٠ | ١٩٨١ | ٢٠٥٤٤ | ١٩٦٨ | ٣٧٤٧٨ | ١٩٥٥ |
| ١٤٠٠٠ | ١٩٨٢ | ٣٧٨٠٤ | ١٩٦٩ | ٥٦٢٣٤ | ١٩٥٦ |
| ١٦٤٧٨ | ١٩٨٣ | ٣٦٧٥٠ | ١٩٧٠ | ٧٢٥٩١ | ١٩٥٧ |
| ١٥٠٠٠ | ١٩٨٤ | ٤١٩٣٠ | ١٩٧١ | ٢٧٢٥٦ | ١٩٥٨ |
| ١١٨٥٠ (**) | ١٩٨٥ | ٥٥٨٨٨ | ١٩٧٢ | ٢٣٩٥٣ | ١٩٥٩ |
| ١٠٥٠٠ | ١٩٨٦ | ٤٥٧٧٦ | ١٩٧٣ | ٢٤٦٦٦ | ١٩٦٠ |

المصدر:

(*) د. عطا محمد صالح زهرة، مرجع سابق، ص ٨٨.

(**) المصدر للاعوام ١٩٨٥، ١٩٨٦.

نشرة الارض المحتلة وقائع واحداث، حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» شؤون الارض المحتلة، العدد ثلاثون حزيران ١٩٨٧ - تونس ص ١٦٤.

لو نظرنا إلى الجدول السابق لوجدنا الهجرة إلى إسرائيل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنواحي الأمنية في إسرائيل وعلاقتها بدول المواجهة العربية واحتمالات وقوع الحرب أو وقوعها فعلاً ونتائج هذه الحرب.

فنجد أنه في السنوات الثلاث أو الأربع الأولى لقيام إسرائيل كانت الهجرة كبيرة جداً. إلى أن جاء عام ١٩٥٢م وبدأت المناوشات بين إسرائيل ومصر ووقعت فيما بعد حرب عام ١٩٥٦م فخلال هذه الأعوام تناقصت الهجرة بشكل كبير ولكن بعد انتصار إسرائيل ارتفعت الهجرة خلال العامين ٥٦/٥٧ وصلت في ذلك العام إلى ٧٢٥٩١ ولكن بعد ذلك أصبحت نسبتها متذبذبة بين هبوط وارتفاع ولنفس الأسباب الاقتصادية والأمنية فهذين السببين أهم ما يؤثر على نسبة النزوح والهجرة ولكن بعد عام ١٩٦٧م أي بعد حرب الأيام الستة بدأت أعداد المهاجرين إلى فلسطين ترتفع نسبياً مقارنة بالخمس أعوام السابقة وكان السبب هو انتصار إسرائيل في الحرب وظلت هكذا إلى عام ١٩٧٣م وبعد هزيمة إسرائيل في تلك الحرب أخذت الهجرة تتناقص ثم بدأت بالانخفاض بعد ذلك وكان السبب الرئيسي الواضح هو النواحي الاقتصادية.

الهوامش

- (١) عبد العليم محمد، التسوية وحركة الهجرة، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، أكتوبر ١٩٧٩، ص ٢٦ — ٢٧.
- (٢) المرجع السابق، ص ٢٦.
- (٣) الياس سعد، مرجع سابق، ص ٧.
- (٤) د. نظام محمود بركات. الاستيطان الاسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتطبيق، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٥، ص ٢٢.
- (٥) ديفد كلر، الفلاشا يهود اثيوبيا، سلسلة دراسات صامد الاقتصادي، (١٠) منشورات دار الكرمل، عمان ١٩٨٥، ص ١٢٩ — ١٣٠.
- (٦) للمزيد من المعلومات حول دوافع الهجرة راجع:
(أ) د. عطا محمد صالح زهرة، الهجرة اليهودية الاستعمارية إلى فلسطين، شؤون عربية، تونس العدد ٥٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧، ص ٨١ — ٨٦.
(ب) محمد السيد سعيد وأميره سلام، استيعاب المهاجرين في اسرائيل، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٦ — ١٠.
- (٧) محمد السيد سعيد وأميره سلام، مرجع سابق، ص ٩.
- (٨) للمزيد من المعلومات حول هذه المؤسسات ونشاطها راجع في ذلك.
د. نظام محمود بركات، مرجع سابق، ص ١٥ — ١٨.
- (٩) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع راجع:-
(أ) وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥١.
(ب) عبد المالك خلف التيمي، يهود الهند وهجرتهم إلى فلسطين، مجلة العلوم الاجتماعية، تصدر عن جامعة الكويت، العدد الرابع، شتاء ١٩٨٧، ص ٢٠٦.
- (١٠) محمد السيد سعيد، واميرة سلام. مرجع سابق، ص ٣٢.
- (١١) راجع في ذلك كل من:-
(أ) عبد العليم محمد عبد العليم. مرجع سابق، ص ٣٥ — ٣٨.
(ب) محمد السيد سعيد، واميرة سلام. مرجع سابق، ص ٧٣—٧٤.

هجرة يهود الفلشا

- المبحث الأول: دوافع هجرة الفلشا**
المبحث الثاني: إجراءات تهجير الفلشا
المبحث الثالث: حجم الهجرة

المبحث الأول

دوافع هجرة الفلاشا

في حديثنا عن الدوافع دائماً مانفرد بين نوعين من الدوافع للهجرة نوع يختص بإسرائيل ونوع يختص بالمهاجر نفسه والذي يؤثر فيه عاملين أساسيين هما عامل الطرد وعامل الجذب

فبالنسبة لإسرائيل كانت هناك عدة عوامل دفعها للقيام بهذه المهمة والتي ترددت في البداية بالقيام بها لولا ماواجهته من الضغوط من قبل المنظمات اليهودية التي اتهمتها بالتقاعس عن القيام بتهجير يهود الفلاشا لأسباب عنصرية وقد نجحت هذه الجهود في الاعتراف بيهودية الفلاشا ومن ثم تطبيق قانون العودة عليهم والذي كان سيحقق لإسرائيل العديد من المكاسب السياسية والدعائية والعسكرية والاقتصادية والديموجرافية.

أولاً: بالنسبة للدوافع السياسية :

(أ) فإن إسرائيل قد استغلت مأساة المجاعة والقحط في أثيوبيا وأبرزتها على صفحات الجرائد والمجلات وعلى شاشات التلفاز وجعلتها مادة لتقاريرها المستمرة وخاصة فيما يخص المجاعة الأثيوبية والموت الأثيوبي ومن خلال هذا كله أرادت إسرائيل أن تقنع الضمير والرأي العالمي بأنها هي وحدها التي تستطيع ان تضع حلاً لمشكلة اليهود الاثيوبيين الذين تفتك بهم المجاعة الاثيوبية فهي بذلك أرادت أن تظهر أمام العالم في مظهر التحضر والإنسانية^(١) وأنها بتهجيرها هؤلاء اليهود السود قد أتاحت لنفسها فرصة تاريخية نادرة لشن المزيد من الحملات التي ظلت تنظمها لغرض الغاء قرار الأمم المتحدة الذي صدر عام ١٩٧٤م واعتبرت فيه الصهيونية والعنصرية شيئاً واحداً^(٢).

(ب) إن تبني إسرائيل لليهود السود سيكون لكسب المزيد من الصداقات داخل

إفريقيا وإعادة العلاقات التي انقطعت مع الدول الأفريقية^(٣). فالعلاقة مثلاً بين إسرائيل وأثيوبيا — كما تراها أثيوبيا وإسرائيل على حد سواء — استراتيجية تملئها المصالح المشتركة وهذه المصالح تقضي بأن تبقى أثيوبيا قوية^(٤). وتكفي نظره سريعة على خارطة جنوب البحر الأحمر لاستقراء أول أهداف إسرائيل من مثل هذه العملية فقد ظلت إسرائيل سواء من خلال علاقاتها بالنظام الإمبراطوري الأثيوبي أو النظام الحالي في أديس أبابا تسعى لايجاد منفذ غير إسلامي وغير عربي على البحر الأحمر وبالتالي على أفريقيا وتعتبر إسرائيل من أكثر دول العالم مناهضة لاستقلال أريتريا لأن ذلك سيجعل كامل البحر الأحمر تحت سلطة العرب، وقد استخدمت لهذا الغرض أساطير عديدة مثل علاقات اليهود بمملكة سبأ التي تنحدر منها سلالة الإمبراطورية الأثيوبية^(٥).

(ج) كما أرادت إسرائيل من وراء هذه العملية كسب المواطن الأمريكي الأسود للوقوف بجانبها في كل مايدعم الدولة الإسرائيلية داخل الولايات المتحدة الأمريكية وقد كان هذا الهدف نفسه هو الدافع للحكومة الأمريكية بالقيام بدور رئيسي في ترحيل يهود الفلاشا من أجل كسب أصوات الناخبين السود^(٦).

ثانياً: بالنسبة للناحية العسكرية والأمنية :

(أ) استخدام اليهود الأثيوبيين يحقق هدفاً غالباً للعدو بتغطية عمليات الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) في أفريقيا وأنهم سيضيفون قوة جديدة إلى الجيش الإسرائيلي^(٧). وسيكونون حزاماً أمنياً من خلال توطينهم في الضفة الغربية والجلولان وجنوب لبنان وهي الأماكن التي يرفض المستوطنون من الاشكنازيم استيطانها وهم بذلك يكونون الضمان مع غيرهم من المهاجرين لتثبيت كيان إسرائيل وأمنها وفي ذلك يقول ليفي اشكول «نحن بحاجة الى تدفق عشرات الالوف من يهود العالم لينضموا إلينا في بناء الدولة الإسرائيلية وضمنان بقائها» ويقول بنجوريون «لن يكون هناك أمن لإسرائيل بدون الهجرة» ويقول أبا إيبان في هذا الصدد «إن الهجرة اليهودية من شأنها أن تعزز مكاسبنا في الحرب وأن

احتلال الأراضي وحده ليس كافياً فنحن بحاجة إلى إستيطان هذه الأراضي»^(٨).

ثالثاً : الدافع الاقتصادي :

إن إسرائيل تعاني نقصاً في القوى العاملة وبالذات في قطاع العمالة الدنيا وبذلك فهي ترى في جلب هؤلاء الفلاشا مصدر للعمالة الدنيا والتي ستحل محل العمالة العربية التي ستضطر بسبب البطالة إلى النزوح والهجرة خارج الأرض المحتلة كما أن إسرائيل ستستغل ترحيل الفلاشا إليها في زيادة الدعم من الولايات المتحدة الأمريكية والدوائر الإستعمارية والصهيونية الأخرى بدعوى حاجتها لإعادة توطين القادمين الجدد داخل إسرائيل^(٩).

رابعاً : الدوافع الديمغرافية

تعتبر المشكلة الديمغرافية واحدة من أعقد المشكلات التي يواجهها الكيان الإسرائيلي منذ زمن وخاصة منذ بداية السبعينات وبدأت ملامح تغير الوضع الديمغرافي لغير صالح اليهود في المستقبل القريب في حالة احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة.

ونظرة على عملية النزوح في هذه الفترة توضح لنا أيضاً حجم المشكلة الديمغرافية التي تعاني منها إسرائيل، ففي الفترة التي تمتد من عام ١٩٧٢م الى ١٩٧٩م فقد سجلت ارتفاعاً ملحوظاً في حجم النزوح إذ قفز العدد من ١١٢٠٠٠ نازح عام ١٩٧٢م إلى ٢٦٠٠٠٠ عام ١٩٧٤م وعلى الرغم من أن هذا الرقم قد إنخفض الى ١٦٠٠٠ عام ١٩٧٥م إلا أنه عاد وارتفع مرة أخرى ليصل هذا العدد ٢٠٠٠٠٠ نازح عام ١٩٧٦م وتعتبر هذه الأرقام مرتفعة عند مقارنتها بالهجرة إلى إسرائيل في نفس الفترة فإنها تشكل مانسبته ٥٧% من حجم الهجرة، ورغم أن الفترة من عام ١٩٧٧ إلى عام ١٩٧٨ كان معدل النزوح فيها منخفضاً فقد سجلت سنة ١٩٧٧ ١٥٠٠٠٠ نازح وسنة ١٩٧٨ ١٢٠٠٠٠ نازح إلا أن الظاهرة الملفتة للنظر هي الارتفاع الكبير في عدد النازحين الذي شهدته السنوات المقبلة والذي توافق مع بداية ترحيل الفلاشا إلى إسرائيل مثلما تزامن الاعتراف بهم بوجود أكبر حركة نزوح عام ١٩٧٣م و١٩٧٤م.

ففي عام ١٩٧٩ ارتفع عدد النازحين إلى ٢٨٠٠٠ نازح. أما في عام ١٩٨٠ فقد ارتفع العدد إلى ٣١٠٠٠ نازح وهو من ناحية عددية لم يسبق له مثيل من قبل، ومن ناحية أخرى يفوق كثيراً عدد القادمين إذ لم يصل في ذلك العام سوى ٢٧٢٥٤ مهاجر ولهذا سمي ذلك العام بعام النزوح. ومع أن عدد النازحين إنخفض عام ١٩٨١ مقارنة بالعام الذي سبقه إلا أنه في الواقع مازال مرتفعاً إذ وصل إلى ٢١٠٠٠ نازح مقارنة بـ ١٢٠٠٠ مهاجر وإنخفض العدد إلى النصف تقريباً في عام ١٩٨٢ إذ لم يتجاوز ١٢٠٠٠^(١٠) نازح ولكنه عام ١٩٨٣ بلغ عدد النازحين ٥٦٠٠٠ نازح وفي عام ١٩٨٤ فقد بلغ عدد النازحين ١٥٠٠٠^(١١). ويلاحظ من ذلك أن حجم الهجرة كان منخفضاً بالنسبة للنزوح في هذه الفترة إذ بلغ حجم النزوح حوالي ٨٠٥٪ من حجم الهجرة^(١٢)!

ومن خلال هذه المعطيات بالإضافة إلى نسبة النمو السكاني للعرب في فلسطين والتي تعتبر أعلى من نسبة النمو السكاني لليهود وكان ذلك دافعاً لإسرائيل للبحث عن مصادر جديدة للهجرة بعد أن نضبت المصادر القديمة. كما أن وضع الفلاشا الخاص يمنعهم من النزوح. وقد كان هذا من أكبر الدوافع لتهجير هؤلاء الفلاشا إلى إسرائيل.

أما بالنسبة للدوافع التي جعلت يهود الفلاشا يقبلوا الهجرة إلى إسرائيل فتتلخص في عامل واحد وهو ما كانت تمر به منطقتهم من قحط وجفاف، فكانت فلسطين بالنسبة لهم هي النجاة من موت محقق. ولا أعتقد أن ما ذكر عن دوافع دينية أو إيديولوجية كانت موجودة في نفس الفلاشي بقدر ما هو واضح من الواقع الاقتصادي. هذه تقريباً أهم الدوافع لهجرة يهود الفلاشا إلى فلسطين.

جدول رقم (٤) (*)

للمقارنة بين حجم الهجرة والنزوح خلال الاعوام ٧٢ - ١٩٨٤

| الهجرة | النزوح | العام |
|--------|--------|-------|
| ٥٥٨٨٨ | ١١٢٠٠ | ١٩٧٢ |
| ٣١٩٧٩ | ٢٦٠٠٠ | ١٩٧٤ |
| ٢٠٠٢٨ | ١٦٠٠٠ | ١٩٧٥ |
| ١٩٧٤٥ | ٢٠٠٠٠ | ١٩٧٦ |
| ٤١٤٥٦ | ١٥٠٠٠ | ١٩٧٧ |
| ٧٦٣٩٦ | ١٢٠٠٠ | ١٩٧٨ |
| ٢٧٢٢٢ | ٢٨٠٠٠ | ١٩٧٩ |
| ٢٧٢٥٤ | ٣١٠٠٠ | ١٩٨٠ |
| ١٢٠٠٠ | ٢١٠٠٠ | ١٩٨١ |
| ١٤٠٠٠ | ١٢٠٠٠ | ١٩٨٢ |
| ١٦٤٧٨ | ٥٦٠٠٠ | ١٩٨٣ |
| ١٥٠٠٠ | ١٥٠٠٠ | ١٩٨٤ |

(*) مصدر الجدول

صلاح عبد الله، المرجع السابق، ص ١١٩.

المبحث الثاني

إجراءات تهجير الفلاشا

لقد شاركت عدة جهات في نقل الفلاشا إلى إسرائيل سواء كانت دولاً أم منظمات أم وكالات أم شركات أم اشخاص كل هؤلاء ساعدوا بطريقة أو بأخرى في تسهيل العملية.

وقبل أن نبدأ بتتبع هذه العملية ونلقى الضوء على الوسائل التي اتخذت لتنفيذها نود أن نبين أن تلك العمليات كان يكتنفها الكثير من السرية إلا ماتسرب من بعض أخبارها بطريقة أو بأخرى ويهدف أو بآخر وهو ماسوف نوضحه في حينه.

وتعود بداية محاولات الكيان الاسرائيلي لتهجير الفلاشا إلى عام ١٩٧٧ عندما تولى مناحيم بيغن رئاسة الوزارة في اسرائيل وتعهد علناً بتنظيم عودة الفلاشا إلى اسرائيل^(١٣) وفي نفس العام ناقشت حكومة مناحيم بيغن تقريراً حول تهجير الفلاشا كانت قد تقدمت به الوكالة اليهودية العالمية وفي هذا التقرير تم عرض الجهود والاتصالات التي تقوم بها منظماتان يهوديتان هما: المنظمة البريطانية لمساعدة الفلاشا الي تأسست عام ١٩٦٨م ويرأسها اليهودي البريطاني ديفيد كلر، والمنظمة الأمريكية ليهود أثيوبيا المؤسسة عام ١٩٦٠م ويرأسها اليهودي الأمريكي غرانيوم بيرغد. ووافقت الحكومة على خطة تهجير الفلاشا واطلقت عليها اسم موشي أي عملية موسى^(١٤). تيمنا ومحاكاة لعبور موسى عليه السلام بنبي إسرائيل من مصر إلى فلسطين.

وقد استغل بيغن حاجة نظام مانجستو هيلامريام للأسلحة وقطع الغيار لدبابات تي ٥٤ واقترح بيغن على منجستو أن تقوم إسرائيل بتزويد أثيوبيا بقطع غيار وصواريخ جو - جو وقنابل عنقودية ومحطة رادار يشرف عليها خبراء عسكريون مقابل

السماح ليهود أثيوبيا بالهجرة إلى إسرائيل^(١٥). هذا بعد أن كان بيجن قد اتصل بمانجستو في صيف ١٩٧٧، يطلب منه السماح للفلاشا بالهجرة إلى إسرائيل جماعياً لاعتبارات إنسانية. ولكن مانجستو لم يرد على الفور^(١٦). ولكنه عاد ووافق على المقايضة التي ذكرناها شرط أن يظل الاتفاق سرياً وأن يسعى بيجن لدى كارتر لتقديم معونة عسكرية أمريكية تساعد أثيوبيا في حربها مع الصومال حول إقليم أوجادين. وفعلاً حاول بيجن مع كارتر إبان زيارته لأمريكا ولكن كارتر رفض ذلك ويقال أن السبب كان يتعلق بسجل أثيوبيا حول حقوق الإنسان.

ولكن هذا لم يمنع أن تستمر أثيوبيا في إستقبال الأسلحة الإسرائيلية وقطع غيار الأسلحة الأمريكية. وأن نتغاضى عن هجرة الفلاشا التي كان ينظمها عملاء الموساد في أديس أبابا وتم خلال فترة التعاون هذه تهجير ١٢١ فرداً من الفلاشا مباشرة إلى إسرائيل وذلك عام ١٩٧٧م على متن نفس الطائرتان العسكريتان الإسرائيليتان اللتان أفرغتا حمولتهما من الأسلحة هناك^(١٧).

غير أن الاتفاق مالبث أن انهار بسبب تسريب موشى دايان وزير الخارجية الإسرائيلي آنذاك لخبر تزويد إسرائيل لأثيوبيا ببعض الأسلحة. وذلك من خلال مؤتمر صحفي عقد في سويسرا عام ١٩٧٨م. مما اضطر نظام مانجستو إلى التخلي عن فكرة السماح للفلاشا بالهجرة إلى إسرائيل وانهار بذلك الاتفاق الذي كان قد تم بينها وذلك بعدما أحس أن سره قد أفشي بالإضافة إلى الضغوط السوفيتية والأفريقية عليه. (*)

(*) تضاربت الآراء حول السبب الذي دفع ديان إلى تسريب هذا الخبر فمنهم من قال انه زلة لسان، أو بسبب خلاف بينه وبين رئيس الحكومة بيجن وانه غير متفق معه على عودة هؤلاء السود الذين لا يتكلمون العبرية أم أنه يشاطر رئيس الكنسيت السابق اسرايل راية وهو الذي نصح قبائل الفلاشا في الستينات بـ اعتناق الديانة المسيحية والانصهار في المجتمع المسيحي ام من أجل جمع التبرعات لصالح إسرائيل والتباهي بما حققه وهو الذي كان قد تفاوض مع أثيوبيا للحصول على مزيد من المعلومات حول هذه النقطة يمكن الرجوع الى:-

(أ) مجلة الدستور، العدد ٣٥٧ لعام ١٩٨٥، مرجع سابق، ص ١٥.

(ب) مجلة المجلة، العدد ٢٨٥ لعام ١٩٨٥، مرجع سابق، ص ٢٩.

عندئذ بدأت حكومة بيجن التخطيط لترحيل هؤلاء اليهود بالطرق غير الشرعية واتخذت قراراً سرياً بشأن عملية توكل إلى جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) في فبراير (شباط) عام ١٩٨٠م لإخراج الفلاشا إلى إسرائيل وكان رئيس الموساد مسئولاً فقط أمام بيجن وشامير. ولكن حكومة بيجن ظلت تقول في العلن أن محاولاتها لإخراج الفلاشا ستعتمد على التأثير على الحكومة الأثيوبية.

وهكذا تشابكت وسائل الهجرة لليهود الفلاشا فكان هناك الأشخاص وكان هناك الدول واستخدمت كل الوسائل في العملية ووسائل الإغراء والضغط والإقناع ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المنظمات الصهيونية العالمية قد لعبت دوراً كبيراً وإن كان غير مباشر كوسيلة لهجرة هؤلاء الفلاشا عن طريق الضغط على الحكومة الإسرائيلية والأمريكية لترحيلهم كما أنها مولت وبنسبة كبيرة تكاليف الترحيل.

المبحث الثالث

حجم الهجرة

بالنسبة لحجم الهجرة من اليهود الفلاشا الذين وصلوا إلى فلسطين منذ العام ١٩٧٩م إلى عام ١٩٨٥م، فإنه ليس هناك تحديد دقيق لها، فالإحصاءات التي أعطيت عنها تتراوح بين ٧٨٠٠ فلاشي إلى ٣٠٠٠٠ فلاشي، ولا أعلم سبباً رئيسياً لهذه التقديرات المتضاربة، وإن كان الأمر يبدو أن هناك إحصاءات ركزت فقط على أعداد اليهود الفلاشا الذين تم ترحيلهم فيما يسمى بعملية «موسى» و«سبأ»^(١٨).

أيضاً هناك إحصاءات أخرى حددت حجم الهجرة فيما بين ثلاثة عشر ألف إلى خمسة عشر ألف ١٣٠٠٠ - ١٥٠٠٠ من يهود الفلاشا رحلوا إلى إسرائيل.

بقية المصادر تحددهم ما بين ١٠٠٠٠ عشرة آلاف إلى ١٢٠٠٠ اثنا عشر ألفاً كان ٧٨٠٠ سبعة آلاف وثمانمائة قد رحلوا فيما يسمى بعملية موسى^(١٩).

هذه هي الإحصاءات التي تحدثت عن حجم الهجرة اليهودية من الفلاشا والقاسم المشترك بينها أنها جميعاً لم تبين مصادرها في الأرقام التي تذكرها^(٢٠).

الهوامش

- (١) راجع في ذلك:
 - (أ) عمر العملة. مرجع سابق، ص ٨٨.
 - (ب) جريدة الرياض بتاريخ ١٩٨٥/٣/٢.
- (٢) ديفيد كلر. مرجع سابق، ص ١٣٩.
- (٣) المرجع السابق، ص ١٣٩.
- (٤) مجلة الأمة، العدد ٥٤، مارس ١٩٨٥، ص ٦.
- (٥) مجلة الدستور. العدد بتاريخ ١٤ كانون ثاني (يناير) ١٩٨٥، لندن، ص ١٨.
- (٦) للمزيد من المعلومات حول هذه النقطة راجع:
 - عمر العملة. مرجع سابق، ص ٩٤ - ٩٥.
 - ديفيد كلر. مرجع سابق، ص ١٣٨ - ١٣٩.
 - عمر العملة، مرجع سابق، ص ٩٠.
- (٩) راجع بعد ذلك:
 - ديفيد كلر. مرجع سابق، ص ١٣٩.
- (١٠) د. عطا محمد صالح زهره، مرجع سابق، ص ٨٧.
- (١١) صلاح عبد الله، الهجرة والنزوح في اسرائيل، مجلة شئون فلسطينية، العدد ١٥٤ - ١٥٥، شباط/فبراير ١٩٨٦، ص ١١٩.
- (١٢) راجع الجدول رقم (٢) للمقارنة بين حجم الهجرة والنزوح.
- (١٣) مجلة الدستور، العدد ٣٥٧، ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩٨٥ لندن، ص ١٥.
- (١٤) موسوعة السياسة، ج ٤، مرجع سابق، ص ٤٥٦.
- (١٥) مجلة الدستور، العدد ٣٥٧، ١٤ كانون ثاني/يناير ١٩٨٥، ص ١٥.
- (١٦) مجلة المجلة. العدد ٢٨٥، ٢٤ - ٣٠ يوليو (تموز) ١٩٨٥ لندن، ص ٢٩.
- (١٧) راجع: حول نقطة الاتفاق الاسرائيلي الاثيوبي ودوافعه كل من عمر العملة، مرجع سابق، ص ٨٥، ومجلة المجلة، العدد ٢٨٥ المرجع السابق، ومجلة الدستور، العددان ٣٥٧، ٣٨٦، لعام ١٩٨٥، ص ١٥ في العديدين.
- (١٨) مجلة وطني، العدد ٥٢ من ١ - ١٥ آب ١٩٨٥، ص ١٥.
- (١٩) راجع في ذلك:
 - (أ) مجلة الدستور. العدد ٤٠٠ لعام ١٩٨٥، مرجع سابق، ص ٩.

- (ب) مصطفى بكري، مرجع سابق، ص ٩.
- (ج) تقارير دار الجليل، التقرير رقم ١٠٧٣ في ١٩٨٥/١١/٩، ص ٥.
- (٢٠) لمزيد من المعلومات حول احصائيات اعداد الفلاشا انظر:—
- (أ) عطا محمد صالح زهره، الهجرة اليهودية الاستعمارية إلى فلسطين، مجلة شؤون عربية، تونس، العدد ٥٢، كانون أول ١٩٨٧ م ص ٨١.
- (ب) جريدة الشرق الأوسط العدد ٢٢٥٧ في ١٩٨٥/٢/١.
- (ج) مجلة الدستور، العدد ٤٠٠ لعام ١٩٨٥ المرجع السابق ص ٩.
- (د) تقارير دار الجليل، التقرير رقم ١٠٧٣ بتاريخ ١٩٨٥/١١/٩، ص ٥.

تأثير هجرة الفلأشا على الكيان الصهيوني

المبحث الأول: الأثر السياسي

المبحث الثاني: الأثر الأمني

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي والثقافي

المبحث الرابع: الأثر الاقتصادي

المبحث الأول

الأثر السياسي

إن الأثر السياسي لهجرة اليهود الفلاشا على الكيان الإسرائيلي يمكن تقسيمه إلى قسمين الداخلي والخارجي.

فبالنسبة للأثر السياسي الداخلي يمكن القول بأن أمورهم لن تكون أحسن حالاً من أمور اليهود الشرقيين «السفارديم» بشكل عام. هذه الأمور هي التي سوف تذكرهم بضالة مكانتهم: فوقعهم في النظام السياسي سوف يكون محدوداً جداً إذ أن المتتبع لأنماط التفاعلات السياسية داخل المجتمع الإسرائيلي سوف يكتشف أن اللعبة السياسية يحتكرها اليهود الغربيون احتكاراً يكاد يكون كاملاً وهذا يشكل نوعان من التمييز السياسي^(١).

أما بالنسبة للأثر السياسي الخارجي. فما لاشك فيه أن إسرائيل حينما أقدمت على ترحيل الفلاشا إلى فلسطين كانت لها أهداف دعائية سياسية كما ذكرنا سابقاً فالصفة العنصرية التي وصمت بها الصهيونية كانت أكثر المنغصات على هذا الكيان وخاصة في أوساط الملونين في الدول التي تعتبرها صديقة لها مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبالفعل فقد طلب من داعية الحقوق المدنية القس جيسي جاكسون الأسود أن يساعد في التوسط وتسهيل عملية نقل اليهود الأثيوبيين وقال جاكسون في رده «انه لما يشرفني أنكم تعتقدون في قدرتي على ذلك»^(٢). وهذا دليل على بداية التقارب بين هذا الكيان والأمريكيين السود في أمريكا والتي تعتبرهم مناهضين لها.

كما أن هذه الهجرة لاشك قد أثرت على العلاقات الإسرائيلية الأفريقية والذي كان موضوع العنصرية لايزال يقف عائقاً أمام هذه العلاقات وأمام التغلغل الإسرائيلي. كما أن إسرائيل تحاول إقناع اليهود في العالم والدول الأخرى بأنها هي

المدافعه عن حقوق اليهود في العالم وأنها الدولة اليهودية التي تحمي اليهود وتؤمن لهم الحماية أينما كانوا ومهما كانت جنسياتهم.

الأثر الآخر أن إسرائيل التي تلتخ إسمها أثناء حرب لبنان وبسبب أعمالها في المناطق التي اجتاحتها فهي لا تحظى بالمديح في العالم في السنوات الأخيرة، وعندما يذكر اسمها في وسائل الاعلام فإنه يكون مربوطاً بالأعمال السلبية إجمالاً وهنا وفي أعماق العملية سارع أصدقاء «إسرائيل» في العالم لعرضها كدولة تعالج موضوعاً إنسانياً عبر إنقاذ أشخاص من الأحتضار جوعاً^(٣). وبذلك تظهر إسرائيل أمام العالم في مظهر التحضر والإنسانية.

الأثر الآخر هو تضخيم صورة إسرائيل القادرة على عمل أي شيء تريد القيام به وأنه لا يستطيع كائن من كان الوقوف في وجهها ومنعها من تنفيذ ماترى أنه يجب القيام به.

المبحث الثاني

الأثر الأمني والاستيطاني

إن وجود الدولة الإسرائيلية وسط محيط عربي معاد جعل أمنها يعني في أحد جوانبه ضمان وجودها في مواجهة التحدي العربي. والهجرة اليهودية من بين الوسائل التي تساعدها على ذلك، فهي تسمح بالاستمرار في تنفيذ سياسة الاستيطان من جانب وزيادة قدرة الجيش الإسرائيلي من جانب آخر.

والاستيطان وبناء المستوطنات عند إسرائيل يأخذ بعداً أمنياً داخلياً وخارجياً وذلك في مجال الأمن الأساسي حيث تقوم بمهمة الدفاع ضد التهديد الخارجي وحماية الحدود من التسلل هذا في مجال الأمن الجاري ولتنفيذ هذه المهام الأمنية للمستوطنات الإسرائيلية اتجهت سياسات الاستيطان الحديث للحكومة الإسرائيلية نحو التركيز على استيطان المناطق القريبة من الحدود لتعزيز قدرتها الدفاعية ولتكون بمثابة حصون قوية تحمي الحدود وتشكل خط دفاع على وقف أي هجوم مفاجيء فشكلت بذلك سوراً أمنياً للكيان الإسرائيلي^(٤). كما تشكل بعداً استعماريّاً.

وبما أن أغلب المستوطنين اليهود وخاصة الاشكنازيم لا يرغبون في الاستيطان بهذه المستوطنات التي يعتبرونها غير آمنة بسبب تصاعد العمليات الفدائية الفلسطينية وقصفها من قبل الفلسطينيين واللبنانيين من جهة فلذلك قام الكيان الإسرائيلي بتوطين الفلاشا في هذه المناطق وزجهم في معترك الصراع العربي الإسرائيلي خاصة بالضفة الغربية في مستوطنات «عوقرة وأريئيل وكزني شمرون»^(٥)، كتعويض عن كثير من المستوطنين الغربيين الذين تركوا هذه المستوطنات ونزحوا إلى بلادهم التي أتوا منها وأيضاً قامت إسرائيل في معرض توطينهم في الأراضي العربية المحتلة في نابلس ورام الله والخليل وفي قطاع غزة، ويصل عددهم الآن إلى حوالي أربعة آلاف عائلة^(٦). ومنذ عام ١٩٨٥م ذكر أن عملية هجرة يهود الفلاشا ارتبطت

بعملية استيطان في جنوب لبنان وظهرت بعض التخوفات من أن يكون مصير جنوب لبنان مثل مصير الضفة الغربية وقطاع غزة وقبلها باقي الأراضي الفلسطينية واعتبار جنوب لبنان جزءاً من أرض إسرائيل الموعودة لليهود وفقاً للتجارة^(٧). أقول لقد ظلت هذه المخاوف موجودة إلى أن ظهرت في الشهر السابع من عام ١٩٨٨م أخبار الصحف وهي تطالعنا بحقيقة هذه المخاوف «فقد تبليت وزارة الخارجية اللبنانية من مصادر دبلوماسية وثيقة الصلة قولها أن اليهود الفلاشا الذين استقدمتهم إسرائيل من أثيوبيا يقومون الآن بإستثمار أراضي تابعة لأربع وعشرين مزرعة في منطقة «شعبا» وجوارها وأن الحكومة الإسرائيلية تسعى لتوطينهم في تلك المنطقة»^(٨) وقد تقدمت لبنان فيما بعد بشكوى رسمية إلى مجلس الأمن على هذا التصرف الخطير.

أما من الناحية العسكرية فقد زجت إسرائيل بالكثير من الشباب من يهود الفلاشا في الجيش من خلال تطبيق الخدمة العسكرية الإلزامية على الرغم من أن الأسباب التي دفعتهم إلى الفرار لإسرائيل كما يذكر البعض هي الهروب من التجنيد في صفوف جيش الحكومة الأثيوبية^(٩). «كما تقوم الناحل (كتائب الشباب) الصهيونية بالتعاون مع الوكالة اليهودية بتطبيق خطة خاصة لاستيعاب فتيان في الجيش الإسرائيلي استيعاباً ملائماً.

ويمضي المهاجرون الأثيوبيون وهم في سن ١٨ - ٢٥ عاماً مدة ثلاثة أشهر في قاعدة الجد ناع القائمة في مستعمرة نورم لتلقى المهارات العسكرية والامام بتاريخ وجغرافية أرض فلسطين ويمرون بإعداد نفسي من أجل تحمل الضغوطات في الجيش الإسرائيلي.

والعديد من هؤلاء الفتيان هم بقية متبقية من عائلاتهم وبعضهم مجهول الهوية وقد وافق الجيش الصهيوني على إعتبار مدة الثلاثة أشهر من الخطة كثلاثة أشهر في الخدمة الإلزامي»^(١٠).

وهنا يتبين لنا الأثر العسكري الأمني والاستيطاني لهؤلاء اليهود الفلاشا.

المبحث الثالث

الأثر الاجتماعي والثقافي

لقد شكلت بنية المجتمع الإسرائيلي منذ البداية من وحدات اجتماعية جاءت من أصول قومية وحضارية متباينة كثيراً مما جعله مجتمع ينحو إلى العزلة القوية وإلى التمايز الطبقي والعرقي والذي كان دائماً يهدد بالإنفصام الاجتماعي التام. ويقف عائقاً أمام تطور الأفراد ليتحولوا إلى مجتمع قومي متوحد.

وأكثر ما يبرز هذه الناحية هو التمييز بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين والذي هو في الواقع تكريس للسياسة الحكومية التي ظلت تفضل اليهود الغربيين على الشرقيين في جميع المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية فشكلت منهم طبقة عليا تنظر إلى اليهود الشرقيين كطبقة دنيا. فكان هؤلاء دائماً ينظرون إلى اليهود الشرقيين نظرة دونية عنصرية متطرفة.

ولكن هذه النظرة أو الفجوة الطبقية قد زادت بالنسبة لليهود الفلاشا السود «فقد وجه مهاجر أمريكي من بروكلين بنيويورك قدم إلى إسرائيل قبل سبعة أعوام، وجه رسالة إلى مجلة سياسية أسبوعية يهودية أعلن فيها «انني لا أعرف ماذا تسعى إليه الحكومة من وراء جلبها للسود إلى إسرائيل. لقد تركت الولايات المتحدة هرباً من السود»^(١١).

إذ الكثير من اليهود وخاصة الغربيين منهم يشعرون أن جلب هؤلاء السود قد يخلق طبقة جديدة داخل المجتمع الإسرائيلي سيكون لها تأثيرها على المجتمع بشكل عام بما جلبوه معهم من عادات وتقاليد ولون جديد. لذلك منذ القدم كانوا يشككون في صحة يهوديتهم وفي أصالة المعتقد اليهودي لهم، وما أن جاءوا إلى فلسطين حتى شعروا بخيبة الأمل والسبب يعود إلى طلب الحاخامات الإسرائيليين أن يتم تعمد

الفلاشا ومزاولة بعض الطقوس الدينية مما جعلهم يحتجون على ذلك بعضهم بالإعتصام أمام مقر الحاخامية الكبرى في القدس وبعضهم بعمل مسيرات احتجاج واندفع البعض أكبر من ذلك حين أقدم على الانتحار^(١٢).

وقد زادت حدة المشاكل والخلافات بين الفلاشا ورجال الدين اليهودي فرجل الدين اليهودي الكبير الأثيوبي «ماناس هایل» أعلن أن اليهود في إسرائيل ليسوا أتقياء في ممارسة الطقوس الدينية اليهودية^(١٣).

ومن ناحية أخرى فإن اليهود القاطنين في الضفة الغربية وفي هضبة الجولان السورية قد رفضوا استقبال اليهود الأثيوبيين السود بينهم^(١٤)، وقد أدت هذه الممارسات العنصرية إلى كره متبادل بين الفلاشا وغيرهم من اليهود «ويقال أن هؤلاء الفلاشا يكرهون الأسرائيليين كراهية تامة لأنهم يعاملونهم وكأنهم مواطنون من الدرجة الرابعة» غير متحضرين ومن فئة سفلى. كما ينظرون إليهم نظرة الاستغراب ويستفسرون منهم دون حياء عن بدائيتهم. أما الفلاشا الأثيوبيون فيرون أن معظم الأسرائيليون طماعون ولا أخلاق لهم، وأنهم على أحسن الفروض متعالون وعلى أسوأها عنصريون^(١٥).

هذه بعض الظواهر الاجتماعية التي واجهها الفلاشا في المجتمع الإسرائيلي اليهودي، فما هو الدافع الخفي وراء هذه التصرفات.

إن الدافع الذي لاشك فيه هو الخوف من أن يؤدي تكاثرهم إلى التأثير على طبيعة المجتمع الإسرائيلي وبسبب مشاعر العنصرية اليهودية ضد السود. فالفلاشا برهان حي على أن خرافة النقاء العنصري التي تروج لها الصهيونية لا أساس لها من الصحة فهم من الناحية الجسمية أفريقيون يشبهون غيرهم من الأحباش المسيحيين والمسلمين ولا يعرفون شيئاً عن اللغة اليديشية أو الثقافة اليديشية لليهود الغربيين ويتحدثون باللغات الأفريقية السائدة حولهم لأن معرفتهم بالعبرية مقصورة على عدة كلمات والعهد القديم الذي يعرفونه مكتوب بلغة الجفرية وهي لغة حبشية قديمة كما أنهم لا يعرفون شيئاً عن الكتب اليهودية الدينية الأخرى مثل التلمود، والغريب أن

يهود الفلاشا يقيمون شعائر السبت ويحتفلون بمعظم الأعياد اليهودية ويحافظون على الشرائع الخاصة بالختان والزواج وهم بذلك يختلفون في يهوديتهم بشكل جوهري عن اليهودية الحاخامية التلمودية كما أنهم لا يعرفون الصهيونية أبداً بالإضافة إلى أنهم يشكلون شعباً بدائياً لم يتعرض بعد لاساليب الحياة الغربية وتعقيداتها الحضارية.

فالهوة الثقافية التي فصلهم عن الكيان الذي استقبلهم سحيقة جداً ولذلك سوف يشكلون مع باقي الجماعات اليهودية خليطاً معقداً من المجتمعات البشرية شديدة التنافر تفتقر إلى الحدود الدنيا من التجانس والانسجام الاجتماعي والنفسي والثقافي الأمر الذي يترتب عليه زيادة حدة مشاكل التكامل الوطني وزيادة تفجير أزمة الهوية أو الإلتواء»^(١٦).

المبحث الرابع

الأثر الاقتصادي

إن الكيان الصهيوني قد ظل وما يزال من خلال ما يعلن عنه وفيه يعاني من أزمة اقتصادية كبيرة ويقال عنه أنه يستهلك أكثر مما ينتج، وأن التضخم فيه يرتفع إلى أكثر من ٧٤٠٠ وترتفع ديونه إلى حوالي ٢٦ مليار دولار ويرتفع العجز في ميزانه التجاري بمعدل سنوي يبلغ ٧٠٠ مليون دولار^(١٧).

فإذا كانت هذه هي الصفة التي تطلق على الاقتصاد الإسرائيلي فما هو الأثر الذي سوف يحدثه الفلاشا في هذا الاقتصاد وهم الجماعة الذين في أغلبهم لا يملكون الحد الأدنى من المهارة أو الثقافة.

إن الاقتصاد الإسرائيلي له نمط ذو طبيعة شاذة وسرية تحيط بتفاصيل هذا الاقتصاد. وهو في حقيقته لا يعتمد على التجاره أو النشاط الاقتصادي الخاص به للحصول على ما يحتاجه وهذا راجع لطبيعته إذ أن الاستيطان الإسرائيلي «إستيطان عميل» يخدم أول ما يخدم مصالح دول إستعمارية فهو بذلك من الناحية الاقتصادية مرتبط بهم ارتباطاً كاملاً فكل ديونه وكل قروضه تتحول إلى هبات بعد مدة قصيرة من أخذها بالإضافة إلى ما يحصل عليه من تعويضات مالية من ألمانيا الغربية والهبات التي يقدمها اليهود في العالم. ومن ثم خلقت هذه الواردات الإمكانيات الحقيقه لاقتصاد إسرائيل وحددت اتجاه نموه^(١٨) «وقد ذكر «بنعاس ساير» إن حل التناقض بين إمكانيات الإستيعاب وضرورته المطلقة لم يكن يأتي إلا نتيجة التدفق الضخم لرؤوس الأموال من الخارج. وإن مشروع الجباية اليهودية الموحدة هي الأداة الرئيسية التي مكنت من استيعاب الهجرة .. إن عملية الإستيعاب لم تكن بطبيعتها اقتصادية ولذلك احتجنا إلى رأس المال غير المرتجع^(١٩).

وتعاني إسرائيل أيضاً من الافتقار للأيدي العاملة غير الماهرة أو ما يطلق «العمالة الدنيا» بحيث أصبحت إسرائيل بحاجة ماسة إلى شريحة كبيرة من القوى المنتجة لتصحيح الخلل في الهرم السكاني^(٢٠). مما اضطرهم إلى استخدام العرب الفلسطينيين في هذه الأعمال.

ولكن بمجيء الفلاشا وخاصة الشباب منهم القادرين على استيعاب التدريس سيساهمون بلاشك وهذا فعلاً ما حصل – في سد هذه الفجوة.

هذه هي الميزة التي تميز الاقتصاد الإسرائيلي تقريباً فما هو الأثر الذي أحدثه مجيء الفلاشا في هذا الاقتصاد.

لاشك أن أي يهودي مهاجر يأتي إلى إسرائيل يتطلب منها القيام باستيعابه فكيف كان استيعاب هؤلاء الفلاشا؟

إن إسرائيل قد أثارت هذا الموضوع لدى الدول الصديقة وبين المنظمات والجماعات اليهودية في العالم ودفع الأموال في سبيل استيعاب وتأهيل هؤلاء المهاجرين الجدد. وقد حصلت فعلاً على الأموال التي بالغت في تحديدها واستغلتها في أمور أخرى لا دخل لها في استيعابهم فأى مستوى يحصلون عليه في إسرائيل هو بالتأكيد أفضل مما كانوا عليه عندما كانوا لا يجدون حتى الطعام أو الكساء. وفي ذلك يقول زعماء جمعية المهاجرين الأثيوبيون إن محنتهم السابقة قد استغلت من قبل المنظمات اليهودية في العالم من أجل جمع الأموال اللازمة لإقامة مشروعات في إسرائيل لا علاقة لها بإعادة توطين الفلاشا^(٢١).

ولكن هذه الأموال التي تجبى تحت راية توطين هؤلاء الفلاشا مهما بلغت ستكون محدودة بلاشك. ولكن الأثر الحقيقي سوف يظهر في المستقبل عندما يتعلم الأطفال والشباب منهم والذي يتصف بالسرعة لقدرتهم على استيعاب ما يتعلمون فإن هؤلاء بلاشك سوف يسهمون في سد الفجوة التي يعاني منها قطاع العمل الإسرائيلي فيما يسمى بالعمالة الدنيا ويزيدون من المقدرة الإنتاجية للكيان الصهيوني حتى لو كلف هذا التعليم في البداية بعض الأموال وفي ذلك يقول أبا إيبان في حديث له

عن التكاليف التقى يراها البعض باهظة في توطين المهاجرين بشكل عام «إن الهجرة الجماعية التي تبدو لدى الاقتصاديين الكلاسيك ديناً في المدى القصير ستثبت بالتأكيد أنها رأس مال في المدى الطويل إذ أنها ستزيد من مقدرة إسرائيل الإنتاجية كما ستزيد من أمنها العسكري»^(٢٢).

وبالفعل فقد بدأ هؤلاء المهاجرين يستقرون في أماكن ليست مرغوبة من قبل المستوطنين الأوائل مثل صحراء النقب وقد استخدم بعضهم في وظائف زراعية بينما يعمل آخرون في مصانع صغيرة وبعض المهاجرين الشباب يدرسون الآن في جامعات القدس وتل أبيب ولكن لا أحد يدعي بأن العمل سيوفر للجميع بعد إكمال المرحلة الأولى من عملية الاستيعاب^(٢٣).

هذا هو ما يمكن ملاحظته عن الأثر الاقتصادي لهجرة الفلاشا على الكيان الصهيوني والذي هو في الحقيقة لايزال غير واضح تماماً بسبب حداثة هذه الهجرة.

الهوامش

- (١) عمر العمله. مرجع سابق، ص ٩٢.
- (٢) جريدة الشرق الأوسط. عدد ٢٢٦٣ بتاريخ ٧/٢/١٩٨٥.
- (٣) مجلة صوت البلاد. العدد ٢٩ بتاريخ ٢٣ كانون ثاني/يناير ١٩٨٥، قبرص ص ٢٣.
- (٤) للمزيد من المعلومات حول هذه النقطة راجع:
د. نظام محمود بركات، مرجع سابق، ص ١٨٤ - ١٨٧.
- (٥) تقرير دار الجليل رقم ٣١ بتاريخ ١٧/٨/١٩٨٥، ص ١٤.
- (٦) جريدة السياسة الكويتية، عدد ٥٩٤١ بتاريخ ٢١/٢/١٩٨٥.
- (٧) مجلة النهضة. العدد ٨٩٨ بتاريخ ٢١/٤/١٤٠٥هـ، الكويت، ص ٢٠.
- (٨) جريدة القبس. ٥٨٠٢ بتاريخ ٧/٧/١٩٨٨. الكويت.
- (٩) جريدة الرياض. بتاريخ ٢/٣/١٩٨٥.

- (١٠) مجلة وطني. العدد ٣٦ بتاريخ ١٥ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٨٤.
- (١١) جريدة الشرق الأوسط. بتاريخ ١٥/٧/١٩٨٥.
- (١٢) راجع في ذلك:
- (أ) جريدة الجزيرة. العدد ٤٥٢٦ بتاريخ ١٨/٢/١٩٨٥ الرياض.
- (ب) جريدة الشرق الأوسط. بتاريخ ١٥/٧/١٩٨٥.
- (ج) مجلة وطني. العدد ٤٠ بتاريخ ١ شباط فبراير ١٩٨٥، ص ١٣.
- (١٣) عمر العمله، مرجع سابق، ص ٩٣.
- (١٤) جريدة السياسة الكويتية. العدد ٥٩٤١ بتاريخ ٢١/٢/١٩٨٥.
- (١٥) جريدة الشرق الأوسط. بتاريخ ١٥/٧/١٩٨٥.
- (١٦) عبد الحفيظ محارب، الهوه الاجتماعية في إسرائيل، مجلة شؤون فلسطينية، عدد ١٥، تشرين ثاني ١٩٧٢ ص ٣٧ - ٥٨.
- (١٧) عمر العمله. مرجع سابق، ص ٨٩.
- (١٨) للمزيد من المعلومات حول هذه النقطة راجع:
- (أ) د. اسماعيل محمد دعيس شبكة التجارة الخارجية للكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، مجلة الدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض. العدد الرابع، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ص ١٠٨ - ١٠٩.
- (ب) محمد السيد سعيد وأميره سلام. مرجع سابق، ص ١٣ - ١٥.
- (١٩) المرجع السابق، ص ١٤ - ١٥.
- (٢٠) عبد العليم محمد عبد العليم. مرجع سابق، ص ٣٠.
- (٢١) جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ ١٥/٧/١٩٨٥ م.
- (٢٢) محمد السيد سعيد وأميره سلام. مرجع سابق، ص ١٥.
- (٢٣) جريدة الشرق الأوسط. بتاريخ ٢٢/٧/١٩٨٥.

الخاتمة

بعد أن رأينا ما قام به الكيان الصهيوني وبعد أن رأينا أيضاً أهمية الهجرة بشكل عام وهجرة يهود الفلاشا بشكل خاص والوسائل التي اتبعت لتنفيذ عمليات الهجرة فإنه حري بنا أن نتطلع إلى مستقبل هذه الهجرة وكيف ستكون لبرز من خلال ذلك أهمية هذا الموضوع الذي كتبنا فيه.

إذ أن القيادات الصهيونية تتحرك بثبات نحو تحقيق أهدافها والتي يظل على رأسها ما يعرف «بقانون العودة»^(*) وتبذل في سبيل ذلك كل ما تملك من جهد لتذليل العقبات التي تعترض الهجرة إلى إسرائيل والنشاطات الصهيونية المتعددة في مختلف المجالات تؤكد ذلك لكون أهداف إسرائيل الكبرى لا تتعلق باعتبارات مصلحة أو تطلعات تفاخرية بل هي لديهم مرتبطة بمفاهيم دينية ترجع إلى أسطورة «أرض الميعاد».

من هذا المنطلق فإننا نرى أن الجهود ستبذل من قبل دول عديدة يهملها هذا الأمر لسبب أو لآخر لدفع العديد من اليهود في أقطار العالم للهجرة إلى فلسطين بطريقة لن تختلف عن ما حدث بالنسبة لليهود أثيوبيا وستمارس هذه الدول كل الضغوط مستخدمة بذلك نفوذها العسكري والاقتصادي والسياسي في التأثير بهذه الدول، ولا بد للدول العربية أن تواجه هذا المخطط، وأن تحول دون تنفيذه بكل الوسائل المتاحة.

(*) قانون العودة من القوانين الصهيونية العنصرية الرئيسية صدر عن الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٥٠م وعدل عام ١٩٥٤م هدفه ربط يهود العالم بفلسطين على أساس أن كل يهودي يعيش خارج فلسطين ليس يهودي مثالي أو حقيقي وأن الهجرة إلى إسرائيل ضرورية لتحقيق وحدة الشعب اليهودي فوق أرض الميعاد ووضع حد للتشتت أو النفي ويعطي هذا القانون كل يهودي الحق في الهجرة إلى فلسطين ما لم يمنع من قبل وزير داخلية إسرائيل لأسباب أمنية أو صحية، والحصول على الجنسية وحقوق المواطنة لدى دخول إسرائيل ولا يشترط القانون المعدل الإقامة في إسرائيل أو اتقان اللغة العبرية أو التنازل عن الجنسية الأخرى مقابل ابداء اليهودي «لنيته» في الاستقرار في إسرائيل.

للمزيد من المعلومات حول هذا القانون راجع: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج٤، ص ٤٧٠.

المراجع

أولاً: الكتب

- ١- الياس سعد، الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، منظمة التحرير الفلسطينية (مركز الأبحاث) لبنان، بيروت، ١٩٦٩.
- ٢- ديفيد كلر، الفلاشا يهود أثيوبيا، أحمد أبو العلا، سلسلة دراسات صامد، الاقتصادي (١٠) منشورات دار الكرمل، الأردن، عمان، ١٩٨٥م.
- ٣- محمد السيد سعيد وأميرة سلام، استيعاب المهاجرين في إسرائيل، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، مصر، القاهرة، ١٩٧٨.
- ٤- مصطفى بكري، الفلاشا خنجر في ظهر الأمة، لجنة القدس مصر، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ٥- نظام محمود بركات، الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين، جامعة الملك سعود، مركز البحوث الرياض ١٩٨٥م.
- ٦- وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١م.

ثانياً: المصادر الأولية :

- ١- الكتاب السنوي لدار الجليل لعام ١٩٨١م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨١م.
- ٢- موسوعة السياسة، إشراف عبد الوهاب الكيالي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥م، خمسة أجزاء.

ثالثاً: الدوريات :

أ - المقالات :

- ١- إسماعيل محمود دعيس، شبكة التجارة الخارجية للكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، في مجلة الدراسات الدبلوماسية، الرياض العدد الرابع ١٩٨٥م.
- ٢- جمال الدين العسكري، الهجرة إلى إسرائيل والنزوح منها، في مجلة الباحث العربي، لندن، العدد (١٤) يناير (كانون ثاني)، كارس (آذان) ١٩٨٥م.

- ٣- صلاح عبد الله، الهجرة والنزوح في إسرائيل، في مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٥٤ - ١٥٥ كانون ثاني (شباط) يناير/فبراير ١٩٨٦م.
- ٤- عبد العليم محمد عبد العليم، التسوية وحركة الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، مجلة السياسة الدولية القاهرة، العدد ٥٨، أكتوبر ١٩٧٩م.
- ٥- عطا محمد صالح، الهجرة اليهودية الاستعمارية إلى فلسطين: قراءات في مجلة شؤون عربية، تونس العدد ٥٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧م.
- ٦- كلمة الأمة، مجلة الأمة، العدد ٥٤ مارس ١٩٨٥م.
- ٧- عمر العمله، عملية تهجير الفلاشا على الكيان الصهيوني، في مجلة صامد الاقتصادي، عمان، العدد ٥٦، تموز (آب) ١٩٨٥م.

ب - المجلات والجرائد والنشرات عدة أعداد متفرقة من :-

أولاً: المجلات الأسبوعية :

- ١- مجلة الدستور، لندن.
- ٢- مجلة صوت البلاد، قبرص.
- ٣- مجلة المجلة، لندن.
- ٤- مجلة النهضة، الكويت.
- ٥- مجلة وطني، مجلة نصف شهرية تصدر عن هيئة التوجيه السياسي والأعلام لجيش تحرير الوطني الفلسطيني، تونس.

ثانياً: الجرائد :

- ١- الأنباء، الكويت.
- ٢- الجزيرة، الرياض.
- ٣- الرياض، الرياض.
- ٤- السياسة الكويتية.
- ٥- الشرق الأوسط، لندن.
- ٦- القبس، الكويت.

ثالثاً: النشرات والتقارير :

- ١- الأرض المحتلة، نشرة تصدر عن مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق.
- ٢- تقارير دار الجليل، يصدر عن دار الجليل للنشر والخدمات الصحفية، عمان.

النزاع
الأثيوبي الصومالي

النزاع الأثيوبي - الصومالي

إشراف
الدكتور محمود حسن خليل

اعداد الدارس
عدنان محمود بوسطجي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اهتمت القوى الاستعمارية بشرق أفريقيا وخاصة منطقة القرن الأفريقي، نظراً لأهميته الاستراتيجية، ولا سيما في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث زادت عمليات التكالب الاستعماري على المنطقة التي شاركت فيها القوى الأوربية، حيث تقاسمتها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، ولم تخل عملية التكالب تلك من المنازعات السياسية والاصطدامات العسكرية وعمليات التسوية والمساومة التي نمت بين القوى المتصارعة في المنطقة.

ويعتبر النزاع الأثيوبي - الصومالي نتاج تلك التكالبات والنزاعات الاستعمارية على المنطقة، وذلك بسبب تقسيم تلك القوى لبلاد الصومال إلى خمسة أجزاء منفصلة، على النحو اختصت به بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وأثيوبيا وكينيا كل منها بجزء خاص، ورغم استقلال الجزء الأول والثاني وقيام جمهورية الصومال عام ١٩٦٠م، إلا أنهال بعد الإستقلال بدأت تطالب بالأجزاء الأخرى لضمها إليها.

ونظراً لآتساع الموضوع وتشابك أطرافه فقد اقتصر الباحث على دراسة النزاع الأثيوبي - الصومالي على منطقة الأوغادين وهود (الصومال الغربي) والمعروفة أيضاً باسم - الصومال الأثيوبي.

وترجع أهمية هذا البحث، للموقع الاستراتيجي الهام الذي يحتله طرفي النزاع في منطقة القرن الأفريقي، والذي

يعتبر بإطلاله على مضيق باب المنذب من جهة والمحيط الهندي من جهة أخرى من أهم الممرات الدولية وحلقة الاتصال بين الشرق والغرب ومن ثم فلا غرابة ان كان أحد مسببات الحرب العالمية الثانية.

لقد ازدادت النزاعات الإقليمية في المنطقة واتسعت الأمر الذي مهد ويسر تدخل الدول الكبرى في المنطقة تحت غطاء حمايتها حيناً وبحجة مساعدة دولها، حيناً آخر، حتى أصبحت مسرحاً للصراع الدولي وساحة للحرب الباردة بين القوى العظمى.

إن اختيارنا لموضوع النزاع الأثيوبي - الصومالي مرجعه الرغبة في دراسته لما له من أهمية سياسية واستراتيجية على جميع الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية ولا سيما وأنها رغبة استمدت بدايتها من دراستنا الموجزة لها ضمن مقرر مادة القضايا الدولية.

وبهدف البحث إلى توضيح الجوانب المختلفة التي أدت إلى النزاع وتحديد العناصر الرئيسية التي ساعدت على تصعيد وإبراز دور التدخل الاجنبي فيه. ولقد اعتمدنا على المنهجين التاريخي والتحليلي كلاً في موقعه المناسب، واستخدمنا عدة مصادر أولية منها الكتب والدوريات والصحف.

وتعتبر ندرة المراجع التي تتناول هذا الموضوع باللغة العربية أحد العقبات التي واجهت الباحث.

ويشتمل البحث على خمسة فصول بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة ويتناول الفصل الأول الاستعمار الأوربي لمنطقة القرن الأفريقي، أما الفصل الثاني فيتناول موضوع استقلال

الصومال والنزاع على الحدود الصومالية - الأثيوبية. أما الفصل الثالث فقد خصص لدراسة أثر التغير السياسي في الصومال وأثيوبيا على النزاع، أما الفصل الرابع فقد اقتصر على تحليل المواقف الدولية من النزاع. وأخيراً يجيء الفصل الخامس لدراسة الوضع الراهن للنزاع.

نأمل أن يعطي هذا الجهد المتواضع صورة واضحة عن النزاع الأثيوبي - الصومال بأبعاده السياسية والاستراتيجية التي أمكن الوصول عبرها إلى الاستنتاجات.

وأخيراً نود تقديم شكرنا وتقديرنا لسعادة الدكتور محمود حسن خليل أستاذ العلاقات الدولية بمعهد الدراسات الدبلوماسية الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث والذي كان لتوجيهاته وإرشاداته الإسهام الأكبر في إخراجه بهذا الشكل، كما نتوجه بالشكر إلى جميع منسوبي المعهد لما قدموه من تعاون طيلة العامين الدراسيين اللذين قضيناها بالمعهد.

والله نسأل أن ينفعنا بما علمنا وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه.

الاستعمار الأوربي لمنطقة القرن الأفريقي

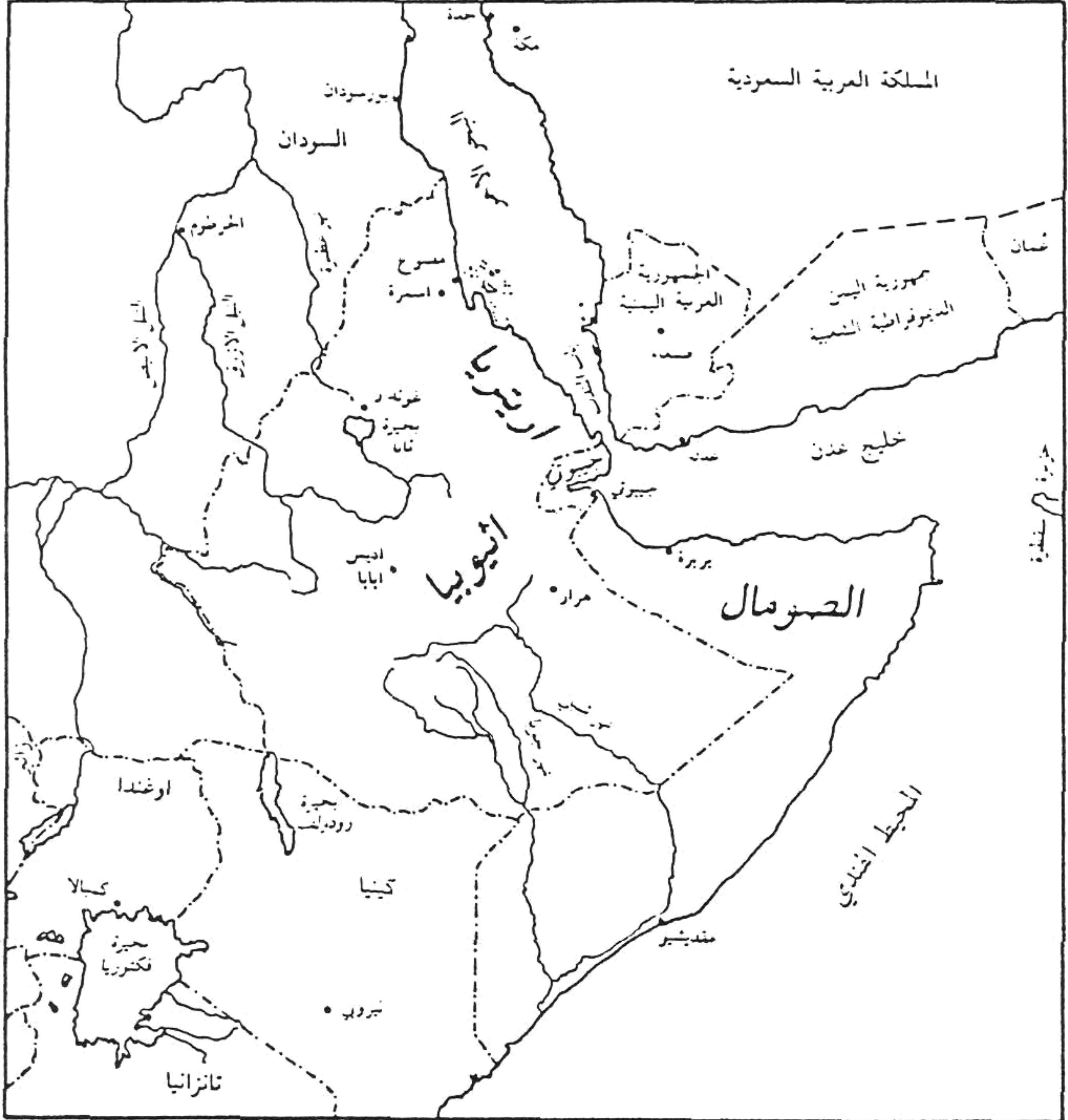
إن المقصود بالقرن الأفريقي وكما يعرفه الجغرافيون هو ذلك البروز الذي يشبه القرن في شكله، والواقع في أقصى شمال شرقي القارة الأفريقية، ويحده من الشمال خليج عدن ومن الشرق المحيط الهندي ومن الغرب أثيوبيا ومن الجنوب كينيا، وبالتالي فهو يشمل جميع الأراضي الصومالية، ونصف مساحة جيبوتي، وخمس مساحة أثيوبيا وكينيا^(١). أما الأنثروبولوجيون فيقصدون بالقرن الأفريقي هي تلك الأرض التي يسكنها الصوماليون وإن تعددت أوطانهم سواء في الصومال أو أثيوبيا أو كينيا أو جيبوتي، أما من الناحية السياسية فالمقصود به أساساً الصومال وأثيوبيا وجيبوتي كوحدات سياسية قائمة، تشكل رقعة استراتيجية هامة على خريطة القارة الأفريقية (١).

فقد تعرضت منطقة القرن الأفريقي كغيرها من مناطق القارة الأفريقية، خلال القرن التاسع عشر الميلادي إلى الاستعمار الأجنبي، وذلك لما له من موقع استراتيجي

(١) د. محمود حسن خليل. «حقيقة الصراع في القرن الأفريقي». مجلة الدبلوماسية (معهد الدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية، المملكة العربية السعودية، الرياض، العدد الثالث، ربيع الثاني، ١٤٠٣هـ)، ص ٨٠. وراجع الخارطة رقم (١) التي توضح القرن الأفريقي، في الصفحة التالية.

الخارطة رقم (١)

توضيح القرن الأفريقي *



* المصدر: بيركيت هابتي سيلاسي. الصراع في القرن الإفريقي. ترجمة عفيف الرزاز. (مؤسسة الايمان العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠)ص.

هام، وما تحتويه أراضيه من موارد طبيعية استغلتها الدول الاستعمارية لتحقيق أهدافها السياسية والعسكرية والاقتصادية.

فقد قامت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا بالتدخل في منطقة القرن الأفريقي وخاصة في بلاد الصومال وقسمته إلى أجزاء عديدة، تسيطر كل واحدة منها على جزء وتتحكم فيه، وشاركت أثيوبيا تلك الدول في تقسيم بلاد الصومال واستأثرت بجزء منه، وأصبحت بلاد الصومال والتي كانت تشمل جميع مناطق القرن الأفريقي، ممزقة بطريقة تعسفية إلى أقاليم متعددة تخضع تحت السيطرة الأجنبية^(١)، وأدى ذلك إلى نشوء نزاعات بين دول المنطقة وصلت إلى مرحلة الحرب في بعض الأوقات بين الصومال وجاراتها، وخاصة أثيوبيا، وسوف نستعرض في المباحث التالية، مراحل الاستعمار الأجنبي في دول المنطقة وما نتج عنه من تقسيم لأراضيه، وأثره في النزاعات التي نشأت بين دول المنطقة.

المبحث الأول: الاستعمار البريطاني :

في الوقت الذي كانت فيه مصر مسيطرة على السواحل الغربية للبحر الأحمر وسواحل خليج عدن الجنوبي بالإضافة إلى سواحل الصومال الشرقية، في القرن التاسع عشر الميلادي، لم يكن لبريطانيا وجود في المنطقة سوى وجودها في عدن، ورغبة منها في تأمين طريق مواصلاتها إلى الهند أقامت عدداً من القواعد الحربية على أركان المحيط الهندي وكذلك على خليج عدن المطل على بلاد الصومال.

وسعت بريطانيا جاهدة لإبعاد النفوذ المصري عن تلك المنطقة. فبعد احتلالها لمصر سنة ١٨٨٢م حلت القوات البريطانية محل القوات المصرية، التي كانت الثانية تسيطر عليها، وخاصة في مناطق زيلغ وبربرة (الصومالية) المطلة على خليج عدن، وكذلك دخلت القوات البريطانية حتى منطقة هود الصومالية. وفي عام ١٨٨٥م اكتملت السيطرة البريطانية لتلك المناطق التي هيأتها لتكون في خدمة قواعدها

(١) د. راشد البراوي. الصومال الجديد فلسفة وأمل. (مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٣)، ص ٢٥.

الحربية في عدن واتخذتها مركزاً لإقامة مستعمرة الصومال البريطاني^(١).

وفي عام ١٨٨٧م أعلنت بريطانيا حمايتها على ذلك الجزء من الصومال الذي يبدأ من رأس جيبوتي حتى بندر سعيد، (انظر خريطة رقم (٢)) وأبرمت الاتفاقيات مع إيطاليا وفرنسا على المناطق الصومالية، وسعت كل منها في تحجيم توسع الأخرى. فبدأت بريطانيا بعقد الاتفاقيات مع شيوخ القبائل بالمنطقة بغرض حمايتهم من أى اعتداء، أو عن طريق شراء بعض المناطق من حكامها بهدف التوسع في استعمارها وتحقيق مصالحها الذاتية بالمنطقة. وقد لعبت فرنسا نفس الدور وقامت بإبرام العديد من المعاهدات مع شيوخ القبائل وأهمها المعاهدة التي أبرمتها مع سلطان منطقة (تاجورة) وهي ميناء هام يقع على خليج عدن ويتحكم في الطريق المؤدي إلى هرر، وذلك بحجة حمايتها من أى اعتداء، وقد تعهد سلطانها بعدم إبرام أى معاهدة أخرى مع أى دولة أجنبية. وبعد خروج القوات المصرية سنة ١٨٨٤م من تلك المنطقة سيطرت فرنسا عليها تماماً وبذلك أصبحت فرنسا تمتلك مفتاح الطريق التجاري للمنطقة عن طريق البحر.

وفي عام ١٨٨٨م أسس الفرنسيون قاعدة لهم عند رأس جيبوتي نظراً لأهميتها الاستراتيجية وموقعها على مخرج البحر الأحمر جنوباً وشرافها على المحيط الهندي، كما أنها تعتبر الميناء والمخرج الوحيد لأثيوبيا على البحر. وتوسعت فرنسا بعد ذلك في استعمارها حتى أصبحت تسيطر على اجزاء كبيرة من تلك المنطقة المعروفة الآن بأسم جيبوتي^(٢).

المبحث الثاني: الاستعمار الإيطالي :

نظراً لشدة التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا على منطقة شرق أفريقيا وخاصة سواحل خليج عدن والبحر الأحمر ومناطق أعالي النيل منذ عام ١٨٨١م،

(١) د. محمد عبد المنعم يونس. الصومال وطناً وشعباً. (دار النهضة العربية القاهرة، مصر، ١٩٦٢)، ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق. ص ٤٥.

شجعت بريطانيا إيطاليا على بسط نفوذها على تلك المنطقة^(١).

وقد استت إيطاليا مستعمرة لها في ميناء عصب بعد خروج القوات المصرية منه سنة ١٨٨٥م وشجعته على ذلك بريطانيا بهدف سد الطريق أمام التوسع الفرنسي. وزاد بذلك النشاط الإيطالي في المنطقة وزاد توسعها الاستعماري حتى أصبحت تسيطر على ساحل البحر الأحمر الغربي من عصب جنوباً وحتى ميناء مصوع شمالاً. وعملت إيطاليا على تكوين إمبراطورية استعمارية كبيرة في منطقة شرق أفريقيا وأعلنت حمايتها على بعض المناطق مثل (ميجورتين) و(هوبيا) الصومالية وأيضاً قامت بإغراء شيوخ القبائل المحليين وبأخذ موافقتهم على حماية مناطقهم، وفي نفس الوقت كانت تبلغ الدول الأوروبية الأخرى وخاصة بريطانيا وفرنسا بسيطرتها على كل منطقة تصبح تحت حمايتها، بهدف منعهم من الإقدام على الدخول فيها أو التفكير في منافستها على تلك المناطق.

وفي عام ١٨٨٩م سيطرت إيطاليا على جزء من بلاد الصومال الواقعة بين القسم الذي احتلته بريطانيا وأراضي سلطان زنجبار وسمي ذلك الجزء (بالصومال الإيطالي) وفي عام ١٨٩٤م تم الاتفاق بين الحكومة الإيطالية والحكومة البريطانية على تمديد مناطق نفوذ كلٍ منهما، ونتج عنه اتفاق الحكومتين على خط الحدود الذي يفصل (الصومال البريطاني) عن (الصومال الإيطالي). انظر الخارطة رقم (٢).

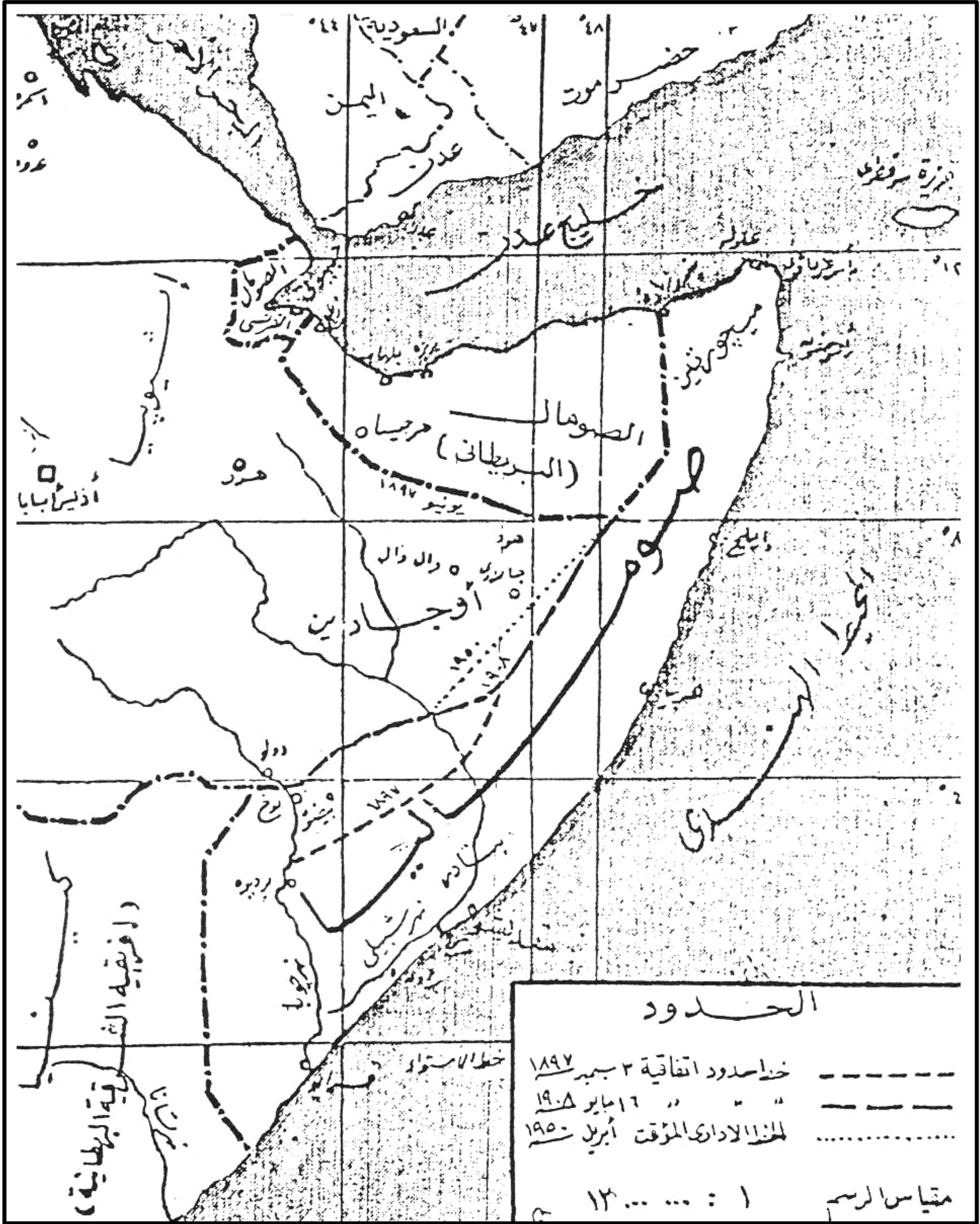
في عام ١٨٨٩م احتلت إيطاليا الأقاليم الشمالية للحبشة وضمتهما إلى أملاكها، وفي نفس الوقت اتبعت سياسة التقرب إلى ملك الحبشة منليك الثاني وساعدته للوصول إلى العرش الإمبراطوري، وكرد للجميل، اعترف منليك بالحماية الإيطالية على الإمبراطورية الحبشية، وفي نفس العام وقعت اتفاقية بين البلدين على ذلك وسميت باتفاقية (اوتشالي)، ومن ثم ظهرت الحبشة بعد ذلك أمام الدول الأوروبية كمنطقة نفوذ ايطالية.

ولكن نظراً لأطماع إيطاليا التوسعية في بلاد الحبشة ورغبتها في ضمها تحت

(١) د. حمدي الطاهري. قصة الصومال. الناشر(القاهرة، مصر، ١٩٧٧)، ص ٣٤.

الخارطة رقم (٢)

توضح تقسيمات الصومال ابان الاستعمار *



* المصدر: محمد عبد المنعم يونس. الصومال وطننا وشعبنا. دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.

سيطرتها، نشبت الخلافات بينها وبين ملك الحبشة، وفي نفس الوقت سعت كل من فرنسا وروسيا القيصرية، في زيادة شقة الخلاف بين الطرفين، نظراً للعداء القائم بين إيطاليا من جهة، وفرنسا وروسيا من جهة أخرى، وقد نتج عن تلك الخلافات بين إيطاليا والحبشة الغاء معاهدة (أوتشالي) سالفة الذكر، وقد دخلت كل منهما في حرب مسلح مع الأخرى بسبب ذلك الخلاف عام ١٨٩٥م.

وفي عام ١٩٠٨م عقد الطرفان اتفاقية لتخطيط الحدود بين منطقة الصومال الإيطالي والحبشة، وبذلك استقرت إيطاليا في مستعمرتها في كل من أريتريا والصومال^(١).

المبحث الثالث: موقف الدول المستعمرة من النزاع بعد الحرب العالمية الثانية :

يرجع النزاع بين أثيوبيا والصومال على منطقة الأوغادين منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. فقد سيطرت أثيوبيا على منطقة الأوغادين منذ عام ١٨٨٧م عندما احتلت قوات إمبراطور الحبشة منليك الثاني مدينة هرر التي تعتبر عاصمة الصومال الغربي، بإيعاز وتشجيع من بريطانيا، وذلك بعد انسحاب القوات المصرية منها في عام ١٨٨٢م. وضمت الحبشة أسماً الجزء الحيوي من منطقة الصومال الغربي الذي يتكون من إقليم الأوغادين إلى إمبراطوريتها بالاتفاق مع بريطانيا.

وفي عام ١٨٩٧م أبرمت الحبشة مع بريطانيا معاهدة سرية استولت الأولى بموجبها على الجزء الشرقي لإقليم الأوغادين المعروف بأسم هود^(٢). ولكن أثناء احتلال إيطاليا القيصرية للحبشة أعلن موسليني إعادة إقليم الصومال الغربي إلى الصوماليا (الصومال الإيطالي).

بعد انضمام إيطاليا إلى ألمانيا بسبب الانتصارات التي حققتها الثانية في بداية الحرب العالمية الثانية وقبل تغير موازين القوى تمكنت إيطاليا من إخراج بريطانيا

(١) د. محمد عبد المنعم يونس. مرجع سابق، ص ٥٣.

(٢) د. يحيى الشريف. ثورة الأوغادين وقصة النزاع الصومالي الاثيوبي حولها. (مجلة الوطن العربي)، العدد (٢٣٠)، يناير، ١٩٧٨، ص ٧٤.

من الجزء الذي كانت تحتله في بلاد الصومال المعروف بأسم (الصومال البريطاني) عام ١٩٤٠م، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً. فبعد انتصار الحلفاء أثناء الحرب عام ١٩٤١م، استطاعت بريطانيا أن تخرج إيطاليا واستطاعت القوات البريطانية السيطرة على أجزاء كبيرة من أثيوبيا وخاصة إقليم الأوغادين الذي كان تحت سيطرة الحكم الحبشي^(١) وفرضت ادارتها العسكرية على تلك المناطق.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية استمرت بريطانيا مسيطرة على جميع تلك المناطق وانفردت بالسيادة عليها، رغم مطالبة إيطاليا المهزومة في الحرب، العوده إلى مستعمراتها في بلاد الصومال.

وفي معاهدة الصلح سنة ١٩٤٧م بين دول الحلفاء وإيطاليا تقرر أن تتولى حكومات كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتي وضع حل نهائي للمستعمرات الإيطالية السابقة وأحيل الموضوع إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة. وقد قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تعيد صوماليا (الصومال الإيطالي) إلى إيطاليا وتكون تحت وصايتها، وحددت مدة الوصاية بعشر سنوات تبدأ من عام ١٩٥٠م وتنتهي عام ١٩٦٠م حيث تنال صوماليا الإستقلال الكامل بعد ذلك وتصبح دولة ذات سيادة^(٢). وبهذا رجعت إيطاليا إلى مستعمراتها ولكن بمسمى آخر، وبقيت بريطانيا أيضاً في مستعمراتها في الجزء المسمى (بالصومال البريطاني) من بلاد الصومال. وبعد الحرب العالمية الثانية أرسلت الدول المنتصرة مندوبيها إلى مقديشو عام ١٩٤٨م لمعرفة رغبات شعب المناطق الصومالية في مصيرهم وخاصة لحل قضية المستعمرات الإيطالية في الصومال^(٣). وقد عبر الشعب الصومالي بعدم رغبته في الإنضمام إلى الحبشة مرة أخرى أو حتى البقاء تحت سيطرة الإستعمار البريطاني، وفضل أن تتولى الدول الكبرى إدارة تلك المنطقة تحت إشراف الأمم المتحدة لمدة عشر سنوات وتنال بعدها الإستقلال الكامل. وجاءت تلك الرغبة من الشعب الصومالي معاكسه لما

(١) د. حمدي الطاهري. مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) د. راشد البراوي. مرجع سابق، ص ٢٧.

(٣) د. يحيى الشريف. مرجع سابق، ص ٧٢.

كانت تسعى إليه بريطانيا في اختيارها حتى تكون هي الوصية على بلاد الصومال وخاصة أنها كانت تسيطر على معظم أقاليمه بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لهزيمة إيطاليا في تلك الحرب.

وكرر فعل لما أجمع عليه الشعب الصومالي قررت بريطانيا فوراً في عام ١٩٤٨م تسليم منطقة الصومال الغربي بما في ذلك إقليم الأوغادين إلى الحبشة^(١).

وفي عام ١٩٥٤ وقعت بريطانيا مع أثيوبيا إتفاقية تعهدت بموجبها سحب حكمها العسكري من منطقة هود على أن تتولى الحكومة الأثيوبية إدارتها ابتداء من عام ١٩٥٥م، كما أكدت تلك الإتفاقية على حق القبائل الصومالية في الرعى على جانبي الحدود الصومالية الأثيوبية. وفور إعلان تلك الإتفاقية في نفوس العام الذي أبرمت فيه ، ثار الشعب الصومالي في كل من الصومال الإيطالي والبريطاني وإحتج على وضع جزء من الأراضي الصومالية تحت سيطرة أثيوبيا ودون موافقة أصحاب الحق الشرعي بها. ورفضت بريطانيا تعديل الإتفاقية بحجة إرتباطها بتعهدات سابقة مع أثيوبيا بمقتضى إتفاقية سنة ١٨٩٧م السابقة الذكر، وتمسكت أثيوبيا بتلك المنطقة بحجة أنها حصلت عليها بموجب إتفاقيات وتعاهدات أبرمتها مع الدول الاستعمارية.

(١) المرجع السابق. ص ٧٥.

استقلال الصومال والنزاع على الحدود

المبحث الأول: نشأة جمهورية الصومال:
قبل انتهاء مدة الوصاية التي حدت بعشر سنوات لاستقلال الصومال الإيطالي، سعت الدول الاستعمارية الأوروبية بمنطقة الشرق الأفريقي إلى عرقلة تنفيذ قرار الأمم المتحدة بشأن استقلال الصومال الإيطالي في الموعد المحدد، خوفاً من استقلال أي منطقة، لأن ذلك سوف يكون دافعاً قوياً للدول الأفريقية الأخرى بالمطالبة بالإستقلال، ويترتب عليه المصالح الاستعمارية^(١).

ولكن إصرار الشعب الصومالي ومطالبته بالإستقلال وكفاحه ضد الإستعمار حال دون نجاح تلك المؤامرات والنوايا. وقد طالبت جميع الأحزاب السياسية الموجودة آنذاك في منطقة الصومال الإيطالي والشعب جميعاً بتقديم موعد إعلان الإستقلال إلى أول شهر يوليه ١٩٦٠م بدلاً من شهر ديسمبر من نفس السنة.

ولكي تشبت إيطاليا حسن نواياها، وافق برلمانها على إنهاء الحكم الإيطالي في بلاد الصومال وأبدى استعدادة للإنسحاب، ليهيء الفرصه للصوماليين لتسلم مقاليد الحكم في البلاد، وتمشياً مع رغبة الشعب الصومالي في تقديم موعد إستقلالهم وموافقة إيطاليا وافقت قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع على ذلك، وعليه

(١) د. محمد عبد المنعم يونس. مرجع سابق. ص ١٨٧.

تم في أول يوليو عام ١٩٦٠ إنسحاب جميع القوات الإيطالية من الصومال الإيطالي وتسلم الحكم لأبناء المنطقة.

وفي الجانب الآخر كانت هناك مطالبات صومالية أيضاً بالاستقلال من الحكم البريطاني في منطقة الصومال البريطاني. ونتيجة لتلك الطلبات أعلنت وزارة المستعمرات البريطانية في شهر مايو ١٩٦٠م استعدادها لمنح الصومال البريطاني إستقلاله قبل أول يوليه سنة ١٩٦٠م، ليتمكن ذلك الجزء من الإتحاد مع الصومال الإيطالي عند استقلاله، وقد تم فعلاً الإعلان عن الإستقلال الصومالي البريطاني في ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٠.

ونتيجة لإستقلال الصومال الإيطالي والبريطاني إتفق زعماء الصومالين على الإتحاد في ١٦ أبريل ١٩٦٠م ونشأت بذلك جمهورية الصومال الديمقراطية الحالية.

المبحث الثاني: النزاع على الحدود :

بعد أن استقلت الصومال بجزئها الإيطالي والبريطاني بدأت بالمطالبة بإرجاع الأجزاء الصومالية الأخرى، بهدف ضمها إليها تحت حكم دولة صومالية واحدة، وتكوين ما أسمته بالصومال الكبرى، وهذا يعني مطالبة اثيوبيا بمنطقة الاوغادين وهود، ومطالبة كينيا بالاقليم الشمالي الشرقي منها، وأيضاً مطالبة فرنسا بإقليم الصومال الفرنسي الذي يتكون من قبائل عفار وعيس التي تتكون منها دولة جيبوتي الحالية^(١).

فكانت أول بادرة صومالية لتحقيق مطالبها تلك، هي عدم الاعتراف بمعاهدة سنة ١٨٩٧م التي أبرمتها بريطانيا مع اثيوبيا بشأن منطقة الاوغادين، بالإضافة إلى رفض بقية المعاهدات التي أعطت اثيوبيا الحق في ضم منطقة (الصومال الغربي) إلى أراضيها.

وعلى إثر تلك الخطوة الصومالية، قامت اثيوبيا بمنع القبائل الصومالية من حق

(١) د. محمد نصر مهنا. د. خالد ناجي معروف. تسوية المنازعات الدولية. (مكتبة غريب، القاهرة، مصر)، ص ٢٥٧.

الرعى بمناطق الاوغادين وهود، والتي كانت ترتحل إليها القبائل للإستفادة من مراعي وآبار معروفة في تلك المنطقة، حيث كانت قبائل شمال الصومال تتبع نمطاً من الرعى الموسمي. فعند حلول فصل الصيف تهاجر الكثير من القبائل إلى مناطق الأوغادين وهود، طلباً للماء والكلاً وأعتبرت أثيوبيا تلك المناطق جزءاً لا يتجزأ من الامبراطورية الأثيوبية، وإدعت أحقيتها في إدارتها والتي ورثتها من الإستعمار بموجب إتفاقيات شرعية^(١).

ولما كانت الإتفاقية التي أبرمتها بريطانيا مع أثيوبيا سنة ١٩٥٤م والتي بموجبها منحت الثانية حق إدارة منطقة الأوغادين وهود، تنص على حق الرعى للقبائل الصومالية فيها، قبلت أثيوبيا بتنفيذ ذلك بشرط اعتراف الحكومة الصومالية بالحدود التي عينت بموجب إتفاقية عام ١٨٩٧م والتي أبرمتها مع بريطانيا، وحددت فيها الحدود بين المحمية البريطانية في ذلك الوقت وأثيوبيا والتي تعطي الحق للثانية في السيطرة على منطقة هرر والجزء الشرقي لإقليم الأوغادين المعروف باسم هود^(٢).

ولم توافق الصومال على ذلك الشرط وأخذت العلاقات بين البلدين تتدهور سريعاً. ونتيجة للتحرشات التي وقعت في المناطق المتنازع عليها بين الطرفين، وضعت أثيوبيا قواتها في حالة الإستعداد القصوى، وطوال عامي ١٩٦١، ١٩٦٢م كانت المشكلة تزداد حدة، وتصاعدت خلالها الحملات الإذاعية والصحفية بالإتهامات من جانب الطرفين، وبدأت الدول الأفريقية المجاورة تنظر إلى الوضع على أنه سوف يتصعد في أي وقت من الأوقات.

وفي المؤتمر التأسيسي الأول لمنظمة الوحدة الأفريقية في ٢٦ مايو عام ١٩٦٣م^(٣) بأديس أبابا، عرضت مشكلة الحدود بين الصومال من جهة وأثيوبيا وكينيا من جهة أخرى، ولم يأخذ المؤتمر بوجهة النظر الصومالية القائمة على حق

(١) المرجع السابق. ص ٢٧٢.

(٢) د. علي أسعد ابوبكر. «مشكلة الحدود الصومالية - الأثيوبية». (مجلة كلية الآداب، جامعة

الرياض، العدد ٧، ١٩٨٠)، ص ٢٠٠.

(٣) د. محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف. مرجع سابق، ص ٢٤٣.

تقرير المصير للمناطق الصومالية المتاخمة للصومال المستقل، وبعد عام من ذلك التاريخ أصدر مؤتمر القمة الأفريقي في القاهرة قراراً نص صراحة على مبدأ عدم المساس بالحدود الأفريقية الراهنة وبقائها كما هي، وبذلك فشلت جهود الصومال السلمية في تحقيق مطالبها الإقليمية.

المبحث الثالث: المواجهة الصومالية الأثيوبية الأولى عام ١٩٦٤ م :

بعد فشل الصومال في تحقيق مطالبها بالطرق الدبلوماسية لجأت إلى المواجهة العسكرية ضد أثيوبيا ولاسيا إثر وقوع اشتباكات مسلحة على الحدود بين البلدين وسط اتهامات من الطرفين على أن الآخر هو الباديء بالهجوم، وسرعان ما أمتدت نيران القتال إلى أكثر من منطقة واشتعلت الجبهة الصومالية - الأثيوبية بتصادم مسلح، على مختلف الجبهات. وفي تلك الأثناء عقد مجلس وزراء خارجية دول منظمة الوحدة الأفريقية دورته غير العادية في دار السلام في الفترة من ١٢ إلى ١٥ فبراير عام ١٩٦٤ وأصدر قراراً نص على وجوب وقف إطلاق النار من الجانبين، وسحب القوات إلى مسافة خمسة عشر كيلومتراً من الحدود المعترف فيها دولياً لكل من البلدين. وطلبت المنظمة من البلدين الشروع في إجراء مفاوضات من أجل تسوية سلمية للنزاع، وأن تتوسط الدول الأخرى عن طريق بعثاتها الدبلوماسية في كل من البلدين لحل المشكلة بالطرق السلمية، وقد خرج كل من الطرفين من تلك الحرب التي لم تستمر أكثر من شهرين، دون أن يحقق أي منها أهدافه سواء السياسية أو العسكرية^(١). والتزم الطرفان المتنازعان بوقف إطلاق النار، لعدة أسباب، منها:-

— أن الوضع العسكري للصومال لم يكن يسمح بمواصلة الحرب رغم الإمدادات السوفياتية لها بالأسلحة منذ عام ١٩٦٣م إثر الإتفاقية العسكرية التي وقعها الطرفان عام ١٩٦١م أي بعد عام واحد من استقلالها - حيث أن الفترة الزمنية لم تكن كافية لتدريب القوات الصومالية على تلك الأسلحة الحديثة، بالإضافة إلى ذلك أن ساحة القتال أبرزت مدى تفوق الجيش الأثيوبي من حيث التدريب والتسليح، بفضل المساعدات الهائلة التي تلقتها من الدول

(١) أ. صلاح الدين حافظ. صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي. (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢)، ص ١٢٥.

الغربية وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية.
— ومن الأسباب التي أدت إلى وقف الحرب بين البلدين الموقف الظاهري للقوتين العظميين، حيث كان موقفهما متشابهاً إلى حد ما. فقد وجهت أمريكا نداءً لطرفي النزاع تحثهم على إيقاف القتال ووضع حد للنزاع فيما بينهم، كما طلب الإتحاد السوفيتي من الطرفين إتخاذ الإجراءات اللازمة لإقرار وقف إطلاق النار فوراً، مؤكداً أن أي صراع إقليمي لا يستوجب اللجوء إلى التصادم المسلح، بل يستوجب حله بالطرق السلمية.

وكان لتغير الزعامة في الصومال عام ١٩٦٧م — حيث تقلد السيد عبد الرشيد شارماك رئاسة الدولة إثر في تخفيف حدة التوتر، بالإضافة إلى بعض الوساطات الإفريقية وخاصة تلك الوساطة التي بذل فيها الرئيس الزامبي مساعيه الحميده لإيجاد حل بين الصومال من جهة وكينيا وأثيوبيا من جهة أخرى، والتي أسفرت عن إتفاقية (أروشا) والتي أبرمت بين الصومال وكينيا، والتي نصت على ضرورة احترام كل من البلدين لسيادة الأخرى ووحدتها الإقليمية.

وعلى صعيد العلاقات الصومالية — الأثيوبية جرت أيضاً محادثات ووساطات مماثلة أدت إلى قيام علاقات اقتصادية وتجارية بين البلدين. وفي عام ١٩٦٨م^(١)، تكونت لجنة أثيوبية — صومالية مشتركة تجتمع كل ثلاثة أشهر للعمل على حل مشاكل الحدود بين الجانبين.

(١) د. جلال يحيى ومحمد نصر مهنا. مشكلة القرن الافريقي وقضية شعب الصومال. (دار المعارف، الاسكندرية، مصر، ١٩٨١)، ص ٥٧١.

أثر التغيير السياسي في الصومال وأثيوبيا على النزاع

المبحث الأول: الثورة الصومالية :
سادت بين الصومال وأثيوبيا وخاصة في عهد شارمارك الذي لم يدم طويلاً علاقات هادئة نوعاً ما، سادها وقف الاشتباكات المسلحة ووقف الاتهامات بين البلدين عبر وسائل الإعلام.

وفي عام ١٩٦٩م وقع انقلاب عسكري في الصومال بقيادة الرئيس الحالي الجنرال سياد بري والذي أطاح بالحكم المدني فيها، وقد أطلق على ذلك الانقلاب بالثورة الصومالية، ولاقت تلك الثورة التأييد من قبل معظم قطاعات الشعب الصومالي سواء في المناطق المستقلة أو التي مازالت تحت سيطرة دول أخرى.

وكان من أهم أهداف القيادة العسكرية الجديدة التي قامت على مبدأ — الإشتراكية العلمية، البدء في الكفاح لتحقيق الوحدة القومية لأقاليم الصومال الخمسة، وتعبئة الشعب الصومالي لتحرير أراضيه الواقعة تحت السيطرة الأجنبية. وهذا يعني إعادة بناء الجيش وتحديث تسليحه وتدريبه.

وقد اتجهت الحكومة الجديدة صوب الإتحاد السوفيتي طالبة العون لمواجهة الدعم الأوروبي والأمريكي لأثيوبيا^(١). وفي عام ١٩٧٢م قام وزير الدفاع السوفيتي

(١) أ. صلاح الدين حافظ. مرجع سابق، ص ١٢٨.

(أندريه جرينشكو) بزيارة للصومال بهدف توثيق العلاقات بين البلدين، والتزم الإتحاد السوفيتي في هذه الفترة بمساعدة الصومال لبناء جيش قوي لها، وفي المقابل حصلت على تسهيلات بحرية في ميناء بربرة الصومالي، والذي يقع على خليج عدن بالقرب من مضيق المندب، وكذلك تسهيلات جوية باستخدام المطارات الصومالية في أغراض الإستطلاع البحري.

ونتيجة لهذه الإلتزامات الصومالية وصل إلى الصومال حوالي ثلاثة آلاف وستمائة مستشار سوفيتي نصفهم من العسكريين^(١). وبذلك حقق الإتحاد السوفيتي أهدافه التي كان يسعى إليها بزيادة نفوذه في منطقة القرن الأفريقي، لما له من موقع استراتيجي هام، يكمن في إطلاله على مضيق باب المندب من جهة وعلى خليج عدن والمحيط الهندي من جهة أخرى، والذي يعتبر من أهم الممرات الدولية، ونقطة تحكم في شريان التجارة الدولية، وخاصة أنه الطريق التي تسلكه نسبة كبرى من ناقلات البترول.

وعلى صعيد آخر قامت الحكومة الصومالية بتوثيق علاقاتها مع الدول العربية، باعتبارها بلداً عربياً، ومن ثم وطدت علاقاتها بصفة خاصة مع الدول العربية الغنية بالبترول مثل السعودية والكويت وليبيا التي كانت تمدّها بالمساعدة واستطاعت من خلال تلك العلاقات أن تثبت أحقيتها في الانضمام إلى الجامعة العربية، وقد تم ذلك فعلاً في فبراير عام ١٩٧٤.

المبحث الثاني: الثورة الأثيوبية :

إن ثورة عام ١٩٦٩م الصومالية أقلقّت النظام الأثيوبي سياسياً وعسكرياً واجتماعياً، وخاصة أنها ثورة عسكرية تنادي وتهدف إلى تحقيق وحدة قومية كبرى تضم جميع الأراضي الصومالية بما فيها منطقة الصومال الغربي التي تسيطر عليها أثيوبيا. وفي نفس الوقت كانت أثيوبيا في وضع سياسي داخلي مضطرب ومتدهور، ضعفت خلاله قوة الامبراطور هيلاسلاسي وسيطرته على الحكم، حيث كان يمثل

(١) د. محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف. مرجع سابق، ص ٢٥٨.

السلطة المركزية الحاكمة - التي تلتقى حوله كل القوى - وكانت سيطرة الطبقة الأمهرية على الحكم والتي ينتمي اليها الامبراطور، والتي كانت تمتلك الثروة الأثيوبية والتميز الاجتماعي، سبباً مباشراً في إثارة حقد القوميات الأخرى وكراهيتها، وخاصة أن أثيوبيا دولة تضم قوميات وديانات وثقافات مختلفة ومتنافرة، أدى ذلك إلى تحرك تلك القوميات مطالباً بحقوقها هي الأخرى في الحكم والثروة الأثيوبية.

وقد تزامنت تلك التحركات والمطالبات مع التطور السياسي والعسكري لثوار أريتريا، ذلك الإقليم الذي ضمته الأمبراطورية إلى ممتلكاتها في عام ١٨٦٢.

وما حدث في أثيوبيا في الفترة من فبراير إلى سبتمبر عام ١٩٧٤^(١) يمثل اضطرابات تحالف فيها الطلبة والعمال والذين قاموا بمظاهرات متعددة مطالبين الحكومة بتغيير سياستها الداخلية.

ومن جهة أخرى كان هناك عامل هام في نجاح التغيير وهو ذلك التمرد الذي قام به الجيش نتيجة للأحوال الداخلية، في محاولة للإستيلاء على السلطة، بالإضافة إلى تغيير شامل وجذري في الحكومة من قبل العسكريين^(٢). وفي ١٢ سبتمبر عام ١٩٧٤م تم لهم ذلك واستطاعت المؤسسة العسكرية والتي تمتلك وسائل القوة أن تفرض إرادتها على المدنيين وتبعدها عن طريقها لتستأثر هي بالسلطة، والتي أعلنت قيام حكومة جديدة وانتهاء الحكم الإمبراطوري بسقوط هيلاسلاسي.

ولقد قام الحكم العسكري الجديد بسلسلة من التصفيات الدامية حتى استقر الأمر للكولونيل ما نجستو هايلي ماريام، بعد أن قضى على المعارضين له.

ولقد حاولت الحكومة العسكرية من بداية عهدها أن تتغلب على عوامل إثارة النعرات القومية في البلاد، بالسعي إلى تحقيق الوحدة القومية وفق الإطار

(١) د. نجوى امين الفوال. اثيوبيا تجربة العقد الأول بعد الثورة، مجلة السباسبية الدولية، العدد

(٧٦)، (مؤسسة الأهرام، القاهرة، ابريل ١٩٨٤م) ص ٢٧.

(٢) د. محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف. مرجع سابق. ص ٢٧٦.

الأيدولوجي الإشتراكي، بهدف القضاء على مسببات الخلافات العرقية والدينية والطبقية الموجودة.

المبحث الثالث: النظام العسكري الأثيوبي بين الشرق والغرب :

كان من أبرز النتائج التي ترتبت على الثورة الأثيوبية، إعادة ترتيب الإنتماءات الخارجية لنظام حكمها، وتأثير ذلك على نزاعها مع الصومال.

ففي عهد هيلاسلاسي كانت الولايات المتحدة الأمريكية، هي الحليف الأول للنظام الإمبراطوري والذي أقام علاقات قوية بينه وبين الغرب، وفي مقابل ذلك حصلت أمريكا على موافقة الإمبراطور لإنشاء قاعدة عسكرية لها في أثيوبيا، ولكن انهيار النظام الإمبراطوري وما أعقبه من تصاعد التيار الراديكالي في الحكم العسكري للبلاد، أدى إلى اتخاذ موقف الحذر من قبل الحكومة الأمريكية بشأن مساعداتها العسكرية لها، وأخذت حجم تلك المساعدات تقل، على عكس ما كان عليه في الحكم السابق. وبدأت أمريكا مترددة في إتخاذ قرار واضح تجاه مساعداتها العسكرية، وآثرت انتظار ما تسفر عنه الأحداث من تطور داخل أثيوبيا. وكان موقف الحكومة العسكرية الأثيوبية من أمريكا يشوبه نفس الغموض والتردد، حيث تعارضت اتجاهاتها السياسية.

وبانخفاض المساعدات الأمريكية لأثيوبيا إلى حد كبير، استطاع منجستو إقناع رفاقه بعدم إمكانية الإستمرار في الاعتماد على الولايات المتحدة كحليف عسكري لهم، وفي نفس الوقت استطاع الإتصال بالإتحاد السوفيتي الذي أبدى استعدادة فوراً بمدعمهم بالأسلحة، على شرط أن تنهي الحكومة الأثيوبية علاقاتها العسكرية مع أمريكا. وهكذا ملأ الإتحاد السوفيتي الفراغ العسكري الذي نشأ في أثيوبيا نتيجة لتردد السياسة الأمريكية تجاه أثيوبيا.

ولقد حاول الإتحاد السوفيتي، في بداية الأمر، أن لا تسبب علاقته الجديدة بأثيوبيا، خسارة لعلاقته مع الصومال المتنازعة ضد أثيوبيا. ولذا قام بمحاولة خلق وحدة أيدولوجية بين البلدين، ليضمن تحالفها معه، وكان هذا هو الهدف من زيارة

كاسترو للمنطقة في عام ١٩٧٧م حينما حاول عقد اتحاد فيدرالي بين الصومال وأثيوبيا واليمن الجنوبي، ولكن رفض الرئيس الصومالي هذا التحالف على زعم أنه يعني تخلي الصومال عن مطالبه لأراضيه الواقعة تحت سيطرة أثيوبيا، وبذلك الرفض فشلت الجهود السوفيتية لإقامة التحالف بين تلك الدول الثلاث.

المبحث الرابع: حرب الأوغادين :

أدت جميع التطورات التي استجذت على المسرح الدولي إلى قلب المعطيات التقليدية في الدور الذي تقوم به الدول الكبرى في منطقة القرن الأفريقي، وقد انعكس هذا التغيير على الصراع القائم في المنطقة على نحو أدى إلى اندلاع الحرب الثانية بين الصومال وأثيوبيا^(١).

ففي بداية عام ١٩٧٧م أعلنت فرنسا عن استعدادها لمنح الإستقلال لإقليم عفر وعيس (جيبوتي الحالية)، فأعربت حكومة أديس أبابا عن تخوفها من أن تغزو الصومال ذلك الإقليم بعد الانسحاب الفرنسي منه، وهذا يعني احتمال إغلاق منفذ هام على البحر لأثيوبيا، ممثلاً في ميناء جيبوتي. وردت حكومة مقديشو، بأنها ستحترم إرادة الشعب في الإقليم، كما سترحب بأي طلب للانضمام إليها. وتصاعد القتال في إقليم أريتريا^(٢)، إذ أصبح الثوار يسيطرون على أجزاء كبيرة من الإقليم، وأكد ذلك عجز حكومة أديس أبابا عن قمع الثورة الأريتيرية. وفي نفس الوقت اتسع نشاط رجال العصابات في الأوغادين، والمنتسبين لجهة تحرير غرب الصومال، مما دفع حكومة أديس أبابا إلى اتهام الصومال بتمويل الحركات الانفصالية في الإقليم. وفي وسط هذا التصاعد من التوتر وعدم الإستقرار داخل أثيوبيا، توافد الخبراء السوفييت والكوبيون على أديس أبابا بحجة تدريب القوات الأثيوبية. وفي يوليو ١٩٧٧م قرر الإتحاد السوفيتي وقف امداداته العسكرية للصومال وخاصة بعد طرد الأخيرة للخبراء السوفييت منها.

(١) بيركيت هاييتي سيلاسي. الصراع في القرن الأفريقي. (مؤسسة الابحاث العربية)، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠)، ص ١٣٣.

(٢) أ. صلاح الدين حافظ. مرجع سابق. ص ١٤٩.

ويلاحظ أن حرب الأوغاديين بين الصومال وأثيوبيا قد جرت في ظل عاملين استجداً في منطقة القرن الأفريقي، وهما:—

- ١— الإنحياز السوفيتي إلى أثيوبيا.
- ٢— تقارب الصومال مع الدول العربية، ومع الدول الغربية وخاصة أمريكا من جهة أخرى.

وهذان العاملان، جعلاً من ساحة القتال، لأول مرة في تاريخ المنطقة، مسرحاً للتنافس الدائم بين الدولتين العظميين.

وفي ظل تلك العوامل السابقة، تدهور الموقف في الأوغاديين وتحول إلى صدام مسلح بين الجيش الأثيوبي من جهة وجبهة تحرير الصومال الغربي التي تساندها القوات الصومالية من جهة ثانية. وشنّت جبهة تحرير الصومال الغربي في أغسطس ١٩٧٧م هجوماً واسعاً كاسحاً على عدد من المدن في المنطقة واستولت عليها، بعد أن كبدت القوات الأثيوبية خسائر كثيرة لدرجة أنها سيطرت على حوالي ٩٥% من مساحة الأوغاديين^(١). وأجبراً الجيش الأثيوبي على التراجع والانسحاب من تلك المنطقة، إلا أن تلك الانتصارات لم تدم طويلاً، حيث قام السوفييت والكوبيون بالتدخل العسكري المباشر في الحرب تنفيذاً للتعهدات التي أعطيت لأثيوبيا وخوفاً على المصالح السوفيتية في المنطقة. ونتيجة لهذه المساعدات العسكرية تمكنت أثيوبيا من حسم الصراع واستعادة جميع أراضي الأوغاديين. (انظر الخارطة رقم (٣)).

وقد ظهرت مفارقات في السلاح المستخدم في تلك الحرب، حتمتها التغيرات المفاجئة في السياسات الخارجية، سواء لأطراف النزاع أو سياسات الدول العظمى^(٢). فالسلاح الصومالي المستخدم في تلك الحرب كان سلاحاً سوفيتياً موجهاً ضد دولة يساندها الإتحاد السوفيتي نفسه وهي أثيوبيا، بينما السلاح الأثيوبي

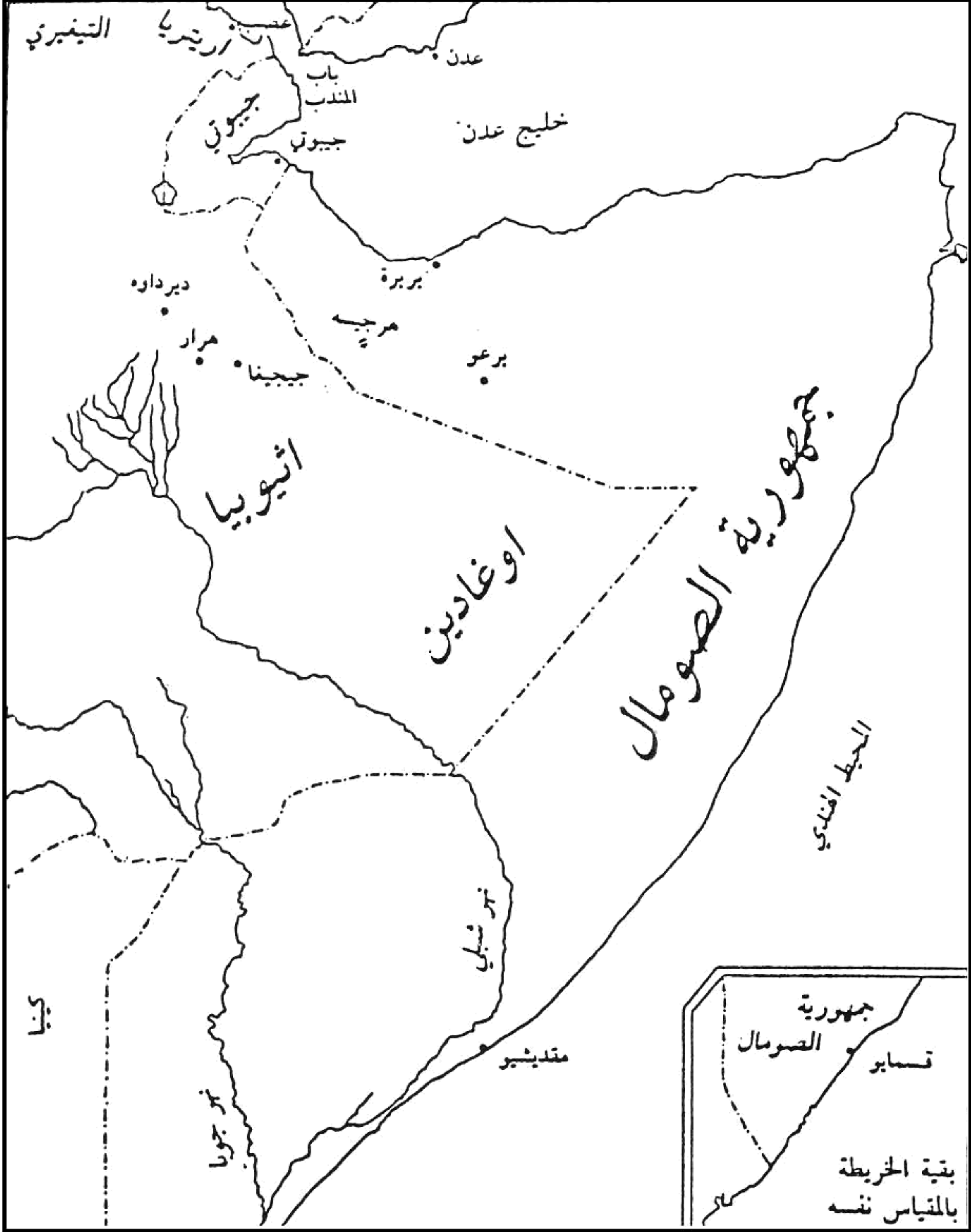
(١) د. محمود حسن خليل. مرجع سابق. ص ٨٢.

(٢) د. فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا. قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر. (منشأة المعارف، الأسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٣)، ص ٢٥١.

المستخدم كان معظمه سلاحاً أمريكياً موجهاً ضد دولة تساندها امريكا - وهي الصومال - وهذه المفارقة توضح مدى تصارع القوى العظمى على منطقة القرن الأفريقي التي تعتبر أحد المناطق الإستراتيجية الهامة.

الخارطة رقم (٣)

توضيح الأراضي التي تطالب بها الصومال *



* المصدر: بيركيت هابتي سيلاسي. الصراع في القرن الإفريقي. ترجمة: عفيف الرزاز. مؤسسة الإيمان العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.

المواقف الدولية من النزاع

المبحث الأول: موقف منظمة الوحدة الأفريقية من النزاع:

احتل موضوع الصراع الأثيوبي الصومالي الجانب الأكبر من مناقشات وأعمال منظمة الوحدة الأفريقية، سواء على مستوى مؤتمرات وزراء الخارجية أو على مستوى مؤتمرات القمة، وهذا الاهتمام يعكس تقدير الدول الأفريقية لخطورة الأحداث في القرن الأفريقي. فالصراع من بدايته يتلخص في مطالبة الصومال بالإقليم الغربي الذي تسيطر عليه أثيوبيا. وتعتبر تلك المطالب الصومالية مخالفة مباشرة، لما أقرته المنظمة في اجتماعها التأسيسي بأديس أبابا عام ١٩٦٣م ألا وهو وحدة الأرض الوطنية لكل دولة أفريقية واحترامها من الدول الأخرى^(١).

فنزاعات الحدود بين الدول الأفريقية والناجمة عن أسباب عديدة التي – لعبت الدول الاستعمارية الدور الأكبر فيها، أصبحت تهدد استقرار ووحدة الدول الأفريقية ومن ثم تهدد أيضاً استمرار بقاء المنظمة، كما أن وجود القوات الأجنبية التي تمت دعوتها للمشاركة في حلبة الصراع المسلح أثار مخاوف العديد من الدول الأفريقية والعربية المجاورة لمنطقة القرن الأفريقي حيث خشيت من تحول المنطقة إلى منطقة صراع أيديولوجي بين الشرق والغرب.

(١) د. محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف. مرجع سابق. ص ٣٠٤.

عندما أنشئت منظمة الوحدة الأفريقية في عام ١٩٦٣ وضعت عدة مبادئ رأت أنها تشكل الإطار العام الذي تتم من خلاله العلاقات بين الدول الأفريقية بما يحقق في النهاية سلاماً واستقراراً للقارة وتضامن شعوبها، ومن تلك المبادئ مبدأ المساواة المطلقة في السيادة بين جميع الدول الأفريقية، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. وهذا يعني التمسك بالحدود الموروثة من عهد الاستعمار والإبقاء عليها كما هي ويعتبر هذا ضد الرغبة الصومالية وتحجيماً لما تصبوا إليه^(١).

فنزاع الحدود بين الصومال وأثيوبيا يعتبر نزاعاً تاريخياً قديماً يرجع إلى عهود ما قبل إنشاء جمهورية الصومال في سنة ١٩٦٠م - كما بيّنا في الفصول السابقة من هذا البحث - وسعت كل من الصومال وأثيوبيا من خلال المنظمة إلى محاولة إقناع الدول الأخرى بحقوقها في نزاع الحدود، واعتضت الصومال على مبدأ احترام الحدود القائمة واعتبرته موقفاً يفتقر إلى الشجاعة في مواجهة المشكلات الأفريقية. وعندما انفجر الموقف عسكرياً بين الدولتين في يناير عام ١٩٦٤م^(٢)، سعت المنظمة من خلال مؤتمر وزراء خارجيتها بدار السلام في فبراير من نفس العام^(٣)، لتسوية الأزمة بينهما، بدعوتها إلى الإلتزام بمبادئ المنظمة في حل النزاعات، وذلك عن طريق التوسط والتوفيق والطرق السلمية الأخرى دفاعاً عن وحدة الدول الأفريقية وحماية لكيانها من أي تمزق. وفي يوليو عام ١٩٦٤م أصدر رؤساء الدول والحكومات الأفريقية بالقاهرة قراراً بشأن نزاعات الحدود على المستوى الأفريقي ككل، أعلن فيه ضرورة حل تلك المنازعات، أيّاً كانت ظروفها وملابساتها، بالطرق السلمية على أساس مبدأ احترام الحدود القائمة^(٤).

إن أحداث حرب الأوغادين قد وضعت المنطقة أمام تحديات جديدة استدعت اتخاذ مواقف أكثر حسماً، وخاصة أن أهم أهداف المنظمة يتلخص في تلافي مسببات الحرب بين أعضائها. ففي إجتماع المنظمة بالخرطوم عام ١٩٧٨م وخاصة بعد تدهور

(١) د. علي أسعد ابوبكر. مرجع سابق. ص ٢٠٨.

(٢) انظر ص (١٨) من هذا البحث.

(٣) جلال يحيى ومحمد نصر مهنا. مرجع سابق. ص ٥٧١.

(٤) بيركيت هايتي سيلاسي. مرجع سابق. ص ١١٦.

الموقف بين البلدين وإزدياد المشكلة بصورة حادة، لم تجد المنظمة أمامها إلا العودة إلى المباديء العامة لميثاقها، وناشدة كلاً من أثيوبيا والصومال بسرعة إنهاء الصراع في الاوغادين بالطرق السلمية استناداً إلى قرار مؤتمر القمة عام ١٩٦٤م -السابق الذكر - بشأن احترام الحدود الموروثة وان كلا الدولتين يجب أن يلتزما بقرار رؤساء الدول الأفريقية في ذلك المؤتمر الذي أكد على الاعتراف بالحدود بين الدول الأفريقية كما كانت عليه وقت استقلالها. وقد قامت المنظمة بعد ذلك بجهود مختلفة لتسوية النزاع وقرار السلام في الأوغادين، وباشرت هذه الجهود من خلال لجان خاصة تتوسط لايجاد حل للنزاع، وترك الباب مفتوحاً للجهود الثنائية لحل مشكلة الحدود اثر عدم تمكن المنظمة من التوصل إلى صيغ جذرية للتوسط بين البلدين لانهاء النزاع بينهما^(١)!

تسلسل تاريخي لجهود الوحدة الأفريقية لتسوية الخلاف الأثيوبي الصومالي^(٢)

مايو ١٩٦٣: عقد في أديس أبابا مؤتمر رؤساء الدول والحكومات الأفريقية وأوضح كل من الصومال وأثيوبيا موقفهما من الخلافات على الحدود. واقترح المؤتمر إجراء محادثات تسوية سلمية لهذا الخلاف.

يونيو ١٩٦٣: جرت محادثات رسمية في أديس أبابا بين ممثلي أثيوبيا والصومال.
يوليو ١٩٦٣: فشلت المحادثات بين بريطانيا والصومال بشأن الخلاف حول الحدود الشمالية.

٨ فبراير ١٩٦٤: سلمت كل من الصومال وأثيوبيا مذكرة إلى الأمين العام لمنظمة الوحدة الأفريقية فور الإشتباكات العسكرية بين الطرفين على الحدود.

١٢ - ١٥ فبراير ١٩٦٤: ناقش مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية في دار السلام النزاع الصومالي الأثيوبي ودعا الأطراف المعنية إلى الدخول في محادثات للوصول إلى حل سلمي.

(١) فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا. مرجع سابق. ص ٣٠٨.

(٢) محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف، مرجع سابق، ص ٣٠٧.

٢٤ - ٢٩ فبراير ١٩٦٤: نقش الخلاف الصومالي الأثيوبي في الدورة العادية الثانية لمجلس وزراء منظمة الوحدة في لاجوس.

٢٤ - ٣١ مارس ١٩٦٤: عقد في الخرطوم اجتماع صومالي أثيوبي وصدر بيان مشترك عن محادثاتها.

أول ابريل ١٩٦٤: استمر القتال على الحدود الأثيوبية الصومالية بالرغم من إعلان اتفاقها وقف القتال

١٢ ابريل ١٩٦٤: انتهت اللجنة الصومالية الأثيوبية المشتركة المكلفة بمراقبة تنفيذ اتفاقية الخرطوم الخاصة بإنشاء منطقة منزوعة السلاح على طول منطقة الحدود بين البلدين وتم توقيع اتفاقية مشتركة بذلك في مدينة «فرفر».

١١ يوليو ١٩٦٤: اجتمع في القاهرة وزير خارجية كل من أثيوبيا والصومال لبحث تسوية نزاع الحدود بين البلدين، وقد قرر الوزير إحالة المشكلة إلى مؤتمر رؤساء الدول الأفريقية المقرر عقده في القاهرة.

٢٤ فبراير ١٩٦٥: عقد في لاجوس مؤتمر وزراء منظمة الوحدة الأفريقية دعا المؤتمر الصومال وأثيوبيا إلى اتفاق وقف إطلاق النار وإلي الشروع في مباحثات تؤدي إلى السلام.

١٢ يونيو ١٩٦٥: بعثت الحكومة الصومالية بمذكرة إلى لجنة تصفية الاستعمار التابعة إلى الأمم المتحدة تطلب فيها بأن تتولى الأمم المتحدة إدارة الحكم في الصومال الفرنسي بدلاً من فرنسا لمدة عامين قبل الدعوة إلى إجراء استفتاء شعبي لتقرير المصير. وتضيف بأن الصومال الفرنسي يعد - جغرافياً وتاريخياً - جزء من الصومال. وأن مصالح أثيوبيا الاقتصادية في الصومال الفرنسي وبوجه خاص في جيبوتي من الممكن حمايتها عن طريق التفاوض مع أثيوبيا.

١١ يوليو ١٩٦٥: طالبت الصومال الأمم المتحدة بالعمل على وقف الدعاية العدائية المتبادلة.

١٦ سبتمبر ١٩٦٦: أعلن الامبراطور هيلاسلاسي في أديس أبابا مطالبة أثيوبيا بالصومال الفرنسي على اعتباره أنه جزء من أثيوبيا.

يوليو ١٩٦٧: أعلن عن فشل اللجنة الصومالية الاثيوبية المشتركة في الوصول إلى

اتفاق بشأن الحدود بين البلدين مما حدا بمنظمة الوحدة الأفريقية إلى التعرض لهذا الخلاف خلال مؤتمر القمة الرابع في كينشاسا حيث أعلن عن بوادر تحسن في العلاقات الصومالية الأثيوبية وأتفق الإمبراطور هيلاسلاسي ومحمد ابراهيم عجال رئيس وزراء الصومال على وضع أسس لستوية النزاع.

٥ - ٨ فبراير ١٩٦٨: قام وفد اثيوبي بزيارة الصومال وجرت محادثات بين الحكومتين وصدر بيان مشترك عن المحادثات.

٢ - ٥ سبتمبر ١٩٦٨: قام محمد ابراهيم عجال بزيارة إلى أثيوبيا وصدر بيان مشترك عن محادثاته مع المسؤولين في أديس أبابا جاء فيه أن الجانبين أتفقا معاً على منح الطيران الصومالي حق المرور في سماء أثيوبيا وتنمية التعاون الثقافي والفني بين البلدين وتسوية مشاكل الممتلكات العامة والخاصة على الحدود التي كانت معلقة منذ احترام نزاع الحدود بين البلدين عام ١٩٦٤ ووافقت حكومة أثيوبيا على رفع حالة الطوارئ في الأقاليم المجاورة للحدود مع الصومال.

أول ابريل ١٩٦٩: تم توقيع اتفاقية تجارية بين الصومال وأثيوبيا.

١٥ أكتوبر ١٩٦٩: اغتيل الدكتور علي شر ماركي رئيس جمهورية الصومال وأعقب ذلك بفترة حدوث إنقلاب عسكري.

١٩٧٧: الاجتماع الوزاري لمنظمة الوحدة الأفريقية في جابون يتوسط في النزاع الصومالي الأثيوبي بناء على دعوة أثيوبيا وذلك من خلال لجنة تكونت من ثماني دول لمناقشة النزاع وقد طالبت أثيوبيا عن طريق المنظمة بأن تسحب الصومال قواتها النظامية من الأوغادين.

١٩٧٧: فشلت منظمة الوحدة الأفريقية في التوفيق بين اثيوبيا والصومال إلا أنها تركت الباب مفتوحاً للجهود الثنائية الدبلوماسية وبالفعل قام جوليوس نيريري بزيارة أديس أبابا ومقابلة مانجستو ماريام أن نتائج زيارة نيريري كانت سلبية.

١٩٧٧: التحفظات على قوة الأمن الأفريقية التابعة للمنظمة لأنها مشكلة أصلاً من قوات فرنسية وبلجيكية - وفشل تشكيل قوة أفريقية خاصة.

١٩٧٨: الخلافات تسود مؤتمر القمة الأفريقي الذي عقد بالخرطوم بشأن التدخل الأجنبي في أفريقيا وصدور عدد من القرارات وفشل المنظمة في إصدار قرار بمنع

التدخل العسكري الأجنبي في أفريقيا.

المبحث الثاني: موقف القوتين العظميتين من النزاع الأثيوبي – الصومالي :

إن التدخل الأجنبي في القرن الأفريقي يعود إلى القرن التاسع عشر حيث بدأ بالاستعمار الأوربي المباشر لكثير من دول المنطقة وبعد استقلال معظم دول منطقة القرن الأفريقي في فترة الستينات والسبعينات من هذا القرن ظهر ثقل القوتين العظميين في القارة الأفريقية، حيث تنافستا على مناطق كثيرة فيها. فكل دولة منهما تسعى لزيادة نفوذها على أهم المناطق الإستراتيجية لتخدم مصالحها السياسية والعسكرية والاقتصادية، وعاد الإستعمار الأجنبي لدول المنطقة بصورة أخرى تختلف في شكلها وتتطابق في مضمونها، حيث أصبح التدخل سياسياً واقتصادياً وفكرياً من تلك القوتين على بعض الدول وخاصة تلك الدول غير المستقرة سياسياً التي كانت في حاجة إلى المساعدات المالية والعسكرية الأمر الذي أدى إلى انتقال الصراعات الدولية إلى تلك المناطق في صورة حرب باردة، بدلاً من مواجهات مباشرة بين تلك الدول الكبرى.

وفي مطلع عام ١٩٧٤م، بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع الدولي في قارة أفريقيا تميزت بسمات خاصة من حيث السلوك الأجنبي تجاه صراعات دول القارة ومن حيث مدى الاهتمام الدولي بها، انتهت إلى تغيرات أساسية وجذرية في توازنات القوة. وأصبحت منطقة القرن الأفريقي خاصة محوراً للصراعات الدولية العالمية، لما بها من نزاعات وحروب بين دول المنطقة، كما أصبحت ميادين للمواجهة والصراع. وأساس ذلك أن الصراعات الدولية في المنطقة تتركز في هذه المرحلة حول طرق المواصلات والموارد الاقتصادية، وبالتالي فإن من يمكنه السيطرة على هذه المناطق الغنية التي تتحكم أيضاً في طريق ملاحى دولي هام يمكنه أن يلعب دوراً أساسياً في التطورات السياسية في العالم.

المطلب الأول: موقف الاتحاد السوفيتي من النزاع :

من خلال المقدمة السابقة، وفي ظل ذلك الإطار العام لسياسات القوتين العظميين تجاه الدول الأخرى وخاصة ذات المواقع الإستراتيجية يمكن تحليل الدور

السوفييتي في الصراع الأثيوبي الصومالي على النحو التالي :-

فإذا حاولنا تحديد أهم الأسباب التي جعلت الاتحاد السوفييتي يقوم بدور أساسي في المنطقة نجدها ترجع إلى أهمية موقع القرن الأفريقي على مدخل البحر الأحمر من جهة الجنوب، حيث أخذ يعزز مواقعه في المنطقة بهدف تحقيق عدة أهداف رئيسية، منها^(١):

- ١ - القيام بدور هام بالقرب من الخليج العربي.
- ٢ - المشاركة في سوق الموارد الأولية الأفريقية.
- ٣ - عزل أوروبا من مصادر الطاقة والمواد الأولية الصناعية الإستراتيجية.
- ٤ - السيطرة على أقصر طريق بين البحر الأسود والمحيط الهندي.
- ٥ - حماية خطوط الملاحة السوفييتية، وتهديد الملاحة الغربية.
- ٦ - الحد من النفوذ الأمريكي والتقليل من فعالية الأسطول الأمريكي خلال الأزمات الطارئة في المنطقة.

لتحقيق تلك الأهداف الإستراتيجية ركز الإتحاد السوفييتي جهوده للسيطرة على أثيوبيا والصومال. ومنذ استقلال الأخيرة ركز على توطيد علاقته بها، وتمثل ذلك في عقد اتفاقية عسكرية معها في مطلع عام ١٩٧٠م لتدريب وتجهيز قواتها المسلحة. وهكذا أصبحت هذه القوات من أقوى القوات المسلحة في منطقة القرن الأفريقي وخاصة بعد تدعيمها بسلاح طيران حديث، وذلك في مقابل تقديم التسهيلات البحرية في ميناء بربرة الصومالي الواقع على خليج عدن على مدخل البحر الأحمر. ولكن إثر الإنقلاب العسكري في أثيوبيا عام ١٩٧٤م بدأ السوفييت في تحسين علاقاتهم مع حكامها الجدد مما أدى إلى توتر في العلاقات السوفييتية - الصومالية.

ثم إن إستيلاء الكولونيل منجستو على السلطة منفرداً في أديس أبابا مع مطلع عام ١٩٧٧م يعد انتصاراً للجناح السوفييتي داخل المجلس العسكري الحاكم. وهذا

(١) يوسف روكز. افريقيا السوداء سياسة وحضارة. (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦)، ص ١١١.

أخذت المساعدات العسكرية السوفيتية تتدفق بصورة كبيرة إلى أثيوبيا سواء بتزويدها بالأسلح أو الخبراء بالإضافة إلى الجنود الكوبيين، تلك المساعدات التي مكنتها في نهاية الأمر مع مطلع عام ١٩٧٨ من حسم الصراع في إقليم الأوغادين لصالحها تماماً^(١). وفي ضوء هذا وجد الاتحاد السوفيتي نفسه في مأزق أمام علاقته الجديدة بأثيوبيا وصدافته القديمة مع الصومال، ولا سيما أن المنشآت السوفيتية في الصومال كانت من أهم المنشآت العسكرية في معظم أفريقيا من حيث قيمتها الاستراتيجية. وتجدر الإشارة هنا إلا أن تلك المنشآت الضخمة التي بناها السوفييت في الصومال كانت منشآت حديثة لم يمض عليها أكثر من أعوام قليلة، لذلك يمكن القول أن الاتحاد السوفيتي كان يدرك أن مساعداته الكثيفة لأثيوبيا وخاصة بعد فشل مساعيه لقيام اتحاد فدرالي يجمع بين الصومال وأثيوبيا بالإضافة إلى عدن، سوف يكون لها مردود سلبي لعلاقته مع الصومال وأن بقائه فيها سوف يكون مهدداً. ورغم ذلك فقد استمر في دعمه لأثيوبيا. ويمكن القول أنهم رغبوا في التخلي عن الصومال في مقابل الحصول على حليف أكبر وأكثر نفوذاً ألا وهي أثيوبيا. والواضح من ذلك أنهم قرروا أن مصالحهم، وعلى المدى البعيد، سوف تتدعم في المنطقة مع نمو أفضل بوجودهم في أثيوبيا بدلاً من الصومال. ومن الواضح أيضاً أن الاتحاد السوفيتي قد سارع إلى استباق خطر ين أساسيين بهذه التحولات السريعة في سياسته الخارجية. أولهما استباق خطر التقارب الصيني - الأثيوبي، حيث كانت هناك دلائل كثيرة تشير إلى ذلك. وثانيهما هو سد الفراغ الأمريكي في أثيوبيا بعد ما أخذت العلاقات الأمريكية - الأثيوبية في التوتر خاصة بعد تخفيض المساعدات الأمريكية لها عقب الإطاحة بنظام الإمبراطور هيلاسلاسي. وفي اعتقادنا، إن الاتحاد السوفيتي لا يشعر بالأمان في أثيوبيا رغم ما يقدمه من مساعدات له وخاصة بعد أن مر بتجارب مماثلة في كل من الصومال ومصر سابقاً، بالإضافة إلى عدم الاستقرار السياسي الذي تعيشه أثيوبيا بسبب زيادة النشاط الثوري الأريترى الذي يطالب بالانفصال.

(١) فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا. مرجع سابق، ص ٢٩١.

المطلب الثاني: وقف الولايات المتحدة الأمريكية من النزاع :

تميز دور الولايات المتحدة الأمريكية في النزاع الأثيوبي - الصومالي في بداية الأمر بالتحفظ وعدم التدخل المباشر في الصراع القائم بين الدولتين رغم علاقتها القوية بأثيوبيا في عهد هيلاسلاسي والتي تدعمت أكثر بعد الثورة الصومالية عام ١٩٦٩م وإعلانها مبدأ الاشتراكية العلمية نهجاً أيديولوجياً تتبعه في سياستها. ولم يكن الخلاف الصومالي - الأثيوبي يشكل خطورة كبيرة على أثيوبيا من وجهة النظر الأمريكية. فمن العسير ان تهدد دولة تعدادها ثلاثة ملايين نسمة تقريباً دولة كأثيوبيا يبلغ تعدادها أكثر من ثلاثين مليون نسمة مهما بلغت الاستعدادات الصومالية العسكرية^(١).

ولكن بعد الثورة الأثيوبية في عام ١٩٧٤ تغيرت السياسة الأمريكية تجاه الحكومة الجديدة لعدم وضوح موقف تلك الحكومة التي كان الاتجاه الماركسي يغلب عليها. وهذا بدأت المساعدات الأمريكية تقل عما كانت عليه سابقاً واقتصرت على المساعدات الاقتصادية فقط. ونظراً للتخفيضات المستمرة لهذه المساعدات، ولعوامل ازدياد توطيد العلاقات الأثيوبية - السوفيتية سارع الرئيس منجستو هايلي ماريم بإلغاء اتفاقية الدفاع المشترك التي سبق أن وقعها بلاده مع الولايات المتحدة الأمريكية أبان عهد الإمبراطور هيلاسلاسي، وأبرم اتفاقيات جديدة للتعاون مع الاتحاد السوفيتي. وعليه تدهورت العلاقات الأثيوبية - الأمريكية بشكل كبير وخاصة بعد طرد الخبراء العسكريين الأمريكيين من أثيوبيا.

وفي حرب الأوغادين وقفت الولايات المتحدة الأمريكية موقفاً محايداً تماماً من ذلك النزاع^(٢)، على عكس ما كان متوقعاً منها، حيث أن التغييرات التي حدثت في النظام الأثيوبي كانت ترجح انحيازها للصومال. وفي اعتقادنا أن هذا الحياد والتحفظ الأمريكي مرجعة الشك في إمكانية استمرار النظام الأثيوبي الجديد وتوقع

(١) فتحة البراوي ومحمد نصر مهنا. المرجع السابق، ص ٣٠٠.

(٢) بركيت هايتي سيلاسي. المرجع السابق، ص ١٤٧.

تقلص النفوذ السوفيتي في المنطقة، ولكن لم تكن التوقعات الأمريكية صائبة حيث أثبتت الأحداث عكس ذلك نتيجة للدعم السوفيتي غير المحدود لأثيوبيا وخاصة بعد الهزائم التي منيت بها الأخيرة في مواجهة حرب الأوغادين ومواجهة الثورة الأريتيرية في آن واحد.

ورغم حياد أمريكا وتحفظها في النزاع إلا أنها دعت الاتحاد السوفيتي وأثيوبيا إلى عدم اختراق حدود الصومال الدولية. وعقب انتهاء حرب الأوغادين، أبرمت الولايات المتحدة معاهدة مع الصومال في عام ١٩٨٠م تسمح لها باستخدام المطارات الصومالية في مقابل مساعدات اقتصادية وعسكرية أمريكية. ويرجع هذا التحول في السياسة الأمريكية كما يراه بعض المراقبين إلى التدخل السوفيتي في أفغانستان إذ أن وجود الجيش الأحمر على مقربة من البحار الدافئة ومن منابع بترول الخليج أقع الحكومة الأمريكية في عهد الرئيس كارتر بأن سياسة التساهل مع الاتحاد السوفيتي في المنطقة يجب أن يوضع لها حد على الأقل بهدف تلافي فقدان ثقة حلفاء الغرب فيها.

ويلاحظ أن الولايات المتحدة لا ترغب فقد نفوذها وموقعها في القرن الأفريقي، حفاظاً على حماية الطريق إلى قواعدها البحرية والجوية المتواجدة في شمال غرب المحيط الهندي، حيث أنها تحتاج إلى مجموعة من التسهيلات ونقاط الإرتكاز، على طول شواطئ شرق أفريقيا، وشبه الجزيرة العربية.

وعلى هذا الأساس نجحت الولايات المتحدة بعد مفاوضات حثيثة^(١) في الحصول على تسهيلات في بلدان ثلاثة هي كينيا، والصومال، وسلطنة عمان، بالإضافة إلى مصر. وبموجبها أمكنها الاستفادة من مزايا هذه التسهيلات من حيث التموين والصيانة الأولية في ميناء مقديشو، بالإضافة إلى ميناء بربرا، الواقع على الشاطئ الشمالي للصومال في جنوب مضيق باب المندب والذي يتمتع بمركز استثنائي على مدخل البحر الأحمر على بعد مائة وتسعين كيلومتراً من الحدود الأثيوبية، علماً بأنه كان

(١) محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف، المرجع السابق، ص ٢٩٨.

حتى عام ١٩٧٧م أهم قاعدة سوفيتية في المنطقة.

إن تصاعد النفوذ السوفيتي في القرن الأفريقي، وخاصة بعد تدخله في أفغانستان، زاد التحرك الأمريكي المضاد له، مخافة من أن تصبح المنطقة بين فكي الكماشة السوفيتية، وبالتالي يمكن القول أن أهم أهداف الإدارة الأمريكية هي الرد على التحول السوفيتي أينما وجد.

- ويمكن تلخيص الاستراتيجية الأمريكية في منطقة القرن الأفريقي فيما يلي: (١)
- ١ - الإمساك بنقاط السيطرة في منطقة القرن الأفريقي وحماية الخطوط البحرية وتأمين وصول النفط إلى أمريكا وأوروبا عبر البحر الأحمر بسرعة.
 - ٢ - الحصول على الثروات الطبيعية والاستراتيجية من بعض البلدان الأفريقية وحمايتها من أي عمل عسكري سوفيتي.
 - ٣ - تقوية العلاقات التجارية، والاقتصادية مع دول المنطقة وخاصة الصومال، التي قدمت لها مبالغ مالية ضخمة.
 - ٤ - التجاوب مع المصالح الدفاعية الصومالية، وتقديم المساعدات العسكرية الدفاعية فقط، لأن الولايات المتحدة الأمريكية لم يغب عن ذهنها إمكانية استعادة مكانتها في أثيوبيا عقب أية تغييرات في المستقبل.

(١) يوسف روكز. المرجع السابق، ص ١٠٩.

الوضع الراهن للنزاع

إن النزاع الأثيوبي - الصومالي، نزاع تاريخي قديم، مر بمراحل مختلفة، تفاوتت فيه حدته من وقت إلى آخر، حيث نشب بين طرفي النزاع حروب متعددة حالت دون قيام أي تعاون مثمر بينهما كما اتضح من خلال ما سبق طرحه وقد كانت أحداث ١٩٧٧م والتي عرفت بحرب الأوغادين، هي آخر المواجهات المسلحة المباشرة بينهما والتي إنتهت بانسحاب الصومال، إثر التدخل السوفيتي المباشر لمساندة أثيوبيا عسكرياً^(١)، بعد أن كانت مسيطرة على زمام الحرب في بدايتها.

تختلف النظرة إلى حل النزاع لدى الحكومة الصومالية عنها لدى الحكومة الأثيوبية، حيث ترى الأولى أن يتم الحل على أساس مبدأ حق تقرير المصير، بينما ترى الثانية بأن يتم الحل عن طريق المحافظة على مبدأ وحدة الدول. ويتضح تمسك الصومال في مطالبها بمنطقة الأوغادين وهود برفضها تطبيق القرار الصادر من منظمة الوحدة الأفريقية لعام ١٩٦٤م والذي يستوجب على أطراف النزاع احترام سيادة كل دولة والإلتزام بالحدود الموجودة إبان تحقيقهم للاستقلال الوطني. وفي نفس الوقت فإن الحكومة الصومالية تؤمن بالحل السلمي ولا ترغب في إستمرار العداء بينها وبين جارتها أثيوبيا إلا انها ترى أن يكون الحل مبنياً على أساس حق تقرير المصير، وإذا حدث وأبدى شعب المنطقة المتنازع عليها رغبة في البقاء تحت حكم إدارة أثيوبيا

(١) راجع ص (١٩) من هذا البحث.

فإنها لن تطالب بضم ذلك الإقليم إليها وسوف تتعهد باحترام السيادة الإقليمية لأثيوبيا.

بعد الحرب الأخيرة بين الصومال وأثيوبيا وما كان يتوقعه أكثر المراقبين السياسيين من أن النزاع الصومالي الأثيوبي أصبح أمراً يصعب إيجاد حل له بالطرق السلمية بسبب تمسك أثيوبيا ما غنمته من الأراضي الصومالية وأيضاً بسبب المطالبة الصومالية بعودة أراضيها لتحقيق بما أسمته الصومال الكبير، فقد فاجأت كل من مقديشو واديس أبابا في شهر أبريل ١٩٨٨^(١) الساحة الدولية بإعلانها عودة العلاقات الدبلوماسية بينهما وإنهاء حالة الحرب التي دامت أكثر من عشر سنوات بعد حرب الاوغادين. ويرجع هذا التحول الإيجابي المفاجيء في العلاقات بين البلدين في اعتقادنا إلى عدد من الأسباب، منها:—

- ١ — لقاءات الجانبين المباشرة التي كانت تتم عن طريق لجان مكونة من طرفي النزاع، والتي كانت تسعى إلى تقريب وجهات النظر، ووضع حلول مؤقتة في حينها لجميع المشاكل التي كانت تنشأ بين الدولتين.
 - ٢ — المساعي الحميدة التي بذلها عدد من الدول الأفريقية، وخاصة السودان.
 - ٣ — إقتناع الحكومة الصومالية بأن الخيار العسكري سوف لن يؤدي إلى استعادة أراضيها المحتلة من قبل أثيوبيا.
 - ٤ — إن الأوضاع الداخلية غير المستقرة في الصومال وخاصة في الجزء الشمالي منها، بسبب زيادة نشاط الحركة الوطنية الصومالية — المعارضة — في مدينة هرجيسيا، حتمت على القيادة الصومالية القيام بتلك الخطوة بغرض الحد من نشاط الحركة المعارضة وخاصة أنها كانت تدعم من قبل أثيوبيا التي فيما بعد تعهدت بوقف تأييدها لها عند توقيع اتفاقية ابريل (١٩٨٨).
- وفي تصريح للسفير الصومالي في لندن مؤخراً نشرته مجلة المجلة^(٢) قال فيه أن السلطات الصومالية رغم تيقنها من أن جماعات الحركة المعارضة تلقت دعماً

(١) جريدة الشرق الأوسط، الخميس ٢٨/٥/١٩٨٨. العدد ٣٤١٨.

(٢) مجلة المجلة. لندن. العدد ٤٣٩ الاربعاء ٦ يوليو ١٩٨٨.

دعائياً ومادياً وعسكرياً من الخارج، وان ذلك الدعم وصل اليهم عبر الأراضي الأثيوبية، إلا أنها لا تبدو راغبة في هذه المرحلة توجيه الاتهامات إلى أحد، ولا سيما أثيوبيا، مما يؤدي إلى تقويض اتفاقية السلام بينهما.

أما وجهة نظر الحركة المعارضة والتي عبّر عنها أحد أعضائها المؤسسين بأن اتفاقية السلام التي وقعت بين الصومال وأثيوبيا في ابريل ١٩٨٨، لم تغير علاقة الحركة مع أثيوبيا، وأن تلك الاتفاقية ليست ناتجة عن (ود جديد) بين الرئيسين الصومالي والأثيوبي، فقد أراد الأثيوبيون التوصل إلى تفاهم مع الصوماليين يمكنهم من نقل قواتهم المرابطة على الحدود الصومالية لنجدة قواتهم في اقليم أريتريا، وان الاتفاقية وقعت بمباركة كل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي.

وأخيراً يمكن القول ان كلاً من أثيوبيا والصومال قد رأتا أن النزاع بينهما قد طال عليه الزمن، وان الحاجة اصبحت ملحة لإيجاد حل سلمي عن طريق المفاوضة، حرصاً على عدم الاضرار بمصالح الدولتين من جهة، وسكان منطقة النزاع من جهة أخرى، لاسيما وأنه ليس من مصلحة الطرفين اتخاذ موقف متصلب.

الخاتمة

من خلال ماسبق أن تعرضنا له في الفصول السابقة من هذه الدراسة اتضح أن أسباب النزاع الاثيوبي - الصومالي تعود إلى تعقيد الخريطين الجغرافية والسياسية للقرن الأفريقي، إذ بعد ان كانت أثيوبيا تقتصر على الهضبة الحبشية الداخلية ذات المميزات الحضارية والثقافية الواحدة تمكنت من توسيع سيطرتها على الأقاليم المجاورة بدعم أجنبي لتكون دولة ذات منافذ بحرية، وبذلك ضمت خليطاً من الشعوب والقوميات والديانات واللغات المختلفة ذات المطامع والأهداف المتناقضة التي ادت إلى الصدامات فيما بينها وبين القوميات المجاورة لها، مما أدى إلى تقسيم القومية الصومالية إلى أجزاء عديدة رغم أن لشعبها أصولاً عرقية متجانسة في اللغة والدين والعادات والتقاليد تيسر وحدتها.

أما النزاع الاثيوبي - الصومالي فيمكن في الخلاف على أيلولة منطقة الاوغادين وهود حيث نشب ذلك النزاع في الستينات واكتسب بعداً دولياً في السبعينات. ومازالت اثيوبيا تتمسك بها وتسيطر عليها في حين أخفقت الصومال في استردادها حتى الآن رغم لجوئها إلى منظمة الوحدة الأفريقية التي أصدرت عدداً من القرارات بشأنها منذ إنشائها في سنة ١٩٦٣.

أما قرارات المنظمة التي اتخذت في مؤتمر القاهرة عام ١٩٦٤ فقد جاءت مخيبة لآمال الصوماليين، لأنها استوجبت حل النزاعات الحدودية بين الدول الأفريقية بالتفاوض والطرق السلمية الأخرى. وبما أن الصومال قد أخفقت في الوصول إلى إتفاق يرضيها اختارت المواجهة العسكرية في عام ١٩٦٤ كطريق يحقق لها مطلبها ولكنها لم تكن أحسن حالاً، ثم أردفتها بمواجهة عسكرية أخرى شاملة وأقوى في سنة ١٩٧٧، كادت أن تنتصر فيها لولا انحياز الإتحاد السوفيتي إلى الجانب الأثيوبي.

من خلال استعراضنا للبحث اتضح ان النزاع رغم أنه اقليمي بحكم أنه بين طرفين محليين الا أنه اتسم بتدخل خارجي احاله إلى صراع دولي تغير بتغير ادوار

وتوجهات طرفي النزاع، إذ بعد أن كانت أثيوبيا هيلاسلاسي ذات توجه غربي تحولت إلى الشرق في عهد مانجستو هايلي ماريام، وبالعكس لها تماماً الصومال التي تحولت من الشرق إلى الغرب. ومن النتائج التي نستخلصها من هذه الدراسة هو ذلك التنافس والتسابق بين القوتين العظميين على منطقة القرن الافريقي. ومن خلال استعراضنا للفصل الأخير يتضح أن هناك انفراجاً في العلاقات الأثيوبية - الصومالية عقب اتفاقها وإعلانها في شهر ابريل ١٩٨٨م عن عودة العلاقات بينها بعد انقطاعها منذ عام ١٩٧٧م، ومن ثم إنهاء حالة الحرب بينهما.

ورغم كل الأسباب التي فندت لتفسير ذلك التغير المفاجيء في سياسة كل من البلدين تجاه الآخر الا أن التساؤل مازال قائماً حول مدى إستمرارية هذا الوفاق والاتفاق وحول مصير النزاع، وخاصة أن أساس النزاع لم يجد حلاً ولم يبد سكان الأوغادين رأيهم فيه.

المراجع

اولاً : الكتب :

- (١) بيركيت هابتي سيلاسي. الصراع في القرن الافريقي، ترجمة عفيف الرزاز. مؤسسة الايمان العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.
- (٢) د. جلال يحيى. التنافس الدولي في بلاد الصومال. دار المعرفة، القاهرة، مصر، الطبعة الاولى، مايو ١٩٥٩.
- (٣) د. جلال يحيى ومحمد نصر مهنا. مشكلة القرن الافريقي. دار المعارف، الاسكندرية، مصر، ١٩٨١.
- (٤) د. حمدي الطاهري. قصة الصومال. القاهرة، مصر، ١٩٧٧.
- (٥) د. راشد البراوي. الصومال الجديد فلسفة وأمل. مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الاولى، ١٩٧٣.
- (٦) د. زاهر رياض. الإسلام في اثيوبيا. دار المعرفة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٤.
- (٧) د. زاهر رياض. تاريخ أثيوبيا. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٦٦.
- (٨) د. زاهر رياض وعبد الحليم السيد منسي. أثيوبيا. مركز كتب الشرق الاوسط، القاهرة، مصر، ١٩٦٣.
- (٩) سيد أحمد خليفة. جيوتي وما حولها. مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت.
- (١٠) صلاح الدين حافظ. صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢.
- (١١) عبد الرحمن النجار. الإسلام في الصومال. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، مصر، اغسطس، ١٩٧٣.
- (١٢) د. فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا. قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية. منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.
- (١٣) د. فؤاد عبد السلام الفارسي. قضايا سياسية معاصرة. تهامة للنشر والتوزيع، جدة،

الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

- (١٤) لوجي بستالوزا. الثورة الصومالية. ترجمة ابراهيم العريس. دار ابن خلدون للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، أيار ١٩٧٥.
- (١٥) د. محمد الحسيني مصلحي. منظمة الوحدة الأفريقية، من الناحيتين النظرية والتطبيقية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٦م.
- (١٦) د. محمد عبد الغني سعودي. الجغرافيا والمشكلات الدولية. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.
- (١٧) محمد عبد المنعم يونس. الصومال وطناً وشعباً. دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الاولى، ١٩٦٢.
- (١٨) محمدنصر مهنا وخلدون ناجي معروف. تسوية المنازعات الدولية. مكتبة غريب، القاهرة، مصر.
- (١٩) ممتاز العارف. الأحباش بين مأرب وأكسوم. المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.
- (٢٠) يوسف روكز. افريقيا السوداء ... سياسة وحضارة. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٨٦.

ثانياً: الدوريات :

- (١) مجلة الدراسات الدبلوماسية. معهد الدراسات الدبلوماسية. العدد الأول. رجب ١٤٠٤هـ.
- (٢) مجلة السياسة الدولية. القاهرة. العدد ٧٦. ابريل ١٩٨٤م.
- (٣) مجلة العربي. الكويت العدد ١٩٤. يناير ١٩٧٥م.
- (٤) مجلة العربي. الكويت. العدد ٢٠٣. اكتوبر ١٩٧٥م.
- (٥) مجلة العربي. الكويت. العدد ٢٣٠. يناير ١٩٧٨م.
- (٦) مجلة كلية الآداب. جامعة الرياض العدد ٧٠٧. ١٩٨٠.
- (٧) مجلة المجلة. لندن. العدد ٤٣٩. الاربعاء ٦ يوليو ١٩٨٨م.

ثالثاً : الصحف:

- (١) جريدة الشرق الأوسط. الخميس ٧/٤/١٩٨٨. العدد ٣٤١٨.
- (٢) جريدة الشرق الأوسط. السبت ٢٨/٥/١٩٨٨. العدد ٣٤٦٩.

النظام السياسي الأمريكي

و

جماعات الضغط

النظام السياسي الأمريكي و جماعات الضغط

إشراف
الدكتور/ باسل الخطيب

إعداد
تركيب بن خالد ال حشر

عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

المقدمة

في السنوات الأخيرة كثر استخدام وتداول مصطلح (جماعات الضغط) والمترجم والمعروف باللغة الإنجليزية باسم (Pressure Groups). ورغم عدم الدقة في معنى المصطلح، فهو اصطلاح شائع الإستعمال في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص وفي الأنظمة السياسية بشكل عام. وبصرف النظر عن مضمونه فهو يعيد إلى الأذهان مسألة الجهود المتنافسة والمتضاربة، والتي تسعى لجعل قرارات السلطات العامة اينما كانت مطابقة لمصالح أو لأفكار فئة اجتماعية معينة^(١).

وحيث أن السياسة بصفة خاصة والباحثين بصفة عامة قد بدأوا يتذمرون من تدخل هذه الجماعات في القرارات السياسية وسعيها لوضع وتنفيذ القرارات السياسية طبقاً لما تراه، فلقد بدأت في الظهور آراء ودراسات تتناول هذا الموضوع وتناقش هذه الظاهرة (الأمريكية) من منطلق كيفية تأثيرها على السياسات الداخلية والخارجية للولايات المتحدة، ومن غير إعطاء الأسباب والعوامل التي أسهمت في بروز هذه الجماعات الإهتمام الكافي. من هنا كان الهدف الأساسي من هذا البحث إجراء دراسة في طبيعة قيام ومهام المؤسسات الفدرالية الأمريكية الرئيسية بشكل عام ومن ثم التركيز على الثغرات التي أصبحت ركيزة لانطلاق ونجاح جماعات الضغط في التأثير على قرارات هذه المؤسسات بهدف

(١) جان فينو، الجماعات الضاغطة، ترجمة بهيج شعبان (بيروت، دار منشورات عويدات، ١٩٧١م) ص ٥.

تحقيق أهدافها وانجاح مهمتها.

ونتيجة لتعدد الدراسات العربية الحالية المتعلقة بدور اللوبي الصهيوني في التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية دون التطرق للجماعات الأخرى، فإن هذا البحث سوف يتناول عموماً بعض أبرز أنواع الجماعات الأخرى مع إعطاء بعض الأمثلة التوضيحية عن إمكاناتها وأهدافها وتنظيمها واستغلالها للفرص المتاحة التي تحقق لها غالباً ما تصبو إليه.

لقد قسم هذا البحث إلى ستة فصول، يهدف الفصل الأول إلى إعطاء نبذة عن السمات السياسية للمجتمع الأمريكي، ويهدف الفصل الثاني إلى إبراز أسس وخصائص النظام الدستوري الأمريكي، ويهدف الفصل الثالث إلى إجراء دراسة موجزة للمؤسسات الفدرالية الأمريكية الرئيسية (السلطة التنفيذية - السلطة التشريعية - السلطة القضائية)، مع التركيز عليها من حيث الصلاحيات والمهام وعلاقات كل منها بالأخرى. أما الفصل الرابع فيهدف إلى التفريق بين بعض المفاهيم الشائعة في جماعات الضغط ومن ثم التطرق إلى أنواع هذه الجماعات مدعمة بالأمثلة. ويهدف الفصل الخامس إلى التحدث عن الوسائل المستخدمة من قبل جماعات الضغط، أما الفصل السادس فيشتمل على تقييم عام لمستقبل جماعات الضغط، إضافة إلى الخاتمة.

السمات السياسية للمجتمع الأمريكي

منذ القرن الثامن عشر والشعب الأمريكي يتصف بالتعددية والتنوع الكبير في مقوماته إضافة إلى التباين الواضح في مصالحه المختلفة. من هنا كان الأمريكيون ميالين إلى تكوين جمعيات أو منظمات لكل شيء يتصوره العقل أو يتصل بالنشاطات المختلفة في المجتمع. لذلك أصبح من الطبيعي أن يتسم المجتمع الأمريكي بتعدد الاهتمامات أو تضائل المصالح وتنوعها.

لقد تناول الكثيرون من علماء الاجتماع والفلسفة السياسية هذه السمات بعمق ومنذ زمن بعيد. وفي هذا الصدد قال الفيلسوف الفرنسي اليكسس دي توكوفيل (Alexis de Tocqueville) بعدما طاف الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة (١٨٣١ - ١٨٣٥)، (....) إنه لا يوجد بلد من بلدان العالم يملك أساس التنظيم الناجح أكثر من أمريكا...) ففي الولايات المتحدة الأمريكية انشئت الجمعيات بقوة القانون تحت أسماء المناطق والمدن والمقاطعات حيث اديرت بواسطة الوكالات الخاصة^(١).

ولعل هذا الاهتمام الأمريكي بتنظيم النشاطات الجماعية بقصد تحقيق المكاسب السياسية يعتبر أحد المظاهر التي تميز هذا الشعب عن غيره من الشعوب الأخرى. تعتبر الدراسة التي أجراها كل من آلموندو فيريا عام ١٩٦٢ والمسماة بـ (الأمم الخمسة Five - Nations) بمثابة التأكيد لما وصل إليه التنظيم في المجتمع الأمريكي، حيث نتج عن هذه الدراسة ما مفاده أن عضوية الجمعيات الاختيارية في

الولايات المتحدة تفوق مثيلاتها في كل من إيطاليا، ألمانيا، بريطانيا، والمكسيك. لقد تبين أن ٥٧٪ من الذين أجريت عليهم الدراسة في أمريكا يشتركون في عضوية إحدى الجمعيات الاختيارية بالمقارنة مع ٤٧٪ في بريطانيا، ٤٤٪ في ألمانيا، ٢٩٪ في إيطاليا، و٢٥٪ في المكسيك (٢).

لقد تبين كذلك أن الفرد الأمريكي العادي من أجل أن يكون له صوت مسموع ومؤثر في السياسات الحكومية لا بد له أن يكون عضواً في أحد الأجهزة الحكومية، أو أن يقدم ما يملك من قوة مادية ومعنوية لإحدى الجماعات الخاصة إذا أراد التأثير على القرارات الحكومية بالطريقة التي يرغبها.

إن هذه المنظمات أو بالأحرى (جماعات الضغط) ليست مقصورة على النظام السياسي الأمريكي فحسب، بل هي موجودة في أغلب بلدان العالم ذات النظم المماثلة حيث تلعب دوراً مؤثراً في حياتها السياسية. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا يتعلق في المقام الأول بماهية السمات التي تميز هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى؟

يمكن القول أنه بعد الأطلاع على مكونات المجتمع الأمريكي ونظامه السياسي يتضح أن السمات التي تميز هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى تتمثل في أمرين رئيسيين:

١ - التعددية:

فمن واقع الهجرات الكبيرة للولايات المتحدة الأمريكية وما تحويه هذه الهجرات من تعدد عرقي وديني ولغوي تؤدي بالضرورة إلى التباين في المصالح والأهداف وتتفاعل معاً في إطار كيان اجتماعي وإقتصادي مميز ومعقد، فلقد أسهمت كل هذه العوامل في جعل الولايات المتحدة بلداً يسمح بتطور وتنافس الجماعات منظمة كانت أم غير منظمة. ومن ناحية أخرى، ونتيجة للتحويل من مجتمع زراعي بسيط إلى مجتمع متقدم صناعياً وتقنياً منذ الثورة الصناعية، وما رافق ذلك من تقسيم للعمل وتخصص اقتصادي، أصبح هناك بالضرورة وتدرجياً إزدیاد في تدخل الحكومة في هذه

المجالات مما أدى تلقائياً إلى إزدياد الجماعات المتضررة والتي أخذت تنظم نفسها وتعمل على الدفاع عن مصالحها بشتى الوسائل.

٢ - التراث السياسي:

ساعد التراث السياسي الأمريكي على نمو جماعات الضغط لكونها عامل من العوامل التي تعكس كافة الحريات في الأنظمة الديمقراطية الغربية ومنها حرية التعبير. إن الضمانات الدستورية لحرية التعبير والنشر، وبالخصوص حرية التنظيم تعتبر من الأشياء الأساسية لقيام مثل هذه التنظيمات، لذلك فإن البلد الذي يمنع مثل هذه الحقوق هو في الواقع يوحد جماعات الضغط. إن قبول الشعب الأمريكي لجماعات الضغط بنى على الإعتقاد بأن للجماعات الخاصة الحق في أن تُسمع ما دامت تعمل في حدود القانون والنظام الدستوري^(٣). ومما لاشك فيه أن هاتين السمتين قد ترسختا في القرن العشرين نتيجة لعدة عوامل أخرى أهمها:—

(أ) تطور المواصلات والاتصالات التي عمت كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية والتي سهلت عملية نشر الأفكار ونقل المعلومات على كافة مستويات المجتمع وفئاته.

(ب) رغبة المواطنين الطبيعية في تحقيق مبدأ المساواة في كافة المجالات والتي أدت إلى ازدياد نشاط جماعات الضغط.

(ج) تسابق الأحزاب السياسية الرئيسية للوصول إلى المناصب والمراكز الرفيعة في الدولة. فمن أجل ذلك فأنها تحتاج إلى المال الكثير الذي تسارع جماعات الضغط بتقديمه لها بهدف كسب ود أعضاء الأحزاب من ذوي الحظ الأوفر في الفوز بالانتخابات.

وبالرغم من الإيجاز، ومن خلال ما تقدم يتضح أن ظهور جماعات الضغط في النظام السياسي الأمريكي لم يأت من فراغ، بل كانت نتيجة لعوامل اجتماعية وثقافية وقانونية. لذلك أصبحت جماعات الضغط تعمل جنباً إلى جنب مع الأحزاب السياسية كأدوات وقنوات لإيصال رغبات المواطنين إلى الحكومه. وسعيًا وراء الايضاح ينبغي في مطلق الأحوال التفريق بين مفهوم الحزبية ومفهوم جماعات الضغط نظراً لأن عدم القيام بذلك قد يؤدي إلى الخلط بين الأسس والسمات الخاصة بكل

منها وبشكل قد يشوش الإنطباعات المتعلقة بهما.

تعتبر جماعات الضغط والأحزاب السياسية مؤسسات أو منظمات غير رسمية بسبب عدم ورود أى نص محدد بشأنها في الدستور الأمريكي. ومع ذلك، وحتى في حال وجود أهداف سياسية أو غير سياسية خاصة بكل منها فإن من الواضح أن الأهداف الخاصة بالأحزاب تختلف في طبيعتها عن أهداف المنظمات أو جماعات المصالح عموماً مما يؤدي بالتالي إلى اختلاف دور أي منها في النظام السياسي. من هنا يمكن القول أنه بالإشارة إلى مهام الأحزاب السياسية المعتادة في الدول التي تسمح بذلك فإن جماعات الضغط تهدف من تنظيمها إلى التأثير على الرأي العام بشكل مباشر أو غير مباشر وبالتالي التأثير على القرارات الحكومية ذات الأبعاد السياسية أو الاقتصادية الداخلية أو الخارجية، سواء تعلق الأمر بوضع تشريع أو القيام بعمل أو الامتناع عن ذلك طالما أنها تخدم مصالحها ومصالح أعضائها. لذا فهي تقوم مثلاً بدعم المرشحين في الإنتخابات من منطلق أن هذا العمل يعتبر نوعاً من التكتيك المؤدي في النهاية إلى تحقيق أهدافها النهائية. أما فيما يختص بالأحزاب السياسية فهي (تهتم عادة بكافة قضايا وأمور المجتمع وتحاول الوصول للسلطة من أجل تطبيق البرامج العامة الخاصة بها. ولذلك فهي تسعى إلى تقديم مرشحين من أعضائها للانتخابات العامة بقصد الفوز بالمناصب العليا في الدولة اعتماداً على الإتصال المباشر بالناخب دون النظر أساساً إلى وجود وسائل تهيء لها دعم الناخب المادي والمعنوي أثناء الحملة الإنتخابية)^(٤).

قائمة الهوامش

- (١) Harmon, Zeigler, G. Wayne peak. **Interest Groups in American Society.** Englewood Cliffs, New Jersey Prentice- Hall, 1972, p 4.
- (٢) Ronald, J. Hrebenar, Ruth K. Scott. **Interest Group politics in America.** Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice- Hall, 1982. p 6.
- (٣) Alan R. Grant. **The American political process.** London: Hienman, 1972, p 150.
- (٤) د. عثمان الرواف وآخرون، مبادئ علم السياسة، عمان: دار الكرم لل نشر والتوزيع، ١٩٨٤م

ص ٢٤٧.

أسس وخصائص النظام الدستوري الأمريكي

يعتبر النظام السياسي للولايات المتحدة الأمريكية المثال النموذجي للنظام الرئاسي الذي سارت على غراره معظم دول أمريكا اللاتينية. وعند النظر إلى نصوص هذا النظام يلاحظ الأسس والخصائص التالية: -

أولاً : الأسس (المبادئ):

يقوم النظام الدستوري الأمريكي على عدة أسس أو مبادئ أهمها:

أ - اعتماد النظام الفدرالي:

النظام الفدرالي هو ذلك النظام الحكومي اللامركزي الذي تتوزع فيه السلطات على أساس وطني (حكومة وطنية) وأساس أقليمي (حكومة محلية). ويكون لكل دولة فدرالية دستور عام ودساتير محلية، حيث لا يتعارض الحكم المحلي مع الدستور العام للدولة. أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فهي تملك دستور وطني يعتبر القانون الأعلى أو النظام الأساسي للدولة الفيدرالية إضافة إلى دساتير محلية تعمل دائماً في نطاقها المحلي بحيث لا تتعارض مع الدستور الوطني للدولة. أما من حيث تكوين الحكومة فهي متشابهة في كلا المستويين، إذ تشتمل كلتاها على سلطات تنفيذية، وتشريعية، وقضائية تعمل دائماً في المجال الذي حدده لها الدستور الوطني.

ب - الفصل التام بين السلطات :

لقد نص الدستور الأمريكي على الفصل التام بين السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية مع مراعاة التوازن أو التساوي بينهما (أى أن تعمل كل سلطة من السلطات الثلاث في مجال عملها وفق ما حدده الدستور دون التدخل في الشؤون التي تكون من اختصاص السلطات الأخرى). ولكن بالطبع هناك تداخل في بعض مجالات العمل، خاصة بالنسبة للسلطة التنفيذية والسلطة التشريعية وهذا في حد ذاته يعتبر ميزة من مزايا الحكومة المقيدة (المحددة)، حيث تراقب كل سلطة السلطتين الأخرين من أجل الحفاظ على مبدأ التوازن فيما بينها والإبتعاد عن سيطرة أي منها على الأخرى (١)

إن الفصل بين السلطات والتوازن بينها من أهم مبادئ الدستور الأمريكي والذي يعتبر أحد ثمار التراث السياسي الأمريكي، ولذلك فإن الشعب الأمريكي يولى جل اهتمامه لهذا المبدأ، حيث هو الضمان الوحيد لعدم قيام حكومة مركزية متشددة.

ج - السيادة الشعبية:

تعتبر السيادة الشعبية من المبادئ الرئيسية للنظام الدستوري الأمريكي، حيث أنه بموجب هذا المبدأ تكون للشعب السلطة القصوى إذا ما قرر ممارستها. فالشعب هو الذي يختار السلطة ويخولها من خلال «الدستور» للحكومة وان كان لا يتحكم مباشرة في أعمال الحكومة. إن النظرية الأساسية التي تتخلل الفكر السياسي الأمريكي والتي عليها يقوم الدستور كما تقوم الحكومة، هي أن الحكومة لا تحكم الا برضى وموافقة الشعب، فإن سحب الشعب تأييده من الحكومة لم تستطع بعدها أن تحكم بصورة شرعية. ومن الأمثلة التي تبرز دور الشعب وأهميته في إستقرار نظام الحكم هو ما أدت اليه فضيحة وترجيت (Water Gate)، التي بدأت بالظهور عام ١٩٧٢م، عندما قام الرئيس الأمريكي نكسون بالتجسس على اجتماع أعضاء الحزب الديمقراطي بقصد كشف خططهم ومن ثم استغلالها في إعادة انتخابه لفترة ثانية. ولكن بعد أن اكتشفت هذه العملية والتي اعتبرت خيانة للأمة، بدأت جماعات الضغط المعارضة لسياسة نكسون بتحريك الرأي العام الأمريكي مستخدمة كافة الوسائل

الإعلامية طلباً لمحاكمته مما أدى في النهاية إلى تقديم استقالته ابتعاداً عما سوف تترتب عليه هذه المحاكمة.

د - ضمان الحقوق المدنية والحريات الأساسية:

إن صك الحقوق المدنية والذي تمثل في عشرة بنود أضيفت للدستور الأمريكي بعد تعديله تعتبر من الخصائص المميزة لهذا النظام السياسي. ويعتبر الكثيرون أن دولة بحجم الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتطبيق الديمقراطية لن يكون النجاح حليفها دون أن يكون هناك بنود معينة في الدستور تكون بمثابة الضمان الوحيد للمواطنين من السلطة القومية التي ربما قد تحد من حرياتهم الشخصية. ولذلك اقترح أول كونجرس أمريكي قانون الحريات (وثيقة الحقوق) لكي يضاف للدستور حيث سرعان ما صدقت عليه ولايات الاتحاد. ولقد تمثلت هذه الحقوق في (حرية الرأى، وحرية الخطاب، وحرية الدين، والمساواة أمام القانون، وحق الإجتماع والتنظيم في هدوء، بل وحق تقديم العرائض للحكومة على سبيل تقويم وإصلاح الاجحاف، ومن أجل ذلك تتضافر كل هذه الحقوق لضمان وتمكين المواطنين من الإشتراك في الجهاز السياسي، محدداً اشتراكهم في عملية الإنتخابات، وهذا يعني كذلك تعاون المواطنين فيما بينهم في الخطط المؤدية إلى تحقيق مصالحهم الإقتصادية والاجتماعية)^(٢).

هـ - المراجعة القضائية:

وبالرغم من أن المراجعة القضائية لم يرد لها ذكر في أى موضع من الدستور الأمريكي، إلا أنها تعتبر من أهم مبادئ النظام الدستوري الأمريكي. والمراجعة القضائية هي سلطة المحاكم لإعلان أن القرارات أو التصرفات المنافية للدستور باطلة، سواء كان ذلك على مستوى المؤسسات الحكومية أو على مستوى الأشخاص في دعاويهم. إن قرار كبير القضاة (جون مارشال) في قضية (مربوري ضد ماديسون) في سنة ١٨٠٣م، اعتبر أول قضية أكدت المحكمة العليا خلالها سلطتها في عدم دستورية قرار الكونجرس. حيث أكد مارشال في دفاعه بأن الدستور هو السلطة العليا للبلاد وما القضاة إلا حماة لهذا الدستور من أي قانون يتعارض معه. ونتيجة لهذا القرار الجريء، أصبحت المراجعة القضائية مبدأ أساسياً من مبادئ الدستور الأمريكي^(٣).

ثانيا : الخصائص :

يقوم النظام السياسي الأمريكي على عدد من الخصائص والتي تميزه عن الأنظمة الرئاسية المماثلة. ومن أهم هذه الخصائص مايلي:

أ - وجود سلطة تنفيذية قوية :

وتتمثل هذه السلطة في رئيس الجمهورية وذلك وفق ما قرره الدستور الأمريكي. حيث تعتبر هذه الخاصية ميزة في النظام السياسي الأمريكي بخلاف الأنظمة الديمقراطية الغربية الأخرى. فالرئيس الأمريكي يجمع بين رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة وذلك يعني أنه هو الذي يضع السياسة العامة للدولة ويقوم بالادارة الفعلية لتنفيذ هذه السياسة في نفس الوقت. كذلك تتضح قوة الرئيس الأمريكي في طريقة انتخابه، حيث ينتخب بواسطة الشعب وليس بواسطة البرلمان كما يحدث في بعض الأنظمة السياسية الأخرى، إضافة إلى أن الرئيس الأمريكي ينتخب لمدة أربع سنوات مع امكانية انتخابه لمدة أربع سنوات أخرى، وهذا بدوره يؤدي إلى الاستقرار في نظام الحكم. كما أن حق النقض (**Veto**) الذي يملكه الرئيس الأمريكي يعتبر أحد عوامل قوته حيث يستطيع بواسطته الاعتراض على أي مشروع قانون وإعادةه إلى الكونجرس لإعادة النظر فيه، بحيث لا يصدر القانون إلا إذا وافق عليه أغلبية ثلثي كلا المجلسين (الشيوخ - والنواب) (٤)

ب - إسهام السلطين التشريعية والقضائية في القرار السياسي:

يتميز النظام السياسي الأمريكي بوجود سلطة تشريعية وسلطة قضائية تسهم جميعها في عملية صنع القرار السياسي. ولكون السلطة التشريعية تختص في سن القوانين، والسلطة القضائية تختص في نظر دستورية هذه القوانين (أي مدى مطابقتها للدستور الوطني) الا أن الوقائع أثبتت أن هناك تجاوزات في هذه الإختصاصات من كلا السلطين، حيث تقوم أحيانا السلطة التشريعية بتقديم مشاريع قوانين تحقيقاً لرغبة بعض أعضائها النافذين، في نفس الوقت الذي تحاول فيه كسب تأييد السلطة التنفيذية من أجل مرور هذه القوانين أمام المحكمة العليا. أما بالنسبة للسلطة القضائية فهناك اعتبارات أخرى لها الدور الرئيسي في تغيير مواقف أعضاء الهيئة القضائية تجاه

بعض مشاريع القوانين التي لا يوجد لها نصوص تحكمها دستورياً. أن من أهم هذه الإعتبارات وأقرها واقعية هو الإنتماء الذي يوليه أعضاء الهيئة للسلطة التنفيذية التي لرئيسها الدور الأساسي في تعيين أعضاء جدد في هذه الهيئة. أن مايوليه الرؤساء الأمريكيون من اهتمام بالغ في عملية تعيين بعض أعضاء الهيئة القضائية ما هو إلا وسيلة للحفاظ على استمرارية ولاء أعضاء هذه السلطة لهم وتأييد مواقفهم في مطلق الأحوال. أن التأكيد على أهمية هذا الولاء يظهر مما قام به الرئيس الأمريكي (المحافظ) رونالد ريجان عام ١٩٨٧م من (ترشيح للقاضي المحافظ بورك ليكون عضواً في المحكمة العليا وهي خطوة كان يهدف الرئيس منها التأثير على الساحة الاجتماعية والقضائية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال السنوات المقبلة، خاصة بما عرف عن بورك من كونه أشهر أعداء الإجهاض)^(٥).

إن هذا التجاوز من كلا السلطتين يعتبر أمراً بالغ الخطورة خاصة وأن عمل كل منهما عمل سامٍ يفوق كل المصالح سواء كانت مصالح مادية أو معنوية. وحيث أن هذه الشجرة مازالت قائمة في هذا النظام فإن استغلالها لا يقتصر على المؤسسات الحكومية الأخرى بل يتخطاها إلى المنظمات والجماعات التي دائماً تمارس ضغوطها على هذه السلطات بهدف تحقيق مصالحها.

ج - ضعف النظام الحزبي من حيث التنظيم والولاء:

إن أحد أهم نتائج وجود نظام الفصل بين السلطات والسياسات المحلية حقيقة أن التماسك الحزبي بين أعضاء الكونجرس والمشرعين في الولاية يعتبر ضعيفاً ومرناً مقارنة بنظام البرلمانات المركزية، حيث أن المشرعين في الولايات المتحدة يستطيعون اتخاذ موقف مستقل تجاه بعض الموضوعات السياسية لمعرفةهم بأن أصواتهم لن تؤثر في جوهر أو احتمالات تنفيذها مستقبلاً^(٦).

إن حرية تصرف المشرعين ولا مبالاتهم بما تمليه عليهم الأحزاب السياسية التي ينتمون إليها جعلها فرصة جيدة يمكن استغلالها من قبل جماعات الضغط التي أصبحت تتلاعب بأصوات هؤلاء المشرعين كيفما تقتضيه مصالحها.

د - ثبات المفاهيم السياسية الداخلية وتغير المفاهيم الخاصة بالعلاقات الخارجية:

نظراً لأن النظام الدستوري الأمريكي نظام قانوني، فلقد أسهم هذا الوضع في ثبات القيم والمفاهيم السياسية الأساسية التي قامت عليها الولايات المتحدة الأمريكية كدولة، وبمضي الوقت أصبحت راسخة نتيجة لوجود نصوص دستورية توجه متخذي القرارات في هذا الخصوص. وانطلاقاً من هذه الظاهرة أصبح هناك صعوبة في اتخاذ أي إجراء من شأنه إحداث تغيير في السياسة الداخلية للدولة فيما يتعلق بتلك القيم والمفاهيم طالما أنها ارتبطت بالنصوص الدستورية الأساسية. ولكون الفرد الأمريكي معروف بتمسكه الشديد بكل نصوص الدستور وعدم موافقته على ما يخالف هذا الدستور، فلقد أدى هذا الأمر كذلك للإسهام في ثبات واستمرار نجاح هذه القيم والمفاهيم والتمسك بها على الصعيد الداخلي. أما بالنسبة للمفاهيم الخاصة بالعلاقات الخارجية وبالرغم من ظاهرها الإنساني والمثالي فهي تخضع لاعتبارات أخرى أهمها إعتبارات السياسة والمصلحة القومية العليا للدولة. ولكون الولايات المتحدة الأمريكية بلد متشعب المصالح الدولية وفي ضوء عدم اهتمام الفرد الأمريكي بسياسة دولته الخارجية بقدر اهتمامه بسياستها الداخلية، فإنه يمكن ملاحظة أن التغير الذي يصيب المواقف والمفاهيم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة أمر قائم وواقعي حتى ولو كان ذلك يتنافى مع مثالية هذه المفاهيم على الصعيد الداخلي.

إن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالكيان الصهيوني في فلسطين أو علاقاتها مع تشيلي المحكومة من نظام ديكتاتوري لا يهتم بحقوق المواطن أو مع النظام العنصري في جنوب أفريقيا قد كشفت النقاب عن حقيقة أن المثالية في القيم والمفاهيم التي تنادي بها الولايات المتحدة الأمريكية إنما هي مثالية نسبية قائمة على ازدواج المقاييس في نظرة هذه الدولة لذاتها وللعالم الخارجي. إن مفهوم الدفاع عن حقوق الإنسان ونشر النظام الديمقراطي في سائر بلدان العالم كما تدعوه الولايات المتحدة الأمريكية لم يلعب دوراً هاماً في تحقيق أهداف سياستها الخارجية كما أنها لم تسهم في دعم الجهود الدولية التي تدين وتندد بالأنظمة العنصرية باستمرار. وانطلاقاً مما تقدم يتضح بأن القيم والمفاهيم السياسية الخاصة بعلاقات أمريكا

الخارجية متغيرة تبعاً لمصالحها القومية العليا وقد تكون على نقيض ما هو متعارف عليه أو مطبق على الصعيد الداخلي.

وبالرغم من الايجاز في ذكر أسس وخصائص النظام السياسي الأمريكي إلا أنها قد تعطي صورة واضحة عن ما يتمتع به هذا النظام من مزايا قد لا يتمتع بها أي نظام ديمقراطي مماثل، إضافة إلى ما تسهم به هذه المزايا من مشاركة فعلية للمواطن الأمريكي في الجهاز السياسي.

الهوامش

- (١) د. حسن سيد احمد اسماعيل، النظام السياسي للولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا القاهرة: دار النهضة العربية، (١٩٧٧) ص ٩.
- (٢) د. هوارد بينيمان، الجهاز السياسي الأمريكي، ترجمة د. وايت ابراهيم. (القاهرة: مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٢) ص ٦٣.
- (٣) Jack C. Plano, Milton Green Berg. **The American political Dictionary**. 2nd Edition. New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc, 1967, p. 230.
- (٤) د. حسن سيد أحمد اسماعيل، المصدر السابق، ص ٩ - ١٠.
- (٥) جريدة القبس الكويتية، السبت ٣/٧/١٩٨٧ م.
- (٦) Alan R. Grant. op cit. pp 150 - 152.

المؤسسات الفدرالية الرئيسية

أ - السلطة التنفيذية :

السلطة التنفيذية في النظام السياسي للولايات المتحدة الأمريكية مخولة بحكم نص المادة الثانية من الدستور الأمريكي لرئيس هو في نفس الوقت رئيس الدولة ورئيس السلطة التنفيذية « كما هو موضح في الفصل الثاني ».

أما من حيث انتخاب الرئيس ونائبه (فيتم عن طريق قيام مواطني كل ولاية من الولايات بانتخاب عدد من المرشحين لرئاسة الجمهورية ومن ثم إجراء الإقتراع السري لاختيار اثنين على أن يكون أحدهما من خارج الولاية. بعد ذلك تدون أسماء المقترع عليهم وعدد الأصوات التي نالها كل منهم في قائمة خاصة وموقعة منهم وترسل مختومة باسم رئيس مجلس الشيوخ الذي بدوره يفتح هذه المظاريف أمام أعضاء مجلسي النواب والشيوخ. وبعد أن يحصى عدد الأصوات يفوز بالرئاسة من حاز على الأغلبية المطلقة من الأصوات. وفي حالة عدم توفر هذه الأغلبية يقوم مجلس النواب بانتخاب الرئيس من بين المرشحين الثلاثة الذين حصلوا على أكثر الأصوات. أما بالنسبة لنائب الرئيس فينتخبه مجلس الشيوخ من بين المرشحين الذين حصلوا على أغلبية الأصوات) (1).

يشترط في الرئيس أن يكون من مواليد الولايات المتحدة الأمريكية متمتعاً بجنسيتها - وأن يكون قد أقام فيها أربعة عشر عاماً على الأقل. وأن لا يقل سنه عن خمسة وثلاثين سنة، ورغم أنه لم يرد في الدستور ما يوجب باشتراط أن يكون رئيس

الولايات المتحدة رجلاً إلا أن الراجح أن ذلك هو ما كان يعنيه واضعوا الدستور^(٢).

الأجهزة الرئيسية التابعة للرئيس :

مكتب الرئيس :

يتكون من عديد من كبار الموظفين الذين يعملون مباشرة مع الرئيس كمدير مكتبه وسكرتارته الخاصة، وذلك فضلاً عن مجلس المستشارين الإقتصاديين ومجلس الأمن القومي ومجلس التعبئة العامة، وكل هؤلاء يضمهم المكتب التنفيذي للرئيس^(٣).

مجلس الوزراء:

وهو يطلق تجاوزاً للمكان الذي يجتمع فيه الرئيس الأمريكي مع كافة أو بعض سكرتيرى الدولة بالإضافة الى نائب الرئيس. ولذلك فهو لايعني المجلس المعروف في الأنظمة البرلمانية، خاصة وأن دستور الولايات المتحدة لم ينص على إنشاء مجلس بهذا المسمى، بل أطلق هذا الأسم من قبل رجال الصحافة كإشارة للإجتماع الذي كان يعقده الرئيس جورج واشنطن مع رؤساء أكبر أربع ادارات أثناء رئاسته وهم (النائب العام، وسكرتير الدولة للشئون الخارجية، وسكرتير الدولة لشئون الحرب، وسكرتير الدولة للشئون المالية). أما في الأونة الأخيرة فقد أصبح هذا المجلس أكبر حجماً خاصة بعد إنضمام عدد كبير من الإدارات له. هذا ويعتبر الهدف الأساسي من إجتماعات اعضاء هذا المجلس هو لاستنارة الرئيس بأرائهم والاستعانة بهم في الإختصاصات المناطة في كل منهم وبما يتعلق بمجال عمله^(٤).

إختصاصات الرئيس:

يعتبر الكثير من الباحثين الأمريكيين أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من أقوى وأكثر الرؤساء المنتخبين سلطاناً في أي دولة ديمقراطية. ولذلك فإن من اهم إختصاصات الرئيس الأمريكي مايلي:-

- ١ - وضع السياسة العامة للبلاد ووضع الخطط السنوية اللازمة في كافة المجالات ومن ثم الإشراف على تنفيذها لكونه رئيساً للسلطة التنفيذية.
- ٢ - عقد الإتفاقات والمعاهدات الدولية بالمشاركة مع الكونجرس.

- ٣ - ترشيح كبار الموظفين الفدراليين والسفراء والقناصل وتعيين القضاة في المحكمة العليا بعد موافقة الكونجرس على هذه الترشيحات.
- ٤ - يعتبر الرئيس الأمريكي القائد الأعلى للقوات المسلحة ولذلك فهو يتولى الإشراف على العمليات الحربية، إلا أن الكونجرس استطاع في الآونة الأخيرة وخاصة بعد فضيحة وترجيت أن يضع بعض القيود للحد من استخدام الرئيس لهذه العمليات الخطرة.
- ٥ - وضع مشاريع القوانين الفدرالية وغيرها وعرضها على الكونجرس لكي تصبح سارية المفعول.
- ٦ - مهمة إصدار بعض اللوائح التنفيذية اللازمة لوضع القوانين موضع التنفيذ.
- ٧ - حق العفو عن العقوبة شأنه بذلك شأن رؤساء الدول.

ب - الكونجرس

نصت المادة الأولى من الدستور الأمريكي على تحديد السلطة التشريعية ووضعها في (كونجرس)، يطلق عليه أحياناً برلمان الولايات المتحدة الأمريكية. ويتكون الكونجرس الأمريكي من ٥٣٥ عضواً موزعين على مجلسين هما:

١- مجلس النواب:

يضم هذا المجلس ٤٣٥ عضواً منتخباً لمدة سنتين من قبل مواطني الولايات المختلفة بنسبة عدد سكان كل ولاية، بحيث لا يزيد عدد النواب عن نائب واحد لكل ثلاثين ألف نسمة. ويشترط الدستور في كل مرشح لمجلس النواب بلوغ الخامسة والعشرين من عمره، إضافة إلى مضي سبع سنوات على حصوله على الجنسية الأمريكية وعلى أن يكون كذلك مقيماً في الدائرة التي أنتخب فيها^(٥).

٢- مجلس الشيوخ:

ينتخب مجلس الشيوخ لمدة ست سنوات، ويتجدد ثلثهم كل سنتين، ولكل ولاية من الولايات الخمسين أن تنتخب شيخين بصرف النظر عن نسبة عدد سكانها. ولكي يتمكن الشخص من ترشيح نفسه لمجلس الشيوخ يجب أن يكون قد أكمل سن

الثلاثين وحصل على الجنسية الأمريكية منذ تسع سنوات^(٦).

هناك كثير من الناس ممن يعتقد بأن المجلسين متساويان في السلطة وكثير ما يلح أعضاء مجلس النواب على أن مجلسهم يتساوى في الكرامة والمكانة مع مجلس الشيوخ ولكن من حيث الواقع يتضح بأن لعضو مجلس الشيوخ مزايا كثيرة غير متاحة لأعضاء مجلس النواب. وحيث أن أعضاء مجلس الشيوخ يبلغ عددهم المائة، لذا فإن من الطبيعي أن يتمتع عضو مجلس الشيوخ الجديد بشيء من الظهور القومي حيث تسعى إليه الدعوات للمآدب والحفلات والمناسبات من أعلى المستويات الوطنية والأجنبية في واشنطن وخارجها.

أما عضو مجلس النواب الجديد فمن الغالب أن يكون مغموراً في العاصمة وإلى أن يفلح في إبراز دوره في المجلس يظل ضائعاً وسط مجموع أعضاء مجلسه البالغ ٤٣٥ نائباً. وبالإضافة فإن عضو مجلس الشيوخ يتمتع بإستقلال كبير لأن مدة ولايته ست سنوات أما عضو مجلس النواب فلا بد له من قضاء وقت طويل في محاولات إعادة إنتخابه كل عامين. وبصرف النظر عن مزاعم العديد من النواب، فكثيراً ما ينسحب هؤلاء من هذا المجلس ليرشحوا أنفسهم لعضوية مجلس الشيوخ إذا ما لاحت لهم فرصة طيبة للفوز. وبالمقارنة لا يخطر ببال عضو مجلس الشيوخ أن يستقيل ليرشح نفسه لمجلس النواب^(٧).

لهذا يؤيد الكثير من علماء السياسة والمصلحين السياسيين وبشدة إقامة المجلس التشريعي الواحد، أما المؤيدون لثنائية المجلس فهم يعزون ذلك إلى ضرورة إيجاد كوابح وتوازنات بناء على نهج الفصل بين السلطات (التشريعية – التنفيذية – القضائية) والذي ينجم عنه بالتالي إطلاع كل من المجلسين على مشاريع الآخر. ومن ناحية واقعية قد يكون لهذا الفصل محاسن بارزة خصوصاً إذا ما أريد الحصول على المشاريع القانونية الجيدة والمدروسة رغم ماتسببه ثنائية المجلس حالياً من تأخير للعمل والمشاريع والنفقات الباهظة أحياناً^(٨).

طريقة العمل في الكونجرس :

يعقد الكونجرس دورة واحدة في السنة تبدأ في يناير وتنتهي في ٣١ يوليو كأقصى

حد ماعدا في حالة الحرب والظروف الإستثنائية التي يعلنها الرئيس. ولكل مجلس خلال الدورة الحق في تأجيل اجتماعاته، على الا تتجاوز مدة التأجيل ثلاثة أيام حتى لا يعرقل أي من المجلسين اجتماعات الآخر، ولا يمكن أن تجري المناقشات في كل مجلس الا بتوفر النصاب القانوني المبني على نظام الأغلبية. لقد أثبتت وقائع العديد من الاجتماعات إبان هذه الحالات عدم احترام هذه القاعدة تماماً بالإضافة إلى وضوح سوء التنظيم أثناء قيام المناقشات داخله (٩).

نظام اللجان:

يتبع الكونجرس الأمريكي نظام اللجان والتي تعتبر مهمة لأداء النظام السياسي لوظيفته. وبالرغم من عدم ورود نص في الدستور الأمريكي بشأن هذه اللجان إلا أن الكونجرس تبني هذه اللجان المعينة له لتحقيق فاعلية أعظم في البت في العدد الهائل من مشروعات القوانين التي تعرض عليه عادة.

وتوجد كذلك اللجان الدائمة المتخصصة كلجنة الشؤون الخارجية ولجنة الشؤون المالية والإقتصاد القومي ولجنة الدفاع القومي ولجنة التشريع... ويفوق عدد اللجان الدائمة المتخصصة بمجلس النواب العشرين لجنة، وتضم كل منها ما بين عشرين وثلاثين عضواً أما مجلس الشيوخ فتوجد به ست عشرة لجنة تضم كل منها ثلاثة عشر عضواً. وتملك هذه اللجان في المجلسين سلطات تمنحها حق إستدعاء أي شخص موظفاً كان أم مرشحاً لمنصب أم مواطناً عادياً للاستماع إليه من أجل إفادة الكونجرس. وإذا رفض الشخص المثول أمامها ففي إستطاعة رئيس اللجنة إصدار أمر بإحضاره، كما في استطاعته توقيع عقوبة جنائية ضده. وتعتبر هذه اللجان من أهم الأسلحة التي يستغلها الكونجرس ضد السلطة التنفيذية (١٠).

وهناك كذلك لجان خاصة ذات طبيعة ومهام مؤقتة تشكل عادة في مسألة أو قضية معينة، ومن أمثلتها لجنة آرفن (Erivn) الخاصة التي انيط بها للبحث أو التحقيق في فضيحة وترجيت (Water Gate) واللجنة التي تكونت عام ١٩٧٥م للتحقيق في نشاطات هيئة المخابرات الأمريكية (١١).

وأخيراً هناك اللجنة التي كونها الكونجرس عام ١٩٨٧ وهي لجنة تاور (Tower)
للتحقيق في فضيحة ايران كونترا جيت (Iran Contra Gate) ومن صلاحيات هذه
اللجان عادة تقدير الظروف في إبعاد القضية مدار التحقيق.

سلطات الكونجرس:

إن سلطات الكونجرس الأساسية هي سن القوانين. وقد حددت هذه السلطات في
الفقرة الثامنة من المادة الأولى من دستور الولايات المتحدة الأمريكية، ومن أهم
الميادين التشريعية التي يقوم الكونجرس بممارسة سلطاته مايلي^(١٢):

- ١ - سن جميع القوانين الضرورية لكي تضعها السلطات التنفيذية والقضائية
موضع التنفيذ.
- ٢ - تنظيم التجارة مع الدول الأجنبية.
- ٣ - انشاء مكاتب وتحديد طرق للبريد.
- ٤ - إنشاء محاكم تقل مرتبة عن المحكمة العليا.
- ٥ - إعلان الحرب والتفويض بالرد والعقاب إذا ما اعتدت جهة ما على
مصالح الولايات المتحدة.
- ٦ - تأليف الجيوش وتأمين اعتماداتها المالية، بشرط الا تزيد مدة هذه
الاعتمادات على عامين.
- ٧ - إنشاء القواعد البرية والبحرية وتنظيمها في داخل الولايات المتحدة
وخارجها.

علاقة الكونجرس بالسلطة التنفيذية:

بالرغم من وجود فصل دستوري بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية فإن
الكونجرس ومن خلال الصلاحيات الأخرى المتاحة دستورياً يستطيع التأثير على
السلطة التنفيذية من خلال:

- ١ - للكونجرس ان يقترح تعديل الدستور كلما رأي ثلثي أعضاء المجلسين
ضرورة لذلك وله الحق أيضاً في أن يدعو الى ذلك بناء على رغبة ثلثي
المجالس التشريعية للولايات المختلفة، ويتم ذلك عن طريق عقد مؤتمر
خاص.

٢ - يتمتع الكونجرس بسلطة انتخابية احتياطية، وتتمثل هذه السلطة عند انتخاب الرئيس الأمريكي ونائبه، فإذا لم يحصل كلاهما على الأكثرية المطلقة في الإنتخابات العامة يقوم مجلس النواب بانتخاب الرئيس، ويقوم مجلس الشيوخ بانتخاب نائبه.

٣ - للكونجرس سلطة الإشراف على سير العمل في المرافق العامة وعلى الموظفين الفدراليين ومراجعة حساباتهم.

٤ - للكونجرس سلطات قضائية عن طريق إجراء الإتهام الجنائي الذي يعطي مجلس النواب حق اتهام الموظفين الفدراليين، وذلك في تهم حددها الدستور الأمريكي (الخيانة- الرشوة). أما مجلس الشيوخ فيقوم بإجراء المحاكمة والعقوبة هي العزل من العمل. وبعد ذلك يقدم الى المحكمة الجنائية العادية إذا كان مافعله الموظف يقع تحت طائلة قانون العقوبات. ولكي تصدر الادانة لابد من قرار بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس على الأقل (١٣).

٥ - للكونجرس سلطات مهمة في مجال تعيين الموظفين وفي مجال السياسة الخارجية وهنا يجب على رئيس الولايات المتحدة أخذ موافقة مجلس الشيوخ لدي تعيين السفراء والقناصل وأعضاء المحكمة العليا وكبار الموظفين الفدراليين الذين لم ينظم تعيينهم الدستور أو القوانين.

٦ - يجب موافقة ثلثي أعضاء الكونجرس على المعاهدات والاتفاقات الدولية التي يعقدها الرئيس الأمريكي.

٧ - للكونجرس سلطة التصديق على الميزانية، والموافقة على الإعتمادات الماليه التي تطلبها الحكومه.

ومن ناحية أخرى تستطيع السلطة التنفيذية التأثير على بعض مجريات الأمور في الكونجرس دستورياً عن طريق:

(أ) امتلاك رئيس الولايات المتحدة حق النقض (Veto) على القوانين الصادرة عن الكونجرس، حيث يعاد القانون مرة أخرى للعرض على الكونجرس، ولا يمكن تنفيذ هذا القانون إلا بموافقة ثلثي أعضاء الكونجرس.

(ب) وبالرغم من أن الرئيس ليس له الحق في اقتراح قوانين لكونها من إختصاص السلطة التشريعية، إلا أنه يستطيع القيام بهذا العمل بصورة غير مباشرة، وذلك عن طريق الطلب من أحد أعضاء حزبه في مجلس الشيوخ تقديم الاقتراح الذي يعد صيغته مكتب رئيس الدولة.

كذلك هناك إمكانية إقتراح الرئيس لبعض المشروعات والقوانين بصورة مباشرة على الكونجرس، ويتم ذلك كما حدده الدستور الأمريكي عن طريق وضع هذه المقترحات مرفقة بالرسالة التي يوجهها الرئيس سنوياً أمام الكونجرس الأمريكي.

يستطيع الرئيس أيضاً استخدام الوسائل الرسمية لتحقيق مطلبه وذلك عن طريق ممارسة الضغوط على أعضاء الكونجرس الذين أسند إلى اصدقائهم مناصب إدارية مقابل خدماتهم الإنتخابية. ويستطيع الرئيس كذلك إثارة الرأي العام الأمريكي عن طريق وسائل الأعلام الأمريكية، لكونه يتمتع بشعبية كبيرة مقارنة بالكونجرس حيث يعود السبب في ذلك إلى طريقة انتخابه على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية ككل.

وخير دليل على ذلك استخدام الرئيس لوسائل الإعلام من أجل الضغط على الكونجرس هو ما قام به الرئيس الأمريكي (ريجان) بإستمرار من إثارة للشعب الأمريكي عبر إذاعته الخاصة، لكسب دعمهم لمقترحاته والطلب منهم ممارسة الضغط على ممثليهم في الكونجرس. وبالرغم من فعالية استغلال الرئيس ريجان للوسيلة الإعلامية، فإن الرؤساء السابقين استخدموا هذه الوسيلة أيضاً ولو بنجاح أقل.

(ج) يستطيع الرئيس التأثير على وضع اللوائح والتشريعات ومشروعات القوانين في أي مجلس من مجالس الكونجرس عن طريق الاعتماد على أعضاء حزبه المتواجدين في المجلس أياً كان، حيث يستطيع حشد قواهم لدعم أو معارضة أو تعديل مثل هذه اللوائح والتشريعات أو المشروعات.

(ج) السلطة القضائية

نص الدستور الأمريكي في مادته الثالثة على أن تناط السلطة القضائية للولايات المتحدة الأمريكية في محكمة عليا واحدة، وفي محاكم تقل عنها مرتبة قد يأمر الكونجرس بإنشائها في أي وقت. هذا وتختص السلطة القضائية بالنظر في جميع الأحوال المتعلقة بالقانون والعدالة الناجمة بمقتضى هذا الدستور وقوانين الولايات المتحدة، والمعاهدات المبرمة أو التي ستبرم تحت سلطاتها. كذلك تنظر في جميع الأمور المتعلقة بتعيين السفراء والوزراء العموميين والقناصل ويندرج تحت سلطاتها أيضاً جميع المنازعات الدولية التي تكون الولايات المتحدة طرفاً فيها^(١٤).

أما من حيث تأليف المحكمة العليا فهي تتألف من رئيس القضاة (Chief Justice) وثمانية قضاة آخرون يقوم بتعيينهم رئيس الولايات المتحدة لمدة الحياة بعد موافقة مجلس الشيوخ. هذا وتحتل المحكمة العليا مكانة عظيمة في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة للدور الرئيسي الذي تلعبه في المجالات الدستورية والقانونية والسياسية.

علاقة السلطة القضائية بالسلطين التنفيذية والتشريعية:

بالرغم من مبدأ الفصل التام بين السلطات فهو لا يمنع من قيام علاقة تعاون ورقابة في حدود معينة بين هذه السلطات لكي تستطيع كل منها أن تدافع عن استقلالها وأن توقف الأخرى عند حدها محافظة على الحريات العامة. بل أن الفصل المطلق الذي يجعل من كل هيئة سلطة منعزلة تمارس اختصاصاتها إستقلالاً عن السلطات الأخرى من شأنه أن يؤدي إلى تعطيل الأعمال وارتباكها، وأن يؤدي أيضاً إلى تجاوز السلطات الدستورية وذلك لأن كل هيئة لن تستطيع أن تراقب الأخرى أو أن تتدخل في أعمالها لتوقفها عند حدها.

وكل ما يعنيه المبدأ إذن هو أن تكون السلطات متساوية ومستقلة كل منها عن الأخرى، بحيث لا تستطيع إحداها أن تعتدي على السلطات الأخرى، ولكن لها أن تراقبها في حدود اختصاصاتها، وأن تقاومها عند اللزوم بغية المحافظة على الحريات

العامّة بوسائل دستورية. وتسهيلاً لفهم طبيعة العلاقة القائمة بين هذه السلطات فإن البحث سوف يتطرق إلى علاقة السلطة القضائية بكل من السلطتين الآخرين.

أ- علاقة السلطة القضائية بالسلطة التنفيذية:

من عرض سلطات وإختصاصات الرئيس الأمريكي في بداية هذا الفصل إتضح أن هناك أموراً كثيرة لا بد أن تتدخل الهيئة القضائية فيها، خاصة اذا عرف أن المهمة الأساسية لهذه الهيئة هي التأكد من مدى إمتثال كافة المشاريع والقوانين لمواد الدستور الأمريكي عند الطلب. لذلك فهي غالباً ماتتدخل في الفصل في كافة الأمور العالقة بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية. ونتيجة لهذا الدور الرئيسي الذي تلعبه الهيئة القضائية، فإن أغلب رؤساء الولايات المتحدة يسعون بكل جدية لتعيين قضاة في هيئة المحكمة العليا ممن ينسجمون فكرياً وسياسياً معهم أو مع الحزب الذي يمثله الرئيس المعنى، لان من شأن ذلك على المدى البعيد تسهيل نفاذ مشاريع القوانين التي يطرحها الرئيس على الشعب أو على الكونجرس اذا ما حاول أحد المواطنين أو أعضاء الكونجرس الطعن في دستوريتهما أما من حيث الشكل أو من حيث المضمون أو النتائج. بالمقابل اذا كانت الأغلبية في الهيئة القضائية لا تنسجم فكرياً وسياسياً مع رئيس الدولة وحزبه فإن امكانيات نجاح مشاريع القوانين التي يطرحها وتكون معرضة للطعن الدستوري تصبح قليلة الحظ من النجاح. وبالرغم من صلاحية الرئيس الأمريكي في ترشيح القضاة للتعيين وقدرته في التأثير على أعضاء الكونجرس من أجل أخذ موافقتهم على ترشيحاته لقضاة المحكمة العليا، إلا أنه في كثير من الأحوال يواجه بعض الصعوبات التي تقف عائقاً في وجه هذه الترشيحات. إن حزب المعارضة في مجلس الشيوخ الأمريكي يعتبر أهم عائق في وجه مشاريع الرئيس خاصة اذا شكل اعضاءه الأغلبية في هذا المجلس. وأبلغ مثال على ذلك هو ما ذكر سابقاً من فشل الرئيس رونالد ريجان من ترشيحه للقاضي بورك، بسبب كون أغلبية أعضاء الكونجرس من الحزب الديمقراطي الذي ينافس الحزب الجمهوري والذي يتزعمه الرئيس ريجان. أن قضية القاضي بورك ليست فريدة في نوعها في تاريخ الترشيحات للمحكمة العليا، اذ من مراجعة تاريخ الترشيحات للمحكمة العليا في المثني سنة الماضية يتضح أن رؤساء أمريكا عموماً قد فشلوا في تعيين ٢٦ مرشح للمحكمة العليا

من مجموع ١٣٩ مرشح قدّم اسمه للتعين في هذه الفترة الزمنية (١٥).

ب - علاقة السلطة القضائية بالسلطة التشريعية:

من العرض السابق لاختصاصات كلا السلطتين وبالرغم من مبدأ الفصل التام بين السلطات يتضح أن هناك تداخلاً في عمل كل منهما فرضتها طبيعة الظروف الداخلية والخارجية. فالسلطة القضائية لها حق النظر في كافة القوانين ومدى امتثالها لنصوص الدستور الأمريكي، أما السلطة التشريعية فلها سن القوانين. ومن واقع هذه الصلة الحساسة بين كلا السلطتين فإن السلطة القضائية لها الحق وقد قامت فعلاً برفض قوانين كثيرة اقترحها الكونجرس الأمريكي لعدم دستورتيتها. لذلك يمكن القول بأن نفوذ السلطة القضائية ينبع من حقها في إعلان مدى دستورية القوانين من عدمها سواء قدمت مشاريع القوانين من السلطة التشريعية أو من السلطة التنفيذية، الأمر الذي يبرز بوضوح مدى أهمية ميل أغلبية أعضاء المحكمة العليا في خطهم الفكري نحو السلطة التشريعية أو التنفيذية لان هذا سيكون الفيصل في نجاح مشاريع القوانين وسقوطها.

وبالرغم من الأيجاز، ومن خلال ما تقدم يتضح مدى الدقة في تنظيم العلاقات بين هذه السلطات، ومدى رقابة كل واحدة منها على السلطتين الآخرين، والذي أدى في النهاية إلى استقرار الأوضاع وضمان وجود الحكومة الدستورية والإبتعاد عن سلبيات نظام الحكم المركزي. كذلك يتضح الدور الذي يلعبه الشعب الأمريكي في اختياره هذه السلطات فيما عدا السلطة القضائية والتي يكون دور الشعب في اختيارها غير مباشر، وذلك عن طريق السلطة التنفيذية متمثلة بالرئيس الأمريكي الذي يعتبر المسؤول عن تعيين هيئتها.

الهوامش

- ١ — د. رأفت غنيمي الشيخ، امريكا والعلاقات الدولية، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٩)، ص ٥٤.
- ٢ — د. يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٩)، ص ١٨١.
- ٣ — نفس المصدر، ص ١٨٣.
- ٤ — Robert E. Diclerico. *The American President*. 2nd Edition. Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, Inc , p. 196.
- ٥ — د. رأفت غنيمي الشيخ، المصدر السابق، ص ٥٥ — ٥٦.
- ٦ — د. حسن سيد أحمد، المصدر السابق، ص ١٤.
- ٧ — نفس المصدر، ص ١٥.
- ٨ — ماكس سكييد مور، كيف تحكم امريكا، ترجمة د. نظمي لوقا، (القاهرة: مطبوعات كتابي، ١٩٨١)، ص ١١٧.
- ٩ — نفس المصدر، ص ١١٨.
- ١٠ — Jack C. Plano, Op. Cit., pp 126 - 154-
- ١١ — ماكس سكييد مور، المصدر السابق، ص ١٢٤ — ١٣٤.
- ١٢ — د. حسن سيد أحمد اسماعيل، المصدر السابق، ص ١٨.
- ١٣ — د. محمود عاطف البناء، النظم السياسية، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٩ — ١٩٨٠)، ص ٤٦٥.
- ١٤ — د. رأفت غنيمي الشيخ، المصدر السابق، ص ٥٥.
- ١٥ — The Washington Post, September 16, 1987.

جماعات الضغط

تمهيد

لقد كثرت الدراسات التي تناقش موضوع جماعات الضغط ومدى تأثيرها على القرارات السياسية الأمريكية بشكل عام والخارجية منها بشكل خاص، ونظراً لعدم الدقة في توضيح المفاهيم الشائعة فإنه يلزم التفرقة بين المفاهيم التالية: -

أولاً : جماعات المصالح: (Interest Groups)

هي تلك المنظمات غير الحكومية سواء أكانت على شكل نقابات أم جمعيات ذات عضوية اختيارية والتي تحاول التأثير على مخرجات القرارات السياسية عن طريق فرض مطالب على النظام السياسي. وتعكس هذه المطالب الاهداف العامه لافراد هذه الجماعات⁽¹⁾. كذلك تتصف هذه الجماعات بالتنظيم الجيد والاستمرارية في العمل مثل جماعة المزارعين.

ثانياً : جماعات الضغط: (Pressure Groups)

وهي جماعات أو منظمات غير حكومية تعتمد إلى التكتل من أجل إحداث تأثير على القرارات السياسية. ولكن تعتبر هذه الجماعات نقيضاً للجماعات السابقة حيث لا تتصف بالدقة في التنظيم ولا الاستمرارية في العمل، بل إن استمرارية عملها مرتبطة باستمرارية الحدث الذي أدى إلى تكتلها. كذلك يلاحظ على هذه الجماعات كثرة تدخلها في القرارات السياسية والتي قد لا تمس مصالحها الخاصة مثل جماعة

اتحاد الحريات المدنية، وهذا عكس جماعات المصالح التي دائماً تسعى إلى تحقيق أهداف أعضائها المادية البحتة دون سواهم.

ولكى تتضح الرؤية أكثر يجب إدراك أن لكل جماعة من الجماعات مصالح معينة ويجب الدفاع عنها، وبصرف النظر عن نوعية هذه المصالح فإنه عندما يتخذ دفاع هذه الجماعات عن مصالحها صفة الممارسات الفعلية في مواجهة النظام السياسي والتي تتمثل بالضغط فإنه عندئذ يطلق على هذه الجماعات إسم (جماعة الضغط).

ثالثاً: الدعاة أو اللوبي: (Lobbyists)

يعتبر أعضاء أي لوبي من أنشط الأفراد خبرة ومعرفة في النظام السياسي (الأمريكي) بكافة مؤسساته وأبعاده، لذلك فهم عادة إما سياسيون أو رجال قانون أو اقتصاديون أو مسئولون سابقون في أجهزة الدولة من ذوي الإطلاع على خبايا الأمور وأصول الإجراءات الخاصة بالنظام. كذلك قد يكون اللوبي ممثلاً لجماعة من الجماعات ومهمته الأساسية الدفاع عن مصالح جماعته، أو قد يكون مستأجراً لهذا الغرض. وتعتبر واشنطن (العاصمة) المركز الرئيسي لمكاتب (اللوبي) وذلك بسبب الفعالية التي تتأتي من قربهم من أماكن صدور القرارات، وعند شعورهم بأن هناك قرارات صادرة أو محتملة الصدور يقومون ببذل الجهود اللازمة من حيث دعمهم لها أو محاولة الحيلولة دون صدورها بطرقهم الخاصة.

أنواع جماعات الضغط

إن أنواع جماعات الضغط مرتبطة بالتعددية في المجتمع الأمريكي والذي هو معروف بالتباين في عناصره. ومن واقع تعدد الفئات في المجتمع الأمريكي فإن الكثير من هذه الجماعات يقف عند تحقيق المصالح الاقتصادية. أما أكثر الجماعات تأثيراً على مجرى السياسة العامة فهي الجماعات المشتركة المصالح لذا فكثير من هذه الجماعات تسعى إلى التنسيق فيما بينها قبل اللجوء إلى الكونجرس لكي لا تتضارب مصالحها.

وقد يكون من الصعب تقدير عدد جماعات الضغط التي تعمل في الولايات

المتحدة الأمريكية الآن، ولكن ربما يكون التقدير الذي توصل إليه دينيس أي. كي (Denis A Key) أفضل التقديرات على الصعيد الفدرالي، حيث يشير إلى أن هناك أربع عشرة ألفاً من هذه الجماعات، وإن أكبر النسب من بين هذه الجماعات هي نسبة الجماعات ذات الصفة التجارية والتي تقدر ب (١٢%) من المجموع العام للجماعات. إن الصورة تبدو واضحة أحياناً لتقدير عدد هذه الجماعات على المستوى الوطني بالمقارنة مع تلك التي على مستوى كل ولاية وذلك بفضل قانون تسجيل اللوبي في الكونجرس والذي صدر عام ١٩٤٦م^(٢).

مما تقدم يتضح أن عدد الجماعات في الولايات المتحدة كبير جداً وقد يفوق كافة التوقعات. ونتيجة للأعداد الخيالية لهذه الجماعات كان لابد من وجود نوع من عدم الاتفاق بين من تناول هذا الموضوع وخصوصاً من حيث تحديد هوية مصالح جماعات الضغط. وبسبب عدم توفر الأجماع أصبحت الجهود الفردية هي الغالبة في هذا المجال وعليه فقد وجد هناك من قسم هذه الجماعات من حيث النزعة الأيديولوجية، أو من حيث نوع المهنة التي تقوم بها، كما أصبح هناك من يرى وجوب تقسيمها من حيث المصالح الاقتصادية. ولتجنب الكثير من هذه الآراء والتي يتصف بعضها بالغموض وربما عدم الدقة، فلقد حاول الباحث إيجاد معيار علمي يمكن من خلاله فهم جماعات الضغط وبشكل سهل من تحقيق الأهداف المرجوة من كتابة هذا البحث.

وانطلاقاً من أن كافة جماعات الضغط تمارس النشاطات السياسية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبما أن هذه الجماعات تهدف من وراء جهودها إلى تحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية... الخ، فإن المعيار الذي سيستخدم في تصنيف جماعات الضغط أياً كانت سيكون معيار شمولية الأهداف التي تسعى إليها. من هذا المنطلق يمكن تقسيم جماعات الضغط إلى فئتين رئيسيتين، الفئة الأولى وهي جماعات الضغط ذات المصالح والأهداف المحدودة، أما الفئة الثانية فهي جماعات المصالح والأهداف العريضة، وتسهلاً لفهم طبيعة هذا المعيار وقدرته على تفسير أهداف هذه الجماعات فسيتم التعرض إلى نموذج يعكس الفئة التي يعود إليها مع شرحه بشكل يوضح نشاطه وطرق تأثيره على الساحة السياسية.

أولاً : جماعات الضغط ذات المصالح والأهداف المحدودة:

تمارس هذه الجماعات الضغط من أجل التأثير على القرارات السياسية والحكومية بقصد تحقيق مصالح فردية أو المصالح الجماعية لأعضائها حيث أن العامل الاقتصادي غالباً ما يكون مطلب هذه الجماعات، لذا أصبح يطلق عليها اسم (جماعات المصالح). ونتيجة لما تملكه هذه الجماعات من إمكانيات مادية، وكثرة أعضائها الذي يصل إلى الملايين، فإنها تعتبر من أقوى جماعات الضغط تأثيراً على القرارات الحكومية. و يعود السبب الرئيسي لاطلاق صفة (المحدودية) على هذه الجماعات إلى إقتصار عضويتها على أفراد معينين ينتمون عادة إلى صناعة أو مهنة أو حرفة معينة بما في ذلك المؤسسات المالية والشركات الصناعية الكبرى، ومن أهم الأمثلة على ذلك:

| | | |
|---------------------------------------|---|--------------------------------|
| National Association of Manufacturers | — | الرابطة الوطنية للصناعيين |
| United State Chamber of Commerce | — | غرفة تجارة الولايات المتحدة |
| American Petroleum Association | — | مؤسسة البترول الأمريكية — |
| American Publishers Association | — | الرابطة الأمريكية لناشري الصحف |
| National Farmers' Union | — | نقابة المزارعين الوطنية |
| American Medical Association | — | الرابطة الطبية الأمريكية |
| American Federation of Labour | — | الاتحاد الأمريكي للعمال |

جماعة المزارعين:

تقدر نسبة المزارعين والعمال الزراعيين بحوالي ٣ في المئة من إجمالي الطاقة العمالية في الولايات المتحدة الأمريكية. وبالرغم من ذلك يعود النجاح المضطرب في تأثير هذه الجماعات على الحكومة الأمريكية إلى الخبرة التي استفادت منها هذه الجماعات من خلال علاقتها القديمة مع الحكومة إضافة إلى أهمية سلعتها التي تشكل جزءاً كبيراً من الدخل القومي للولايات المتحدة الأمريكية. لقد استطاعت هذه الجماعات وعلى مر السنين أن توجه ضربات سياسية موجعة للسياسة ومسئولي الحكومة الأمريكية بصرف النظر عن الخلافات والانقسامات الحادة التي كانت تسود بداخل صفوفها بين الفينة والأخرى. ولاشك أن النجاح المستمر في تأثير هذه الجماعات على الكونجرس وعلى الوكالات الفدرالية الأخرى جعل لزاماً على كل مرشح رئاسة

أمريكي أن يولى جل اهتمامه لمطالب هذه الجماعات والمحاولة لكسب تأييدهم قبل وبعد الانتخابات^(٣).

ويعتبر مكتب الاتحاد الفدرالي للمزارع الأمريكي (The American Farm Bureau Union)، والنقابة الوطنية للمزارعين (National Farmers' Union) من أقوى جماعات المزارعين. ويعمل مكتب الاتحاد الفدرالي للمزارع الأمريكية على تثبيت خطوطه الانتاجية من أجل تحقيق المكاسب المالية، إضافة إلى المطالبة بتطبيق النظام الحرفي في التسويق، أما من حيث المعارضة فهو يعارض تدخل الحكومة الفدرالية في أي عملية من أجل تنظيم الاقتصاد الزراعي أو تقنين عملية تنظيم العمال الزراعيين. وعلى العموم تصوت هذه الجماعات تقليدياً إلى جانب الحزب الجمهوري الذي لايفضل أعضائه التدخل في شئون المزارعين. لقد كان أحد متحدثيها الرسميين والمسمى ازراتافت بنسون (Ezra T. Benson) المستشار الزراعي للرئيس آيزنهاور كذلك عمل أحد رجالها في المنصب نفسه أيام الرئيس نكسون^(٤).

تعتبر نقابة المزارعين الوطنيه (NFU) من الجماعات التي تسير على المنهج التقليدي في أعمالها وعلى التطرف في أفكارها، لذلك فهي مناهضة للاتحاد السابق، وتسعى إلى دفع الحكومة إلى تنظيم الحقل الزراعي ودعمه في شتى المجالات لذا فإن أعضائها يؤيدون الحزب الديمقراطي. لقد كان أحد متحدثيها الرسميين، اورفيل فريمان (Orville Freeman) حاكم ولاية مينسوتا، المستشار الزراعي في عهد كل من الرئيس كندي وجونسون^(٥).

وتعتبر جماعة المزارعين من ضمن قائمة أكثر عشرين جماعة تنفق الأموال الطائلة من أجل التأثير على قرارات الحكومة الفدرالية. وأقرب الامثلة على ذلك هو اتفاق جماعة المزارعين حوالي مليوني دولار لدعم اعادة انتخاب الرئيس نكسون عام ١٩٧١م.

أما من حيث تأثير الجماعات الزراعية على الحكومة فهو يعود إلى الماضي البعيد، وبصرف النظر عن تاريخ بدايته، فلقد طالب المزارعون منذ أوائل عشرينات هذا

القرن بمساعدات فدرالية تعينهم على تعويض أسعار السلع. وفي سنة ١٩٢٩م أجبر الكونجرس الرئيس هوفر على قبول هيئة فيدرالية لشئون المزارع حيث تعمل ايضاً على تشجيع قيام التعاونيات الزراعيه. وفي سنة ١٩٣٣م اقرت ادارة الرئيس فرنكلين د. روزفلت قانوناً للمواءمه الزراعيه يهدف إلى تقييد الانتاج والسعى إلى رفع بعض أسعار بعض السلع المتضررة إلى المستوى الذي كانت عليه ما بين سنتي ١٩٠٤/ ١٩١٤م، وهو ماسمى بـ«برنامج التكافوء» لكي يعمل على ابقاء الاسعار الزراعيه عند مستوى معين يرتبط بمستوى الاسعار الصناعيه. ولكن في سنة ١٩٣٦م حكمت المحكمة العليا بعدم دستورية قانون ١٩٣٣م، الا أنه سرعان ما تغير موقفها فقبلت قانوناً جديداً عام ١٩٣٨ كان مطابقاً للقانون السابق^(٦).

كذلك أصبح للمزارعين دور كبير في مجال السياسة الخارجية ومن الأمثلة على هذا الدور ما حدث بعد الاحتلال السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٩م، حيث أعلن الرئيس الأمريكي رونالد ريجان منع تصدير القمح الأمريكي للاتحاد السوفيتي. ونتيجة لهذا الإعلان بدأت جماعات الضغط التي تخدم مصالح المزارعين ممارسة ضغطها على السلطة التنفيذية متمثلة بالرئيس ريجان، ونجحت في حمله على التخلي عن هذا القرار بالرغم من كونه من أكثر الرؤساء تشدداً في مواجهة الشيوعية والمعسكر الإشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي.

ثانياً : جماعات الضغط ذات المصالح والأهداف العريضة:

تسعى هذه الجماعات دائماً إلى تأمين أهدافها العامه والتي قد يشترك معها في هذه الأهداف بعض الجماعات الاخرى. ان عضوية هذه الجماعات غالباً ماتكون قليلة وتقتصر على صفوة المثقفين الذين يظهرون عادة أكثر انسجاماً وتفاعلاً من أولئك الذين ينتمون إلى جماعات الضغط ذات المصالح والأهداف المحدودة. وتعتبررابطة السرطان الأمريكية (American Cancer Association) إحدى هذه الجماعات، حيث تستطيع أن تحصل دوماً على الدعم المادي الكبير بسبب التقدير العظيم الذي يکنه سائر أفراد الشعب لجهودها وأهدافها. ولاشك أن هذا الموقف يتناقض مع الموقف العام للشعب تجاه الكثير من الجماعات التي تحاول رفع معاناة الأقليات في الولايات المتحدة الأمريكية أياً كانت^(٧).

وتحظى الجماعات ذات المصالح والأهداف العريضة بتأييد كبير سواء من المسؤولين في الدولة أو من عامة الشعب، وذلك لما تقوم به من نشاطات تدخل غالباً في صميم مطالب المواطن العادي. ومن أمثلة هذه الجماعات بجانب مجمل الجماعات الأيديولوجية مايلي:—

| | |
|------------------------------------------------------------|-----------------------------------|
| American Civil Liberty Union | — اتحاد الحريات المدنية الأمريكية |
| American Cancer Association | — رابطة السرطان الأمريكية |
| National Association for the Advancement of Colored People | — الرابطة الوطنية لتقدم الملونين |
| National Association For Women | — الرابطة الوطنية للنساء |
| The Common Cause Group | — جماعة القضية المشتركة |
| Freinds Of Earth Group | — جماعة اصدقاء الأرض |

اتحاد الحريات المدنية الأمريكية:

وهي نقابة وطنية غير حزبية أنشئت عام ١٩٢٠م بواسطة مجموعة من المتحررين (Liberals) والذي على رأسهم جين ادامز (Jane Adams) المصلح الاجتماعي الأمريكي والمؤلفين والمحررين الأمريكيين، أمثال كلر (Killer)، وجيمس ولدون جونسون (James Johson) بالإضافة إلى بعض القادة الاشتراكيين الأمريكيين مثل يوجين دبس ونورمان توماس. وفي عام ١٩٦٩م كبرت هذه النقابة حتى وصل عدد أعضائها في تلك الفترة إلى مايقارب مائة وثلاثين ألف عضو. وتملك هذه النقابة مكاتب عديدة يديرها قانونيون في كافة أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية^(٨).

لقد نُظِم هذا الاتحاد من أجل الدفاع عن الحريات المدنية لكافة المواطنين، لذلك فهو ينتهج التفسير التحرري المدني لكافة بنود الدستور الأمريكي من أجل الدفاع عن حرية الخطابة، والنشر، والتنظيم والدين، ويعتبر هذا الاتحاد من التنظيمات الفعالة أمام المجالس التشريعية سواء داخل الولايات أو على المستوى الفدرالي.

ومنذ عام ١٩٢٠ كان هذا الاتحاد يقوم بنشاط منقطع النظير بهدف الدفاع عن

الحقوق السابقة الذكر. ولكن الشيء الذي يؤخذ على هذا الاتحاد تذبذب عدد أعضائه بين الزيادة والنقصان وباستمرار والذي يرجع إلى حقيقة أن مايقوم به من أعمال قد تتنافى أحياناً واتجاهات بعض الجماعات الفكرية داخله ومن أبرز الأمثلة على هذه الظاهرة تخلى الكثير من أعضائه اليهود عن العضوية بعد قيامه. بالدفاع عن شرعية تظاهر حركة النازيين الجدد في إحدى ضواحي مدينة شيكاغو الأمريكية عام ١٩٧٨م. لقد كان من المنطق أن تنقص عضويته من اليهود الأمريكيين حيث يعتقد أن نسبة عضويتهم فيه تصل إلى ٤٪ من مجموع الأعضاء، وبصرف النظر عن بلوغ عضويته (٢٧٥٠٠٠) عام ١٩٧٤م إلا أن العضوية مازالت في هبوط مستمر منذ دفاعها عن النازيين. ولاشك أن غالبية المنسحبين تعود إلى الأعضاء اليهود الذين يضمرون حقلاً تاريخياً للنازية التي ترعرعت في ألمانيا الهتلرية^(٩).

أما من حيث دور هذا الاتحاد في النظام السياسي الأمريكي فهو يعود إلى تاريخ إنشائه عام ١٩٢٠، حين قام بالدفاع عن الأفراد الذين اتهموا بعدم ولائهم للأمة، كذلك احتل نشاطه مكان الصدارة في المعركة القانونية آنذاك والتي كانت تستهدف منع التفرقة العنصرية في المدارس العامة عن طريق فصل مدارس البيض عن مدارس الأقليات الأخرى. ومن الأمثلة الأخرى على تذبذب العضوية، ازدياد عدد أعضائه عام ١٩٧٣م بمقدار خمسين ألف عضو بعد أن قام بنشاطات مكثفة وجهود مضنية وممارسة الضغوط على كافة المستويات الشعبية والرسمية بقصد محاكمة الرئيس نيكسون بتهم الإعتداء على الحريات الفردية وانتهاكه لدستور الولايات المتحدة الأمريكية. وما من شك أن هذا الاتحاد لعب دوراً فعالاً في إنجاح الحملة على الرئيس نيكسون والتي نجحت بحمله على الاستقالة فيما بعد^(١٠).

أن تذبذب العضوية يعود بلا شك إلى نوعية القضايا التي يتبناها هذا الاتحاد بالرغم من أنها تصبّ في معين الحفاظ على الحريات العامة التي كفلها الدستور.

لقد قام هذا الاتحاد بالدفاع عن عدد من القضايا المختلفة والتي يمكن أن تؤثر على العضوية سلباً أو إيجاباً، ومن أمثلة هذه القضايا هو ما قام به الاتحاد في عام ١٩٨٧م من جهود قانونية دفاعاً عن بعض الطلبة الفلسطينيين الذين اتهمتهم الحكومة الأمريكية بالتخطيط لقلب نظام الحكم، وبالرغم من أن نسبة اليهود في هذا

الاتحاد تصل إلى ٤٪ (كما ذكرنا سابقاً) إلا أنه شارك في الترافع عن هؤلاء الطلبة حتى أُحلى سبيلهم. وبصرف النظر عن المسببات والنتائج يمكن القول بأن الباعث على هذا الدفاع المستغرب قد يكون لعبرة من أن ما حدث للطلبة الفلسطينيين قد يحدث لليهود أنفسهم في أمريكا، لذلك فإن من الأفضل أن لا تكون هناك سابقة قضائية تسير عليها المحاكم الأمريكية وتدفع ثمنها فيما بعد مختلف الأقليات.

كذلك أعلن نفس الاتحاد في نهاية عام ١٩٨٧م بأنه سوف يقف قانونياً ضد حكومة الرئيس رونالد ريجان إذا ما أصرت على إغلاق المكتب الاعلامي لمنظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن. حيث يعتبر هذا التصرف من قبل الحكومة الأمريكية متعارضاً مع مبادئ هذا الاتحاد والتي لم يخرج عن نطاقها المكتب الاعلامي لمنظمة التحرير الفلسطينية^(١١). أيضاً في ٣١ أغسطس من عام ١٩٨٧م أعلن رئيس هذا الاتحاد السيد نورمان دورسن (Norman Dorsen) بأن اتحاده الذي يبلغ من العضوية مائتان وخمسون ألف عضو سوف يقف عائقاً ضد ترشيح الرئيس رونالد ريجان للقاضي يورك باحتلال منصب في المحكمة العليا^(١٢). وبصرف النظر عن الوسائل التي إستخدمها هذا الاتحاد تجاه هذه القضية، إلا أنه في النهاية نجح مع الجماعات المعارضة الاخرى في إسقاط هذا الترشيح.

أما آخر القضايا الحديثة والتي مازالت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتحقيقها فهي محاولة اغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في هيئة الأمم المتحدة، وبالرغم من نجاح الولايات المتحدة في إغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن، إلا أنها سوف تجد صعوبة في اغلاق المكتب الفلسطيني في هيئة الأمم، وذلك يعود إلى تضامن معظم أعضاء هيئة الأمم المتحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية خوفاً من أن يكون ذلك سابقة إجرائية تسير عليها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه أي عضو في هيئة الأمم المتحدة، إضافة إلى أن هذا الإجراء عمل يتعارض مع معاهدة إستضافة وحماية المنظمة الدولية. أما على صعيد الولايات المتحدة نفسها فقد أعلنت (منظمة الأمريكيين العرب للحقوق المدنية بأنها كثفت من جهودها وبدأت تمارس الضغوط داخل وخارج الكونجرس الأمريكي من أجل افسال هذا المشروع^(١٣).

الهوامش

- (١) د. هالة ابوبكر سعودي. السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ١٩٦٧ – ١٩٧٣م، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣) ص ١٠٢.
- (٢) Ronald J. Hebenar. *Op. Cit.*, p 8.
- (٣) *IBID*, p 205.
- (٤) Erwin L. Levine & Elmer E. Cornwell. **An Introduction to American Government.** Fourth Edition. New York: Macmillan Publishing Co., 1975, p. 101
- (٥) *IBID*, p. 101.
- (٦) ماكسي سكيد مور. كيف تحكم أمريكا، ترجمة د. نظمي لوقا، (القاهرة: مطبوعات كتابي، ١٩٨١) ص ٣٧٥.
- (٧) Allan Grant. *Op. Cit.*, pp 153 - 154.
- (٨) **Funk and Wagnalls Encyclopedia.** United States: **Chicago: Randy McNally and Company.** p. 472.
- (٩) Roland J. Hrebenar- *Op. Cit.*, pp 46 - 47.
- (١٠) Funk and Wagnalls. *Op. Cit.*, p. 473.
- (١١) عرب نيوز، ٨/١٠/١٩٨٧م.
- (١٢) نيويورك تايمز، ١ سبتمبر ١٩٨٧م.
- (١٣) سعودي جازيت، ٣١/١٠/١٩٨٧م.

وسائل جماعة الضغط

تستخدم جماعات الضغط عادة نوعين من الوسائل الأول: ويعتمد على استخدام وسائل التأثير المباشر والذي يعتمد على الإتصال بالمسؤولين في الدولة وواضعي القرارات مباشرة أي وجهاً لوجه، أما الثاني: فهو استخدام وسائل التأثير غير المباشر وذلك عن طريق لفت نظر المسؤولين في الدولة دون الإتصال بهم مباشرة، اعتماداً على إثارة الرأي العام، تنظيم المظاهرات، والتأثير في الإنتخابات، والحصول على دعم الجماعات الأخرى^(١).

وسائل التأثير المباشر:—

أولاً : العملية الاتصالية:

هي عملية الاتصال المباشر والمستمر التي يقوم بها ممثلي أو «لوبي» جماعات الضغط مع المسؤولين الرسميين في الحكومة. وتعتبر هذه العملية أفضل طرق التأثير على الحكومة، لكونها أقل خطورة وعلنية من الطرق غير المباشرة.

ولهذا يجتهد عضو اللوبي الذي يمثل الجماعة في تنمية اتصالاته الودية على كافة المستويات لضمان وصوله إلى المشرعين. ويطلق على هذا الأسلوب «أسلوب الشراب والطعام» فمثل الجماعة عادة يحاول أن يأخذ مشروعاً للغذاء، والحصول على تذاكر للدخول إلى أماكن الاحتفالات والحفلات الفخمة لقضاء الوقت، أو أن يقدم

للمسئول رحلة إلى مقر سكنه على طائرة الجماعة. وإذا كان المسئول أو المشرع عضواً في لجنة فقد يشمل هذا الاكرام أعضاء اللجنة الآخرين وذلك من أجل تسهيل عملية الموافقة على الاقتراح المعروض عليهم. وحيث أن مثل هذه التصرفات لا تعتبر رشاوي في القانون الأمريكي، فقد أصبحت تقاليد منتشرة في كثير من الأماكن التي تتواجد فيها ادارات أو أجهزة صنع القرار السياسي أو غيره.

إذا كانت القاعدة في العملية الاتصالية هي قيام ممثل جماعة الضغط بالاتصال مع المسئول الحكومي، فإن الوجه الثاني لهذه القاعدة يتمثل في قيام المسئول الحكومي بالمبادرة بالاتصال مع جماعات الضغط مباشرة أو بطريق غير مباشر.

ويعتقد الكثيرون أن رغبة المسئول في توثيق علاقاته الشخصية مع جماعات الضغط أو ممثليهم تعود إلى محاولته كسب تأييد تلك الجماعات إذا ما فكر المسئول في إعادة انتخابه، أو على الأقل الحصول على عمل لديهم عندما تنتهي خدمته في الحكومة. ويؤكد هذا الاعتقاد ما أشارت إليه الإحصائيات في السنوات العشرين التي تلت الحرب العالمية الثانية، حيث بقي في واشنطن ٣٣ عضواً بمجلس الشيوخ و٨٠ نائباً، كلهم احترفوا مهنة تمثيل جماعات المصالح التي كانوا يتعاطفون معها.

ثانياً: الدعم المادي :

يعتبر الدعم المادي من الوسائل المهمة التي يستخدمها ممثلوا جماعات الضغط أي رجال (اللوبي) مع المشرعين. وحيث أن إضراره بالنظام السياسي لاشك كبير فقد أصبح هدفاً للانتقاد ومحاولات الإصلاح. لقد أصبح الدعم المادي المباشر (الرشاوي) محرماً قانوناً، وبالرغم من المراقبة الشديدة على هذا الدعم إلا أنه مازال قائماً، ولكن بطرق ملتوية وكثيرة الغموض. ومن أمثلة ذلك ما تقوم به جماعات الضغط من تقديم الاموال اللازمة لحملة انتخابات المرشحين الموالين لها، أو عرض كافة الخدمات والتسهيلات المرتبطة بأمور الرفاهية، كدعوات لقضاء اجازة في منتجع على حساب جماعات الضغط أو وعد هؤلاء المرشحين بتوظيفهم بعد انتهاء خدمتهم الحكومية. وليست الدعوات الرسمية التي تقدمها إسرائيل للمشرعين وأعضاء الكونجرس

الأمريكي الآخرين الا دليل على أهمية الدعم المادي وتقديم الهدايا الثمينة بالنسبة لهؤلاء المسئولين. ونظراً لكثرة فضائح الدعم المادي المباشر بين المشرعين فلقد أصبحوا وحرصاً على سمعتهم يفضلون الحصول على الوعود المستقبلية بدلاً من تسلم هذا الدعم أو قبول الهدايا الثمينة.

ثالثاً : جمع وتوزيع المعلومات:

وهي وسيلة يستخدمها ممثل جماعات الضغط (اللوبي)، وتتمثل بجمع الاحصائيات وكافة المعلومات أو الآراء السياسية حول أي موضوع معين، ومن ثم تقديمها لمتخذي القرارات السياسية من أجل لفت نظرهم لهذا الموضوع، أو نشرها في كافة الصحف والمجلات لإثارة الرأي العام. ويسمى هذا الاسلوب أحياناً بطريقة رالف نادر (Ralph Nader) الذي يهتم دائماً بالدفاع عن مصالح المستهلكين تجاه الجماعات الأخرى، وتجاه القرارات السياسية التي تضر بمصالحهم أيضاً.

رابعاً : استمالة الهيئات القضائية:

يعتبر الاتصال بالهيئات القضائية من أهم الأمور التي يسعى لتحقيقها ممثل جماعات الضغط (رجل اللوبي) وذلك لما قد يترتب عن هذه الاتصالات من نجاح في اقناع هؤلاء القضاة بأمور قد تدفعهم لاصدار حكم قضائي بكيفية معينة ونتائج مقصودة. ويرجع السبب في اهتمام جماعات الضغط بهذا الاسلوب إلى حقيقة أن الحكم القضائي وما ينجم عنه قد يكون آمن وأسرع طريقة للحصول على هدف معين بالمقارنة مع امكانيات تحقيقه اعتماداً على متابعته أمام الهيئات التشريعية والتي قد تكون أكثر كلفة استنزافاً للجهود والوقت.

خامساً: الاتصال بالسلطة التنفيذية:

وكما هو واضح فإن السلطة التنفيذية لها الدور الكبير في وضع السياسات العليا للدولة فهي التي تقوم بإنشاء مكاتب الاتصال الرسمية مع الكونجرس من أجل تقوية روابطها معه، وهي بهذا تمارس عملاً لا يختلف كثيراً في طبيعته عما تقوم به مكاتب اتصال جماعات الضغط الخاصة. وتعتبر بعض الوكالات التنفيذية من أقوى أنواع

(اللوبي) في أي مستوى حكومي. فكتب المباحث الفدرالي (FBI) والبتاجون حقاً نجاحاً مرموقاً في تحقيق الموازنات اللائقة لمؤسساتهم. وبالرغم من تحريم الكونجرس للوبي الحكومي، إلا أن هذا هو الواقع. إن عملية الاتصال بالكونجرس ليس بالضرورة نتيجة لاختصاص الإدارة أو الوكالة، بل هذا يعود لما للكونجرس من دور رئيسي في الموافقة على الموازنات. وأقرب مثل على ذلك هو حرص وزارة الخارجية الأمريكية على إعطاء طلبات الكونجرس الأولوية التامة، بالرغم من عدم اختصاصها بالسياسة الداخلية.

ولأن تأثير السلطة التشريعية والسلطة القضائية ضعيف على السياسات التنفيذية لذا تتاح الفرصة أمام جماعات الضغط للتأثير على السلطة التنفيذية من خلال الموازنات. ونتيجة لاتساع نطاق السلطة التنفيذية في مجال السياسات الوطنية أصبح هناك تطور في أساليب جماعة الضغط المستخدمة، حيث أتضح أن الدعم المادي هو الأكثر أثراً على السلطة التنفيذية وليس التهديد بالأصوات، حيث يعزى ذلك إلى قلة عدد الموظفين التنفيذيين الذين يجري انتخابهم مباشرة. أما الأكثرية من الموظفين التنفيذيين فهم يعينون، ومناصبهم مضمونة عن طريق نظام الخدمة المدنية وبمنجاة من سيطرة الناخبين. ونتيجة لاتساع دائرة انتخاب الموظفين المنتخبين في السلطة التنفيذية فإنهم يحتاجون للدعم المادي الكبير، الذي تسارع إلى تقديمه جماعات الضغط. وليست الفضيحة التي تزامنت مع محاولة الرئيس نيكسون لإعادة انتخابه عام ١٩٧٣ م إلا دليل على تنافس جماعات المصالح على تقديم الدعم المادي للسلطة التنفيذية.

وسائل التأثير غير المباشر :

ويقصد بها قيام جماعات الضغط بلفت نظر المسؤولين وصانعي القرارات في الحكومة بالطرق غير المباشرة، وذلك تعبيراً عن عدم رضاهم بالقرارات لتعارضها مع مصالحهم. وأهم الطرق غير المباشرة التي تستخدمها هذه الجماعات هي:—

أولاً : الوسائل التنظيمية:

تحاول أكثر جماعات الضغط التأثير على أعضائها بقصد كسب تأييدهم في كافة المواقف التي ستتخذ فيما بعد، وكذلك زيادة عددهم. من هنا برزت حقيقة أنه كلما

كانت الجماعة متماسكة كلما أصبح لها تأثيراً أقوى، وكلما ازداد انقسامهم أو عدم اتفاقهم كلما أصبحت المنظمة ضعيفة وعلى كافة المستويات. ولهذا كان من الطبيعي أن يأخذ أعضاء الكونجرس مثلاً بالاعتبار حين يواجهون ممثلاً لإحدى الجماعات مدى تماسك جماعته أو منظمته مع بعضها البعض. وانطلاقاً من أهمية التماسك والترابط بين أعضاء كل جماعة، أصبحت أكثر جماعات الضغط تنظم اجتماعات أو مؤتمرات دورية من أجل التأكيد على هذا الترابط وسعيًا وراء توحيد القوى، وإعطاء الانطباع الجيد عن تماسكها وبالتالي اكتساب فرص أفضل للمواجهة مع صانعي القرار وتحقيق الأهداف.

ثانياً : استخدام الرأي العام:

لقد أصبح الرأي العام من أهم الوسائل المستخدمة من قبل جماعات الضغط. لذلك تعمل كل جماعة من الجماعات على كسب تأثير الرأي العام لأية قضية تخصها سواء أكانت معروضة على السلطات الحكومية أو سوف تعرض في المستقبل، وغالباً ماتقوم هذه الجماعات بتهيئة الرأي العام من أجل ملاحظة ردود الفعل قبل عرض القضية. ونتيجة لما للرأي العام من أهمية بالغة فإن أكثر جماعات الضغط تستخدم الحاسبات الآلية في كافة مراكزها في الولايات المتحدة من أجل سرعة التنسيق وفاعلية الاتصال بممثلهم في العاصمة الأمريكية لكي يوافقونهم بأي قرار سياسي يتعلق بمصالح جماعتهم قبل صدوره. وتبعاً لهذا تقوم هذه الجماعات بحث كافة أعضائها على إرسال بطاقات احتجاج أو تأييد لممثلهم في الكونجرس الأمريكي، إضافة إلى تنظيم المظاهرات وتعطيل العمل إذا كان هذا القرار يمس مصالحهم، وكذلك قد تعمل الجماعة على نشر الدعاية التي تحقق مصالحها في كافة وسائل الاعلام بقصد تعزيز مشاركة بعض أفراد الشعب الأمريكي في الجهود الهادفة التي تتبناها.

إن ما قام به اتحاد عمال السيارات في عام ١٩٧٩م من تنظيم المظاهرات والتي قدر عدد من سار فيها بحوالي مليون عامل، وإرسال البرقيات والرسائل للرئيس كارتر وأعضاء الكونجرس مطالباً بوضع برنامج جديد للطاقة وعدم الاعتماد على البترول المستمد من أوبيك، لأبلغ مثل على أهمية استغلال جماعات الضغط للرأي العام^(٢).

ثالثاً : تعزيز الروابط مع الجماعات الأخرى:

إن تعدد جماعات الضغط في الولايات المتحدة الأمريكية أدى إلى تشابك مصالحها، وبالتالي إلى التناقض في المواقف تجاه أية قضية من القضايا. ولكون المشاركة في المواقف دائماً هي المطلب، لذلك أصبح الكثير من الجماعات تنسق فيما بينها قبل طرح قضيتها على السلطات الحكومية.

كذلك بالرغم من وجود الجماعات المتناقضة في المصالح وفي الكثير من المواقف، إلا أن ذلك لا يمنع من اتفاقها بسبب قيام المصالح الوقتية المشتركة والتي تدفعها نتيجة لذلك إلى توحيد مواقفها. وأقرب مثال على ذلك هو الوفاق بين كل من الرابطة الوطنية للمنتجين (American . A .of M.) ونقابات العمال المنظمة (Organized Labour Unions) حول أي نقاش من شأنه خفض ضريبة الدخل (Income - Tax) علماً بأن كلا التنظيمين متضادين في أغلب الأهداف والمواقف الأساسية^(٣).

رابعاً: التأثير في الانتخابات:

لكي يكون لأي جماعة من الجماعات صوت مسموع أمام المسؤولين أو متخذي القرارات في الحكومة، لا بد من أن تعمل على تقوية صلاتها بهؤلاء المسؤولين خاصة في فترات الانتخابات. ولذلك فإن أغلب جماعات الضغط في أمريكا تنتهز لحظة الانتخابات وتقوم بدعم المرشحين الموالين لها بكافة الطرق، كالقيام بالدعاية لهم في وسائل الاعلام أو توزيع النشرات على المواطنين، أو تقديم الدعم المادي لإدارة حملاتهم الانتخابية، إضافة إلى تعبئة بطاقات هؤلاء المرشحين بالأصوات المطلوبة سواء من أعضائها أو من المواطنين المتعاطفين معها. وقد تبرز أهمية الأصوات عندما تكون النتائج لمجموع الأصوات أقل من المطلوب، لذلك يتضح مدى تأثير الجماعات ذات العضوية الكبيرة مثل اتحاد العمال والذي يفوق عدد أعضائه على العشرين مليون عضو^(٤).

إن استغلال الجماعات للفرض المتاحة لها في فترات الانتخابات أمر طبيعي وعادي بالنسبة للمسؤولين الأمريكيين أو بالنسبة للمواطنين، لذلك فكل جماعة تسعى

بأن لا تفوتها هذه الفرصة الثمينة في أي مستوى من المستويات الحكومية. أن من أبلغ الامثلة الحديثة على الدعم المادي لحظة الانتخابات هو ما قام به مؤيدوا الصهيونية اسرائيل عندما بدأت الانتخابات الأمريكية في نوفمبر عام ١٩٨٦م لتشكيل الكونجرس رقم مائة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تشير الاحصائيات على (انفاق مؤيدي الصهيونية واسرائيل أكثر من ألفي مليون دولار على هذه الانتخابات في محاولة لانتخاب الأعضاء الموالين لاسرائيل. وقد تم توزيع هذه الاموال على حملات أكثر من مائتين وثلاثين مرشحاً في مختلف أنحاء الولايات المتحدة. ونتيجة لهذا الدعم المادي الكبير فقد حققوا الهدف المطلوب وهو ايصال ٢٥ مرشحاً إلى مجلس الشيوخ من بين ٣٣ تم دعمهم، اضافة إلى النجاح في ايصال تسعين بالمائة من المدعومين إلى مجلس النواب)^(٥).

أما من حيث تأثير هذه الجماعات على السلطة التنفيذية فقد يبدو جلياً من الحالة التي تسود مرشحي الرئاسة الأمريكية والتي تتمثل في تكثيف الاتصالات مع جماعات الضغط لكسب تأييدهم ودعمهم المادي. والمثال على ذلك هو ما ذكره توماس داين المدير التنفيذي للوبي الصهيوني من أن كل مرشحي الرئاسة الأمريكية اجتمعوا بمسئولي اللوبي الصهيوني قبل ١٦ شهراً من بدء الانتخابات لكي يشرحوا لهم مواقفهم وسياساتهم تجاه الشرق الأوسط، وليحصلوا على كتاب عن مواقف اللوبي الصهيوني في هذا الخصوص... كذلك أفصح توماس داين عن أن أحد مرشحي الرئاسة والذي فضل عدم ذكر اسمه اتصل باللوبي الصهيوني وأخبره بأنه سوف يعلن للملأ قريباً ترشيح نفسه للرئاسة، وسوف يختار فلان (لم يذكر اسمه) لأحد المناصب المهمة... وفي النهاية طلب النصح والتوجيه من اللوبي الصهيوني^(٦).

وبالرغم من أن هناك الكثير من الأمثلة التي تعبر عن دور جماعات الضغط بكافة أنواعها في السياسة الداخلية والخارجية الأمريكية الا أن ما قدم من أمثلة كافٍ لإعطاء صورة واضحة عن دور هذه الجماعات في النظام السياسي الأمريكي.

الهوامش

- Ronald. J. Hrebenar **Op.CIT**, p. 59. (١)
- IBID, p. 86- (٢)
- John A. Stayer. **American State and Local Government**. (٣)
- 3rd ed. Columbus. Ohio, Abell and Howell Company, 1983, p.236.
- Erwin L. Levine and Elmer E. Cornwell, **OP.CIT**, p. 77 (٤)
- صحيفة الشرق الاوسط، الثلاثاء ١٦/١٢/١٩٨٦م، ص٨. (٥)
- صحيفة الشرق الأوسط ، الأربعاء ٨/٧/١٩٨٧م، ص١٠. (٦)

تقييم عام لمستقبل جماعات الضغط

تقييم عام وخاتمة

لقد كان الهدف الرئيسي من هذا البحث كما هو واضح في المقدمة، إجراء دراسة في طبيعة قيام ومهام المؤسسات الفدرالية الأمريكية الرئيسية والتركيز على الثغرات التي أصبحت ركيزة لانطلاق جماعات الضغط التي تسعى إلى تحقيق مصالحها، ومن خلال هذه الدراسة المبسطة على هذا النظام المعقد اتضحت الثغرات الرئيسية التالية:

- أولاً: لقد كان البناء الأساسي للنظام السياسي الأمريكي وما يشتمل عليه من فصل السلطات الثلاث (التشريعية - التنفيذية - القضائية) إضافة إلى تعدد الإدارات والوكالات التنفيذية، سبباً في وجود بعض الثغرات امام جماعات الضغط وذلك نتيجة إلى تعدد مراكز صنع القرار.
- ثانياً: إن الحقوق الأساسية التي قدمها الدستور الأمريكي للمواطنين ومن ضمنها حق التنظيم أدت إلى انتشار هذه الجماعات في الولايات المتحدة الأمريكية التي حاولت وتحاول الدفاع عن مصالحها أمام النظام السياسي نفسه أو تجاه الجماعات الأخرى المنافسة لها. وهذا يصبح النظام السياسي عاجزاً أحياناً عن اتخاذ أي إجراء يحد من قيام هذه الجماعات المنظمة مادام الدستور كفل لها ذلك.
- ثالثاً: لقد كان هدف الديمقراطية الرئيسي تحقيق المساواة السياسية بين

المواطنين، ولكن اتضح عكس ذلك، إذ أصبحت هناك في الواقع أغلبية وأقلية والتي جعلت كثير من الأقليات أو الجماعات الصغيرة تسعى إلى التكتل ومن ثم محاولة تحقيق المساواة السياسية مع الجماعات النشطة في النظام السياسي والتي غالباً ما تسعى إلى تحقيق مصالحها الضيقة على حساب المصلحة العامة. رابعاً: إن طرق انتخاب المسؤولين في الحكومة الأمريكية ومددها الطويلة وماتطلبه من تكاليف باهظة فتح المجال أمام جماعات الضغط لكي تعرض خدماتها وتقدم دعمها للمرشحين خصوصاً أولئك الذين لا يملكون مصادر مالية لتمول حملاتهم الانتخابية.

خامساً: إن ما يملكه الكونجرس الأمريكي والسلطة التنفيذية من سلطات واسعة سواء في الشؤون الداخلية أو الخارجية أدى إلى زيادة الضغط على أعضاء هاتين السلطتين، خصوصاً وأن انتخابها يتم من قبل الشعب، ويعاد انتخابها بواسطة أيضاً. لذلك فمن المنطق بأن تهتم هاتين السلطتين بمطالب الشعب والذي يتكون من جماعات ومنظمات متعددة.

سادساً: إن حق النقض (الفيتو) الذي يملكه الرئيس الأمريكي، وحق الاعتراض الذي يملكه الكونجرس الأمريكي جعل كثيراً من الجماعات تركز على هاتين السلطتين مما أدى إلى كثرة استخدام هذا الحق في النظام السياسي الأمريكي مما نتج عنه عادة تعطيل القرارات الأساسية المراد اتخاذها. لقد حظى دور هذه الجماعات بالانتقاد الشديد منذ القدم، سواء كان هذا من قبل دارسي العلوم السياسية أو من قبل المسؤولين أنفسهم. ومن بين الذين انتقدوا هذه الجماعات (الرئيس ماديسون ١٨٠٩ - ١٨١٧)، حيث قال في الأوراق الفدرالية بأن المصالح هي أساس كل الخلافات السياسية، فنجاح أي جماعة ما بالتأثير على السياسة العامة سعياً وراء تحقيق مصالحها الأنانية سيكون على حساب المصلحة العامة، لذلك فلا جيمز ماديسون ولا أي سياسي آخر يستطيع أن يعرف معنى المصالح التي ترضى الشعب). (*)

سابعاً: من خلال ماتقدم من عرض لسلطات الكونجرس الأمريكي وعلاقاته

(*) John A. Stayer. OP.CIT. p. 241.

بكل من السلطه التنفيذية والسلطة القضائية، يتضح ان هناك ثغرات كثيرة يمكن استغلالها من كل جماعة تهدف لتحقيق مصالحها. فإن كانت مصالحها موجوده لدى السلطه التنفيذية فهي تمارس الضغط على الكونجرس لكي يستخدم سلطاته وصلاحياته تجاه السلطة التنفيذية من أجل أن تتخلى عن مواقفها تجاه مصالح هذه الجماعات .. ومن الامثلة الاضافية على ذلك ما قامت وتقوم به الجماعات الموالية لاسرائيل بالضغط على الكونجرس لكي يرفض أي صفقة سلاح مقدمه للدول العربية ... في الوقت الذي تقوم هذه الجماعات بممارسة نفس الضغوط على الكونجرس ليزيد من دعمه السياسي والإقتصادي والعسكري لاسرائيل.

— **ثامناً:** بالنظر إلى العلاقات القائمة بين السلطات الثلاث نتيجة لتطور النظام السياسي الأمريكي على مدى السنين فإن تأثير السلطة التنفيذية على هاتين السلطتين أمر واقع ولا يقبل الجدل، ومن الأمثلة على قدرة السلطة التنفيذية في التأثير على السلطة القضائية إعطاء الدستور الأمريكي للرئيس الأمريكي حق تعيين القضاة في المحكمة العليا والتي تحافظ على الفصل بين السلطات. ولا شك ان الخلل يبرز كذلك من خلال قدرة الرئيس على احواله أي قاضي في المحكمة العليا إلى التقاعد عند بلوغ السبعين من العمر، ولقد أصبح الرؤساء الأمريكيين يستغلون هذه الحقوق لتعيين قضاة موالين لهم أو متفقين معهم سياسياً أو فكرياً. وبصرف النظر عن موافقة أو رفض الكونجرس على ترشيح القضاة، فلقد اثبتت التجارب ان الرئيس يصل إلى ما يود إليه في معظم الأحيان.

— **تاسعاً:** لقد أوضحت هذه الدراسة في مختلف أبعادها أن جماعات الضغط والمصالح كانت وماتزال قادرة على التأثير على القوانين والسياسات الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الأمريكية. وإذا كان الإنطباع العام عن قدرة اللوبي الصهيوني على التأثير على السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية قد أصبح واضحاً بالنظر إلى العلاقات الأمريكية السوفيتية (التشديد على هجرة اليهود الروس) أو بالنظر إلى موقف الولايات المتحدة من تأييدها لاسرائيل في

النزاع العربي الاسرائيلي، فإن من الواضح كذلك أن بعض الجماعات الأخرى مثل الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية قد استطاعت التأثير على السياسات الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية سواء كانت الدوافع خاصة بها أو تشارك في هذا الصدد مع جماعات أخرى لا تمت إلى أسس تنظيمها بصلة أياً كانت. ويكفي في هذا الصدد ان نسوق مثلاً آخر على قدرة الجماعات الأخرى في هذا المجال وهو أمر يدعم الهدف الأساسي من هذا البحث. لقد استطاعت مؤخراً جماعات المزارعين وبالرغم من محاولات الرئيس ريجان والكونجرس الأمريكي معالجة العجز الهائل في الميزانية الفدرالية، استطاعت هذه الجماعة أن تحصل على ٤ بليون دولار من ميزانية الولايات المتحدة لعام ١٩٨٨ كدعم لأعضائها دون مقابل وهو أمر تم على حساب الكثير من المؤسسات الأخرى والتي اقتطعت منها مخصصات كبيرة بصرف النظر عن كونها مؤسسات دفاعية، اقتصادية أو اجتماعية^(*).

ومن خلال ماتقدم يتضح أن مشكلة جماعات الضغط في النظام السياسي الأمريكي معقدة جداً لكونها شملت النظام السياسي ككل، ولذلك لن تكون هناك حلول لهذه المشكلة، الابتشديد الرقابة على هذه الجماعات وإصدار قوانين جديدة بالرغم من قوانين عام ١٩٤٦ و ١٩٧٤م، التي حاولت حث هذه الجماعات على تسجيل ماتقوم به من نشاط خلال الانتخابات والافصح عن الدعم الذي تقدمه لأي من المرشحين.

إن مشكلة جماعات الضغط والمصالح ستبقى قائمة مادام النظام السياسي الأمريكي على حاله، يتصل بها ولايستطيع من ثنها دستورياً. وإلى أن تسنح الظروف السياسية والدستورية لوضع الحلول الجذرية، فستبقى هذه الجماعات ناجحة تستطيع تحقيق مصالحها ومستمرة في تأثيرها على حياة المواطن الأمريكي ومصالح دولته المختلفة.

(*) Saudi Gazette, 8/1/1988

المراجع

الكتب العربية:

- جان مينو، الجماعات الضاغطة، ترجمة بهيج شعبان. بيروت: دار منشورات عويدات، ١٩٧١.
- د. حسن احمد سيد اسماعيل، النظام السياسي للولايات المتحدة الامريكية وانجلترا. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٧
- د. رأفت غنيمي الشيخ. امريكا والعلاقات الدولية. القاهرة: عالم الكتب.
- د. عثمان الرواف وآخرون. ملادي علم السياسة. عمان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.
- ماكس سيكد مور. كيف تحكم امريكا، ترجمة د. نظمي لوقا. القاهرة: مطبوعات كتابي، ١٩٨١.
- د. محمود عاطف البنا. النظم السياسية. القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٧٩.
- د. هاله ابوبكر سعودي. السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣.
- د. هوارد بينيمان. الجهاز السياسي الأمريكي، ترجمة د. وايت ابراهيم. القاهرة: مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٢.
- د. يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٩.

الكتب الاجنبية:

- Diclerico E. Robert. **The American President**. 2nd Edition. Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, Inc , 1969
- Ehrmann W. Henry. **Interest Groups International Encyclopedia of the Social Science**, VII.
- Grant R. Alan. **The American political process**. London: Hienman, 1972.
- Hall K. Donald. **The power of pressure**. Tucson: University of Arizona Press, 1969.
- Hrebenar J. Ronald Ruth K. Scott. **Interest Group politics in America**. Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice- Hall, 1982.
- Jr. Key. V. O. **Politics, Parties, and Pressure Groups**. New York: Thomas V. Cornwall Company, 1985.

Levine. Erwin & Elmer E. Cornwell. **An Introduction to American Government**. 4th ed. New York: Macmillan Publishing Co., 1975.

Funk and Wagnalls Encyclopedia: the United States. Vol. 24. Chicago: Randy McNally.

Milbrath. Lester. **The Washington Lobbyists**. Chicago: McNally, 1963.

Plano C. Jack. Milton Green Berg. **The American political Dictionary**. 2nd ed. New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc, 1967.

Staayer, A. John . **American State and Local Government**. 3rd ed. Columbus, Ohio: Abell and Howell Company, 1983.

Zeigler, Harmon, G. Wayne peak. **Interest Groups in American Society**. Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, 1972.

الصحف – اللغة العربية:

الشرق الاوسط (السعودية) ١٩٨٦/١٢/١٦

١٩٨٧/١/٨

القبس (الكويت) ١٩٨٧/٧/٣

الصحف – اللغة الانجليزية:

Arab News. K.S.A. 8/10/1987

New York Times. U.S.A. 1/9/1987

Saudi Gazette. K.S.A. 31/10/1987

Saudi Gazette. K.S.A. 8/1/1988

Washington post U.S.A. 16/9/1987

معضلات التغيير والثبات
في السياسة الخارجية
للولايات المتحدة الأمريكية

١٩٤٥ - ١٩٨٨ م

**معضلات التغير والثبات في السياسة الخارجية
للولايات المتحدة الأمريكية**

١٩٤٥ - ١٩٨٨ م

**إشراف الدكتور
محمود حسن خليل**

**إعداد الدارس
عبد الله عبد الرحمن العويفير**

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد :

إن الباحث في فروع العلوم السياسية يجد نفسه أمام مسائل متعددة لاختيار إحداها موضوعاً له، ومن خلال هذا المنظور وضعت عدة حدود واعتبارات لاختيار البحث وفي مقدمتها أن تكون في نطاق تخصصي الأكاديمي، وذات صلة بطبيعة مهنتي، وأن تسهم بشيء يفيد النطاقين السابقين .

على ضوء الاعتبارات السابقة، ومن إثارة سؤال من أستاذي الدكتور / **الأمير تركي بن محمد بن سعود الكبير** في محاضراته الأولى لمادة علم السياسة ببرنامج دبلوم الدراسات الدبلوماسية عن كيفية وصف السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى العبارة التي ترددها وسائل الإعلام، (**فقدان المصداقية**) عندما تنتهج الولايات المتحدة الأمريكية نهجاً محدداً تجاه القضايا الدولية. بدأت ملامح البحث تبرز في الوجود حتى استقرت على الصيغة التالية: **معضلات التغير والثبات في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.**

يقوم هذا البحث على الفرضية التالية: (هناك أشياء ثابتة ومستمرة في السياسة الخارجية وهناك أشياء متغيرة بطبيعتها. لكن المعضلة تكمن في عملية الانتقال من الثبات إلى التغير والعكس، من التغير إلى الثبات .

إن كل دراسة تتناول السياسة الخارجية يجب أن تحتوي على الأركان الثلاثة التالية :-

١ - التاريخ السياسي لسياسة البلد الخارجية المعنى بالدراسة.

٢ - النظام الدستوري ومراكز صنع القرار.

٣ - مضمون السياسة الخارجية من حيث الأهداف والوسائل.

لذا فإنني وضعت كل واحد من هذه الأركان في باب مستقل، ومن ثم قسمتها إلى فصول ومباحث على أسس موضوعية.

قد يتساءل البعض، لماذا لم يحصر أو يحدد نطاق البحث في موضوع من موضوعات السياسة الخارجية مثلاً في نطاق صنع القرار، أو في الأهداف، أو الوسائل، أو حتى في وسيلة واحدة وهلم جرا بحجة أنه كلما ضاق نطاق البحث من حيث الزمان، أو المكان أو المجال واقتصر على متغيرين، كلما كان أكثر عمقاً ودقة...

في بادئ الأمر يمكن الحكم بصواب هذا، ولكن من خلال دراستنا للعلوم الاجتماعية بصفة عامة والسياسة والاقتصادية بصفة خاصة، تبين أن عملية الفصل والتحديد للنطاق ماهي إلا طريقة نظرية بحثية، من أجل تسهيل الدراسة، لاتخدم صانع قرار أو منفذه، لذلك فإن إغفال متغيرات سواء كانت اقتصادية أو سياسية عند الدراسة يمثل نوعاً من التحديد المخل، لمثل هذه المسائل، طالما أن موضوعاتها مترابطة ومتداخلة.

أننا عند تعاملنا مع السياسة الخارجية الأمريكية، فإننا نتعامل معها ككل وليس من خلال تصور جزئي، وبالتالي فإن طبيعة تلك المواضيع تستوجب الدراسة المتكاملة.

كذلك نجد طبيعة هذا الموضوع تملي ذلك التكامل وهي
معضلات التغيير والثبات، ففي حالة حصرها في أحد
موضوعات السياسة الخارجية، (أهداف، وسائل، صنع
قرار... الخ) فإنه بالتالي يرتب دراسة قاصرة النتائج أيضاً
طبيعة السياسة الخارجية (الأهداف الأدوات...) لا يمكن
فصلها إلا من الناحية النظرية فمثلاً: الدبلوماسية
والمساعدات الاقتصادية والدعاية الإعلامية يمكن
استخدامها في آن واحد، كما يمكن استخدام أداتين أيضاً،
فالقوة العسكرية تسند الدبلوماسية في المفاوضات، وكذلك
بالنسبة للأهداف التي تقسم حسب أولويات معينة، باعتبار
أن الأهداف مكملة لبعضها البعض. ومن النتائج الخاطئة
التي تتمخض عن تلك الدراسات التي تعتمد على الفصل
قياس سلوك دولة ما بتصويتها في منظمة دولية، حيث نجد
في الغالب أن هناك توافقاً في الآراء بين دولتين حول مجموعة
قضايا وفي المقابل لانجد علاقة بين تلك الدولتين سواء
دبلوماسية أو غيرها.

وأخيراً ورغم أن هذا العصر يسمى عصر التخصص،
فإننا نجد أن ممارس مهنة الدبلوماسية يسير في الاتجاه
المعاكس حيث أصبح من واجب الدبلوماسي الإلمام الكافي في
كافة الجوانب والميادين السياسية والاقتصادية
والاجتماعية والدولية وغيرها والتعامل مع الكم الهائل من
المتغيرات، بخلاف الباحث الأكاديمي الذي يعتني بسبر
غور جانب واحد بعينه.

وإننا من هذه الدراسة نهدف إلى:
أولاً : البحث عن الغموض الذي يكتنف السياسة
الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية من خلال التغيير
والثبات فيها.

ثانياً : تحديد مواطن التغير والثبات في السياسة الخارجية الأمريكية.

ثالثاً : إزالة المفاهيم الخاطئة التي تحصر السياسة الخارجية في السلطة التنفيذية، أو المفهوم الخاطيء الآخر الذي يرى أن السياسة الخارجية تتمثل في إحدى أدواتها.

والجدير بالذكر أننا قد استخدمنا عدداً من مناهج البحث، كل فيما يناسبه حيث اعتمدنا على المنهج التاريخي، في الباب الأول من خلال استقراء وفهم الحقائق، أما الباب الثاني فقد تناولناه بالمنهج المؤسسي المعروف بالمنهج الموضوعي لدراسة البنيات السياسية، ثم المنهج السلوكي في تصرفات القادة، ومنهج تحليل المضمون في دراسة مذكرات وكتابات الأشخاص المؤثرين في السياسة الأمريكية. أما الباب الأخير فقد استخدمنا فيه المنهج التحليلي من خلال إثارة التساؤلات والحجج واستنباط العوامل التي تؤثر في العضلات السياسية الخارجية.

بالنسبة للدراسات السابقة فإننا لا نبالغ إذا قلنا بأنه يندر وجود دراسات المشكلة التي نحن بصددنا بالأسلوب المنهجي الذي اتبعناه، ومن أهمها كتاب (مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية) للدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق حيث تعرض لأهم المشكلات الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية، والتي تتلخص في :-

- (أ) مشكلة نظام الحكم.
- (ب) حدود ثنائية الأقطاب.
- (ج) تعدد أقطاب السياسة.
- (د) ثنائية الأقطاب وتعددتها.
- (هـ) تفسير مفهوم المصلحة الأمريكية.

وهذه المشكلات يمكن اعتبارها أدوات تغيير في السياسة الخارجية من ناحية المضمون (الأهداف والوسائل) إلا أن هذه الدراسة القيمة قد أغفلت ركيزتين أساسيتين هما الجانب التاريخي والنظام الدستوري ومراكز صنع القرار، وهذا ما أدركناه في هذا البحث.

وقبل أن نختم هذه المقدمة نستبيح العذر فيما يشوب هذه الدراسة من قصور غير متعمد، مرده عدة أمور من بينها الطريقة المستخدمة في البحث والتي تركز على محاولة الإلمام بكافة المتغيرات الأساسية الخارجية بقدر المستطاع، حتى نخرج بنتائج منطقية سليمة إضافة إلى عقبة المراجع وهنا لا تكمن العقبة في محدوديتها، وإنما في كثرتها حيث يستلزم من الباحث الإطلاع عليها كافة، ليحصل على ماتوصلت إليه من نتائج ومن ثم تقويم هذه المراجع من حيث موضوعيتها وعلميتها، حتى يمكن الاستناد عليها، حيث استغرقت هذه العملية مايقارب السنتين.

وفي الختام نشكر إدارة معهد الدراسات الدبلوماسية على إتاحتها لنا الكتابة في هذا الموضوع، كما أود أن أشكر كل من قدم لنا نصيحة، أو أمدنا بمعلومة أو يسر لنا مهمة الحصول عليها، وأخص بالشكر كل من أستاذي الفاضل الدكتور/ اسماعيل محمد دعيس أستاذ الاقتصاد بالمعهد على ماقدمه لي من معلومات عن موضوع المساعدات الخارجية، وأستاذي الفاضل الدكتور/ محمود حسن خليل الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث والذي كان لتوجيهاته الدقيقة وإرشاداته القيمة الدور الأساسي في إبراز هذا البحث على هذا المستوى، وأستاذي الفاضل الدكتور/ عبد الله سعود القباع على ملاحظاته القيمة.

الباب الأول

التاريخ السياسي للولايات المتحدة الأمريكية (١٩٤٥ - ١٩٨٨م)

تعتبر الناحية التاريخية ركنًا من أركان دراسة السياسة الخارجية. فالتاريخ هو جذور السياسة، والسياسة ثمار التاريخ، لهذا جعل الباب الأول انطلاقة من الجذور التي من خلالها نستقرئ ما حدث حتى يرشدنا إلى تفسير ما يحدث.

ويبدأ التاريخ السياسي للولايات المتحدة الأمريكية منذ إعلان الاستقلال (١٧٧٦م)، أي منذ ٢١٢ سنة، مرت خلالها بأربع مراحل تاريخية هي:

- ١ - مرحلة العزلة، ابتداء بخطبة الوداع للرئيس الأمريكي جورج واشنطن ومرورًا بمبدأ مونرو لعام ١٨٢٣ إلى الحرب العالمية الأولى.
- ٢ - مرحلة كسر العزلة وهي دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م.
- ٣ - مرحلة العودة إلى العزلة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.
- ٤ - مرحلة الخروج من العزلة بعد الحرب العالمية الثانية.

ولعل الذي يعيننا في هذا البحث هو المرحلة الرابعة أي ما بعد الحرب العالمية الثانية. ومن أجل تسهيل دراسة تلك المرحلة، فقد قسمت إلى خمس فترات ووفقًا لمعايير عديدة منها التقسيم الذي يتمشى مع تطور السياسة الدولية، وما يتوافق مع المستجدات الدولية مثل نشوء الأحلاف والتكتلات... الخ والأزمات، والاكتشافات، إضافة إلى تزامنها مع التغيرات في منصب الرئاسة الأمريكية، ونوعية الأحزاب المسيطرة... الخ.

وسناقش كل مرحلة في إطارين:

الأول: يناقش دور الولايات المتحدة في متغيرات السياسة الدولية.

الثاني: يناقش انعكاس متغيرات السياسة الدولية على السياسة الخارجية الأمريكية، مع ربط كافة جوانب التأثير والمسببات مع بعضها البعض.

الفترة الأولى (١٩٤٥م - ١٩٥٤م) مرحلة العداء

شهد المنتظم الدولي في أعقاب الحرب العالمية الثانية نظامًا دوليًا جديدًا. فقد برزت معالم جديدة منها انتقال مركز القوة من أوروبا إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية، واتحاد جمهوريات السوفيت الاشتراكية بفعل اسهامها في تلك الحرب، وماترتب على ذلك من آثار سلبية للدول الأوروبية من ضعف في قوتها العسكرية والاقتصادية، إضافة إلى جملة عوامل، أيديولوجية وتكنولوجية واستراتيجية.. الخ، ساعدت على توجيه سلوك العملاقين تجاه العالم، والذي يعنينا في هذا المقام بالطبع هو الولايات المتحدة الأمريكية التي خرجت على العالم كأقوى قوة مؤثرة بعد الحرب وقد أفرزت القدرة الأمريكية مجموعة من العوامل التي شكلت سياستها الخارجية.

ومن أهم هذه العوامل التي تغيرت أو استمرت في سياسة الولايات المتحدة وأفرزت جملة من المعضلات والتي نحن بصدد دراستها مايلي: الخروج من العزلة والتحالفات.

المبحث الأول : الخروج من العزلة :

من أولى معضلات السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية من الناحية التاريخية هي خروجها من العزلة الدولية، حيث فرضت على نفسها العزلة قبل الحرب (لشعورها أنها تعيش بعيدًا عن أن يصيبها شيء، وأن عزلتها حماية لها، كما تفصلها عن أوروبا وآسيا محيطان عظيمان هما الأطلنطي في الشرق والهادي في الغرب)^(١). وبالإضافة لموقعها الجغرافي المؤثر في السياسة الخارجية نجد أن العامل العسكري في تلك الفترة لم يفقد أهميته رغم التطور الذي حدث في نوعيته الذرية.

والسؤال المطروح هو : لماذا خرجت الولايات المتحدة الأمريكية من عزلتها بعد انتهاء الحرب رغم الخصائص التي ذكرت آنفًا؟

في الحقيقة هناك إجابة ذات شقين الأول منها يتعامل مع الأسباب الداخلية. والثاني يعكس العوامل الخارجية التي أثرت على سياسات الولايات المتحدة.

المطلب الأول : الأسباب الداخلية :

لقد كان للأزمات التي واجهت العالم والولايات المتحدة على وجه الخصوص في نهاية حقبة العشرينات من هذا القرن، والمتمثل في (الكساد الكبير في الاقتصاد الأمريكي الذي استمر حوالي عشر سنوات منذ سنة ١٩٢٩م، ولم يكن له مثيل في طول مدته وفي الفقر العام الذي انتشر بسببه والمآسي التي أنزلها بالمجتمع، وكان من ناحية أخرى يختلف عن الأزمات السابقة كما كان دليلاً على انهيار نظام توزيع الثروة وتوزيع السلع ومما زاد من حدته أن الحكومة لم تتدخل بحزم لعلاج الكساد)^(٢) إيماناً منها بكفاءة نظام السوق القائم على قوى العرض والطلب حيث (كان من نتائج الكساد زيادة عدد العاطلين زيادة كبيرة وبالتالي زيادة عدد الجائعين، في الوقت الذي انخفضت فيه أسعار المنتجات الزراعية إلى أدنى مستوى شهدته الولايات المتحدة، وإفلاس عشرات المؤسسات التجارية وإغلاق آلاف المصارف أبوابها وانخفاض الدخل القومي إلى النصف، واكتفى الرئيس «هوفر» بالحديث بأن الرخاء على الأبواب مما جعل الشعب الأمريكي يبحث عن خلاص دستوري جاء في شكل إزاحة الحزب الجمهوري بعد انتهاء فترة رئاسة «هوفر» وانتخاب فرانكلين روزفلت من الحزب الديمقراطي)^(٣).

ومن البديهي أن يكون التصدي لهذه الأزمة من أولويات عمل هذه الحكومة الجديدة، ففي تلك الفترة لم تبرز ملامح الحرب العالمية الثانية بعد، ونظراً لما يتمتع به روزفلت من صفات قيادية فقد سعى إلى تنفيذ برنامجه المعروف «برنامج حكومي جديد» «New Deal» والذي أسهم في خروج الولايات المتحدة من عزلتها السابقة. ولم يكن الهدف من ذلك البرنامج علاج المشكلة الاقتصادية فقط بل كان له مغزاً سياسياً أيضاً حيث تقوم اتجاهاته السياسية على تعزيز الأمن القومي والمحافظة على حرية الملاحة في البحار العالمية، وتوطيد دعائم القانون والأمن في الداخل إلى جانب العمل على تأييد الديمقراطيات في العالم الغربي، بينما كانت اتجاهاته الاقتصادية تعمل على ضرورة تقديم المساعدة للمحتاجين من العاطلين والجائعين والقيام بإصلاحات تعالج الكساد الذي تمكن من الحياة الأمريكية)^(٤).

ويلاحظ أن هذه التوجهات (السياسية) قد استمرت حتى بعد وفاة روزفلت مثل المحافظة على حرية البحار العالمية وتأييد الديمقراطيات في العالم الغربي، والتي أصبحت بمثابة أسس للسياسة الخارجية الأمريكية. ولقد أثمر هذا البرنامج الإصلاحي في علاج الكثير من مشكلات الكساد الاقتصادي الذي عانت منه الولايات المتحدة الأمريكية فتمثل في (فتح عمل للمتطلين، وصرف إعانات مالية لهم، ومساعدة كل المؤسسات المتعثرة في نشاطها إلى جانب طرح قروض فدرالية، أمدت الحكومة ببلايين الدولارات وخفض قيمة الدولار بهدف رفع أسعار المنتجات الزراعية ولكي يكون التضخم معقولاً. وتحقيق الإشراف الحكومي على المصارف والقضاء على احتكار الشركات الكبرى مع زيادة الضرائب على الشركات الاحتكارية)^(٥). وهذا التدخل الحكومي شكل تحولاً جذرياً في الاقتصاد الرأسمالي وأصبحت الحكومة تلعب دوراً كبيراً في الاقتصاد من خلال الانفاق العام وانتهى الدور المحايد للحكومة في النشاط الاقتصادي.

وكما سبق يتبين لنا كيفية إسهام الحكومة في علاج الازمات الاقتصادية. وبالرغم من أهمية هذا التحول بالنسبة للاقتصاديين فإنه لايعنينا كثيراً في هذا المقام، بقدر ما يهمننا أن هذه الأزمة زادت من اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالعالم الخارجي من خلال تنمية التجارة الخارجية لأمريكا^(٦).

المطلب الثاني : الأسباب الخارجية :

وتكمن هذه الأسباب في مسببات الحرب العالمية الثانية حيث نهجت كل من اليابان وإيطاليا وألمانيا النازية سياسات توسعية — فلقد قامت اليابان بغزو منشوريا سنة ١٩٣١، واحتلت إيطاليا كلاً من ليبيا وأثيوبيا في الفترة بين عامي ١٩٣٥، ١٩٣٦م، ومن ثم قام أدولف هتلر بتنظيم حزبه الاشتراكي القومي والاستيلاء على مقاليد الحكم، ثم قام باحتلال منطقة الراين سنة ١٩٣٨م. وبالرغم من الأحداث المتلاحقة والمتمثلة في توسيع نطاق الحرب في القارة الأوروبية، فإن الولايات المتحدة وحتى سنة ١٩٤٠، كانت تأخذ موقف المراقب. وعندما قام اليابانيون في السابع من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٠م بالقاء وابل من القنابل على الأسطول الأمريكي والمنشآت الدفاعية في بيرل هاربور (أعلن الكونجرس في ٨ ديسمبر حالة الحرب مع اليابان، وبعد ثلاثة أيام أعلنت ألمانيا وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة)^(٧) وبعد الانتصارات الأمريكية في المحيط الهادي عام ١٩٤٢م وانتصار

قوات الحلفاء بمساندة الولايات المتحدة وضعت الحرب أوزارها بإلقاء الولايات المتحدة القنبلة الذرية في أغسطس ١٩٤٥ م واستسلام اليابان في سبتمبر ١٩٤٥ م.

والسؤال الذي تبادر إلى الذهن هو : لماذا لم تعد الولايات المتحدة إلى عزلتها كما فعلت في الحرب العالمية الأولى؟

يبين هانس مورجانثو (Hans Morgenthau) في الفصل الخاص بالسياسة الخارجية الأمريكية^(٨) أن أحوال العالم بعد الحرب العالمية الثانية لم تكن كأحواله بعد الحرب العالمية الأولى. ولم تستشعر الولايات المتحدة اختلاف هذه الأحوال بوضوح في أول الأمر. ولذلك فقد ترددت قبل أن تسلك السلوك الجديد الذي يميله عليها تغير الأحوال، ودام التردد أشهرًا بعد انتهاء الحرب حتى ظهر لها أن أوروبا في حالة من وهن لا تسمح لها بمواجهة الخطر السوفيتي بمفردها. أصبح حلفاء أمس أعداء اليوم – ويضيف هانس مورجانثو أن السبب الثاني هو سقوط الصين سنة ١٩٤٨ م في أيدي الشيوعيين، وباتت قوة تشيانج كاي تشيك هي القوة الوحيدة المجابهة للتوسع الشيوعي. مما حدى الولايات المتحدة أن تأخذ على عاتقها التزامات دفاعية في آسيا مماثلة لالتزاماتها في أوروبا، وينتهي مورجان ثو إلى القول بأنه أصبح للسياسة الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٤٧ م نمطها الجديد وتجلى هذا النمط في أربعة أنماط سياسية: مبدأ ترومان، ومبدأ حصر الخطر الشيوعي، ومشروع مارشال، ونظام المحالفات الأمريكية وأضيف لهذه الأنماط الأربعة في الخمسينات مبدأ المساعدات الخارجية، ومبدأ تحرير الشعوب الخاضعة للشيوعية.

إن هذه الأنماط كما يسميها مورجانثو تعتبر تحولات وتغيرات في السياسة الخارجية الأمريكية إضافة إلى ما سبق ذكره عن الخروج من العزلة وما سيذكر في الفصول القادمة، وسنناقش في المبحث القادم المعضلة الثانية وهي التحالفات وتضم في إطارها مبدأ الحصر «الإحتواء». أما بقية المبادئ فسوف نتناولها عند مناقشة الباب الثالث.

المبحث الثاني : التحالفات :

(خلال المائة وخمسين سنة من تاريخنا، غالبًا ما كان يقال بأن الرئيس كان يرتدي أربع قبعات كرئيس للدولة، ورئيس للحكومة، وكقائد أعلى للقوات المسلحة، وكزعيم لحزبه السياسي، ومنذ الحرب العالمية الثانية أخذ الرئيس يرتدي قبعة خامسة أي قبعة زعيم للعالم الحر)^(٩).

إن المقولة السابقة تلخص التغير الذي حدث في السياسة الخارجية الأمريكية والمتمثل في المحالفات والتي تعد نهجًا جديدًا، ففي سابق عهدها كانت المحالفات مقصورة على فترات الحروب كما حدث في الحرب العالمية الأولى، وفي الحرب العالمية الثانية. لكن السياسة الجديدة تعدت فترة الحرب إلى ما بعدها. ورغم بروز الولايات المتحدة كقوة أولى في العالم بعد الحرب العالمية الثانية، فإن هذه الهيمنة لم تدفعها إلى اتباع سياسات التحالف، والسؤال إذاً ما هي الأسباب التي دفعتها إلى تلك السياسات؟

من خلال استقراء التاريخ الذي أنشئ فيه التحالف العسكري بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية والمتمثل في الناتو NATO سنة ١٩٤٩م نجد بعض العوامل التي تفسر لنا ذلك.

بالنسبة للخطر الشيوعي، فإن وجوده منذ الثورة البلشفية ١٩١٧م لم يؤدي إلى الدخول في تحالفات وإنما اقتصرت الوسائل على محاربته إعلاميًا، اعتقادًا من الغرب أن هذه الأيديولوجية ستقف عند حدود الإتحاد السوفيتي، لكن الأحداث التي هزت الغرب والولايات المتحدة الأمريكية خاصة هي تحول السلطة في الصين إلى أيدي الشيوعيين بقيادة ماوتسي تونغ، إضافة إلى سيطرة الأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية على الحكم.

إن هذه العوامل مجتمعة إضافة إلى ضعف أوروبا في تلك الفترة حدثت بالولايات المتحدة باتباع سياسات تحالفية بعضها استمر إلى الآن وبعضها الآخر تفكك وحلت عوضاً عنها قواعد ثابتة أو متحركة كما سنرى فيما بعد، ومن أهم التحالفات الجماعية :-

- ١ - معاهدة المساعدات المتبادلة بين دول القارة الأمريكية التي عقدت عام ١٩٤٧م والتي تعرف أيضاً بميثاق ريو.
- ٢ - معاهدة شمال الأطلسي والتي عقدت عام ١٩٤٩م والتي أدت إلى قيام منظمة معاهدة شمال الأطلسي (الناتو).
- ٣ - معاهدة الأمن التي عقدت مع استراليا ونيوزلند (الانزوس).
- ٤ - معاهدة منظمة جنوب شرقي آسيا التي عقدت عام ١٩٥٤م (السيو).
- ٥ - حلف بغداد الذي عقد بين تركيا والعراق وإيران والباكستان وبريطانيا العظمى وتحول بعد انسحاب العراق منه سنة ١٩٥٨م إلى الحلف المركزي

(سينتو) ولم تنضم الولايات المتحدة رسميًا لهذا الحلف، ولكنها كانت تؤازره مؤازرة فعالة^(١٠).

٦ - المحالفات الثنائية التي عقدتها الولايات المتحدة الأمريكية مع اليابان، والفلبين، وكوريا الجنوبية، وفيتنام الجنوبية، وجمهورية الصين.

وقبل أن نختتم هذا الفصل يجدر بنا التنبيه إلى أن هذه الحقبة التاريخية شهدت بداية الحرب الباردة بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة حيث كانت الأحلاف التي سبق ذكرها تمثل الترجمة العملية لنظرية الإحتواء التي نظرها جورج كينان^(١١) والتي أخفقت في بلوغ أهدافها كما برهنت الحرب الكورية.

الهوامش

- (١) د. رأفت غنيمي الشيخ. أمريكا والعلاقات الدولية. (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩م) ص ١٢٥.
- (٢) المرجع السابق، ص ١٢٥.
- (٣) المرجع السابق، ص ١٢٥.
- (٤) المرجع السابق، ص ١٢٥.
- (٥) المرجع السابق، ص ١٢٥.
- (٦) لمزيد من التفاصيل راجع :
- وكالة الاتصال الدولي للولايات المتحدة الأمريكية، موجز التاريخ الأمريكي. ١٩٨١، ص ١٣٣
- ١٣٧.
- (٧) المرجع السابق، ص ١٣٩.
- (٨) كينث تومبسون وروى مكريدس. نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها في مناهج السياسة الخارجية لدول العالم، ترجمة د. حسن صعب (دار الكتاب العربي، بيروت) ١٩٦٦، ص ٣٥٣.
- (٩) رتشارد نيكسون. مذكرات الرئيس نيكسون (الحرب الحقيقية). ترجمة د. سهيل زكار (دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٣م) ص ٣٨٣.
- (١٠) كينث تومبسون وروى مكريدس. مرجع سابق، ص ٣٥٧.
- (١١) لمزيد من التفاصيل راجع: د. اسماعيل صبري مقلد. قضايا دولية معاصرة السياسة الدولية من الحرب الباردة إلى الوفاق. (مؤسسة الصباح، الكويت، ١٩٨٠م) ص ١٠.

الفترة الثانية (١٩٥٥ - ١٩٦٢م)

مرحلة التعايش السلمي

في الفصل السابق تبين لنا التغير الذي حدث في السياسة الخارجية الأمريكية والمتمثل في الخروج من العزلة، وتبني الولايات المتحدة الأمريكية زعامة العالم الحر فوضعت على عاتقها مقاومة الشيوعية ومحاصرتها بسلسلة من الأحلاف إيمانًا منها بأن هذه الوسيلة ستحول دون التوسع الشيوعي، ونظرًا لاعتقاد الولايات المتحدة الأمريكية والدول الحليفة لها بصعوبة التعايش بين النظامين الشيوعي والرأسمالي، فإن هذا الاعتقاد انعكس على سلوك الولايات المتحدة تجاه بقية دول العالم.

وفي هذا الفصل نتناول اتجاه آخر في سلوك الخارجية الأمريكية، حيث تجسد هذا الاتجاه في تقليل أو انكسار حدة المجابهة بين المعسكرين، والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا حدث هذا التحول؟ وما هي أسبابه؟ وهل تخلت الولايات المتحدة عن التزاماتها في مقاومة الشيوعية؟.

إن الإجابة على هذه التساؤلات تفرض علينا متابعة ما يحدث في تلك الفترة كما نهجنا في الفصل السابق، وذلك من خلال منظورين في الأول: دور السياسة الدولية، والثاني: دور الولايات المتحدة الأمريكية في هذا التحول.

المبحث الأول : دور السياسة الدولية في ذلك التحول :

شهدت الساحة الدولية في هذه الفترة العديد من التحولات والأزمات الكفيلة بالتأثير على نهج الدول ومنها الولايات المتحدة بالطبع، وقد نالت هذه التحولات والأزمات قسطًا كبيرًا من البحث والدراسة. ورغم كثرتها فإنها جاءت متقاربة إلى حد كبير، فالدكتور

اسماعيل صبري مقلد^(١) يربط هذه التحولات في السياسة الخارجية بعدة متغيرات من أهمها المتغير التكنولوجي، القطبية الثنائية، المتغير الدعائي، والعامل الأيديولوجي. ويقول في هذا الصدد بالنسبة للمتغير التكنولوجي، أن تأثير هذا المتغير بدأ يتنامى وتتضح خطورته الدولية منذ منتصف الخمسينات، وقد حدثت هذه الطفرة السريعة في أهمية العوامل التكنولوجية كنتاج مباشر لإختراع القنابل الهيدروجينية وغيرها من الأسلحة النووية المتطورة^(٢) حتى وصلت هذه الاختراعات في نهاية هذه الفترة (١٩٥٥ - ١٩٦٢م) إلى ما يسمى بالتعادل النووي التقريبي بين القوتين الأمريكية والسوفيتية. ويربط الدكتور مقلد هذا المتغير بالاستراتيجيات التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية مثل نظرية الانتقام الشامل ونظرية الحرب المحدودة ونظرية الاستجابة المرنة، ونظرية القوة المضادة المقيدة.

ونلاحظ أن النظريتين الأخيرتين جاءتا بعد فشل النظريات السابقة من الناحية التطبيقية كما حدث في بعض الحروب والأزمات مثل الحرب الكورية ١٩٥٠ - ١٩٥٣م والتي أثبتت فشل تطبيق نظرية الإحتواء، كما فشلت تطبيقات نظرية الإنتقام الشامل في حرب الهند الصينية سنة ١٩٥٤م في عهد الرئيس أيزنهاور، وكذلك فشلت نظرية الحرب المحدودة (نووية) بسبب قدرة الطرف الآخر على الرد.

هذا الفشل المتوالي أحدث نوعًا من التغير في نهج السياسة الخارجية الأمريكية من التصلب إلى المرونة في المفاوضات وقد صاحب هذا أيضًا المنهج السلوكي تغيرًا دوليًا يتمثل في إعلان خرتشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي سنة ١٩٥٦م سياسة التعايش السلمي. إضافة إلى بروز حركات التحرير الوطني في دول العالم الثالث. وتزامنت هذه الحركات مع بروز حركة عدم الإنحياز سنة ١٩٥٥م في مؤتمر باندونغ، والذي شكل ردة فعل قوية في الولايات المتحدة تولد عنها ما يعرف بسياسة حافة الهاوية.

وبالرغم من هذه التحولات التي تشكل مرونة في التعامل مع المستجدات الدولية فإن بعض مواقف التصلب في الخارجية الأمريكية كثيرًا ما كانت تظهر وخصوصًا بعد مجيء الحزب الديمقراطي للرئاسة بزعامة جون كنيدي كأزمتي الصواريخ وخليج الخنازير الكوبية.

المبحث الثاني : دور الولايات المتحدة في التحول :

لقد تبين في المبحث السابق كيف أن معطيات السياسة الدولية أثرت في سلوك الولايات المتحدة الخارجي، أما بالولايات المتحدة، فقد كانت تحاول في بداية الأمر مقاومة تلك المستجدات من خلال تنظير الساسة والمفكرين وعبر الإستراتيجيات التي اتبعتها، وفي هذا الصدد يقول وزير الخارجية الأمريكي دين راسك في خطبته التي ألقاها بجامعة تينيسي بنو كسفيل بولاية تينيسي في ١٧ مايو ١٩٦٢م في الحلقة الدراسية السنوية الثانية لمعالجة موضوع الحكومة والأزمة العالمية (٣).

«أنا نعيش في عصر تضغط فيه عدة قوى ضخمة أحياناً من أجل التغير ومن بين هذه القوى الضاغطة قوة المعرفة العلمية التي تتوسع بمعدل لانهاية له. أنا نتعلم في وقت واحد الأسرار التي يمكن أن تؤدي إلى حياة رغدة وإلى الدمار الشامل في نفس الوقت. ويضيف دين راسك إلى أن هناك ثلاث قوى مع هذا التغير العلمي – تتفاعل مع بعضها البعض لتقرر أننا نعيش في عصر تجدد الأزمات – وأولى هذه القوى وأقدمها هي ثورة الحرية والثانية هي ثورة العسف والإرهاب المضادة التي تستهدف القضاء على الحرية والثورة الثالثة هي ثورة التقدم، ويخلص في خطبته إلى أن مرد الأزمات التي حدثت في العشر سنوات الماضية – قبل سنة ١٩٦٢م – كانت بفعل تلك القوى التي ذكرت آنفاً باستثناء أزمة برلين. ونستشف مما سبق أن التزام الولايات المتحدة بالمبادئ التي تنادي بها تشكل إلى حد كبير قوة ضاغطة في صياغة سياستها الخارجية.

وفي موضع آخر يقول دين راسك (٤) (أن التغيرات واقعة لا محالة فهي أمر لا جدال فيه، ولا يمكننا أن نقف منها موقفًا سلبيًا وإلا فإننا سوف نفقد حريتنا وليس في ميسورنا كذلك أن ندافع عن الأوضاع الراهنة لأننا نرى ويرى معنا الكثيرون أن الأوضاع الراهنة غير محتملة. إن التغير واقع لا محالة ولكن علينا أن نساعد في السيطرة على ذلك وأن نساهم في صنع التاريخ الذي لا بد أن يصنع هناك). أيضًا يبرز هذا التحول من خلال اقتناع الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي بمخاطر الإنزلاق في استخدام الأسلحة النووية، وماترتب على ذلك من تعمق الإحساس بالمسؤولية نحو ضرورة احتواء الصراعات المسلحة، والحيلولة دون اندلاع حرب نووية، وقد أظهرت حرب السويس ١٩٥٦م وأزمة برلين ١٩٥٨، ١٩٦١م وأزمة الصواريخ في كوبا سنة ١٩٦٢م ضرورة الإتجاه إلى تفادي مخاطر الإنزلاق العسكري والبحث عن وسائل أكثر مرونة في التعامل مع الوقائع الدولية.

وتشكل دراسة الموقف منعطفًا جديدًا في القرار الأمريكي. فالتصلب الدولي يتتبع سياسة أمريكية أكثر مرونة (حرب فيتنام) على سبيل المثال. كما أن التصلب الأمريكي يؤدي إلى مرونة في الإستجابة الدولية (أزمة الصواريخ الكوبية). وتجدر الإشارة في خاتمة هذا الفصل لقوة تأثير السياسات الدولية التي تفوق تأثير الولايات المتحدة في ذلك التحول من الصلابة إلى المرونة في التعامل مع المواجهات أو بمعنى أصح، أن التأثير يكمن في مستجدات السياسة الدولية والإستجابة في دور الولايات المتحدة.

الهوامش

- (١) د. اسماعيل صبري مقلد. قضايا دولية معاصرة، مرجع سابق، ص ص ٢٨٠ - ٢٨٩.
- (٢) اطلق الاتحاد السوفيتي أول تجربة بالنسبة للصواريخ العابرة للقارات سنة ١٩٥٧م.
- (٣) دين راسك. أضواء على سياسة امريكا الخارجية. ٠٠ ترجمة محمد سعيد سلامة. (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٣م) ص ٥٢.
- (٤) المرجع السابق. ص ٨٩.

المرحلة الثالثة (١٩٦٣ - ١٩٦٨م)

الإنفراج

في الفصل السابق تبين لنا مدى التغير في السياسة الخارجية الأمريكية وخصوصًا فيما يتعلق بالإتحاد السوفيتي^(١). ورغم ذلك التغير فإن التوتر كان يشكل الجانب الأكبر في علاقات القطبين، وفي هذه المرحلة تطورت العلاقات إلى مرحلة جديدة عرفت بما يسمى بالإنفراج، وبمعنى أصح الإتجاه نحو الإنفراج. والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا حدث هذا التحول؟ إن تحليل هذه المرحلة يلزمنا بداية بتوضيح مفهوم الإنفراج وذلك لاختلاف مفهومه وطبيعته. ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى غموض المفهوم، وعلى وجه العموم يمكن إجمال هذا الخلاف في مدرستين للتعريف:

المدرسة الأولى : وترى أن الإنفراج مفهوم مرادف للوفاق وبالتالي فهو يطلق أيضًا على المرحلة اللاحقة من هذه العلاقات بين القطبين.

والمدرسة الثانية : ترى أن المفهومين مختلفين (الإنفراج - الوفاق) وأن حدوثها كان متتابعًا، ومن الذين ينتهجون ذلك د. اسماعيل صبري مقلد.

وقبل أن ندلي برأينا في المدرستين أود الإشارة بما قاله الرئيس نيكسون بهذا الصدد حيث يقول: (إن الجزء الأكبر من معارضة الإنفراج ينشأ من سوء فهم ماهو الإنفراج وما ليس هو، فالإنفراج ليس اتفاقًا لأن الإتفاق تحالف بين بلدان ذات مصالح مشتركة. أما الإنفراج فتفاهم بين دول ذات مصالح مختلفة وكذلك هي الحالة القائمة بين الولايات المتحدة وروسيا، إذ أننا نختلف بطريقة أساسية كبيرة عن الإتحاد السوفيتي ومصالحنا تتعارض بمعظمها أساسًا مع مصالحه وستظل كذلك في المستقبل)^(٢).

وفي موضع آخر حاول الرئيس نيكسون تفسير ذلك المفهوم فقال (ماعنيته بالإنفراج لم يشكل بديلاً عن الحرب الباردة فالإنفراج والحرب الباردة أساساً بديلين عن الحرب الساخنة والحرب النووية على وجه التحديد. إن الغاية الحقيقية للإنفراج هي محاولة تفادي الحرب النووية، لكن الإنفراج وحده لن يؤدي إلى تفادي تلك الحرب، فالقوة القادرة لدى الولايات المتحدة غايتها الحفاظ على التوازن النووي، وإن إظهار مقدرة الولايات المتحدة وتصميمها على رد العدوان السوفيتي يشكلان أمران لامناس منها لتحقيق الغرض)^(٣).

بالنسبة لرأينا في هذا الموضوع فإن التحليل الأساسي يعتمد أولاً على تحديد مفاهيم كل من الإنفراج والوفاق ومن ثم ترجيح الرأي الصائب، أن مفهوم الإنفراج Detente يعني (٤) انفراجاً في العلاقات الدولية المتوترة أي أن هناك توترًا في العلاقات حدث لها تغير نحو الأفضل، أما مفهوم الوفاق entent فهو يعني كما أوردها د. مقلد التعاون والتفاهم. ولكنها في الحقيقة مأخوذة من الإتفاق^(٥) بمعنى Agreement أي اتفاق ضد خلاف.

ونخلص إلى القول بأن الرأي الأول غير صائب والذي يعني أن المفهومين مترادفان والرأي الثاني نجده صائباً من حيث التفريق بين المفهومين ولكن فيما يتعلق بمفهوم الوفاق فيه نوع من الغموض حيث يحمل الصواب والخطأ في آن واحد من منظور وجهة الرئيس نيكسون لذلك. فهو صائب من حيث أن المفهوم يعني التعاون والتفاهم، وخاطيء إذا كان يعني الإتفاق. لكن إذا معنا النظر نجد أن ماذهب إليه د. مقلد صائب، لأنه تم اتفاق بالفعل بغض النظر عن المصالح سواء مشتركة أو مختلفة والتي يعتمد عليها الرئيس نيكسون في تحليله السابق.

بعد أن تبين لنا مما سبق الفرق بين المفهومين فإن ذلك سوف يساعدنا على التحليل لهذا الفصل، والذي يليه.

وإجابة على التساؤل الذي طرح في بداية هذا الفصل، لماذا حدث الإنفراج؟

في الحقيقة هناك العديد من الأسباب تفاعلت مع بعضها البعض ويمكن ذكرها في النقاط التالية :-

١ - زيادة الترسانة النووية من حيث الكم والكيف، خلق الشعور في أن

٢ - الدخول في أية حرب نووية ستؤدي إلى الدمار الشامل لكلا الطرفين. ظهور قوى دولية منافسة لكل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي كالصين الشعبية، على سبيل المثال. لقد أدى ظهور القوة الصينية إلى تغيير النمط الأمريكي وسلوكياته في التعامل مع القوة الجديدة. ولم يقتصر التحول هذا التغيير في الاعتراف بالقوة الصينية بل تجاوز ذلك إلى التقرب منها وتأييدها في الإنضمام إلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٧١م عوضًا عن الصين الوطنية.

كذلك ظهرت فرنسا كقوة أخرى أسهمت في تغير السياسة الخارجية الأمريكية. لقد أدى انسحاب فرنسا من القيادة العسكرية لحلف الناتو في عهد الرئيس الفرنسي ديغول ١٩٦٦، إلى توتر في علاقات القوى داخل الحلف ورفض مبدأ الهيمنة الأمريكية على سياساته المختلفة.

٣ - الأوضاع السياسية: زامت تلك فترة رئاسة الرئيس الأمريكي ليندون جونسون التي بدأت بعد مقتل الرئيس جون كينيدي عام ١٩٦٣م حتى عام ١٩٦٨م. وبالرغم من استمرارية الرئاسة للديمقراطيين - ينظر بعض الساسة الأمريكيون والجمهوريون خاصة، إلى أن فترات الحروب هي فترات حكم الديمقراطيين - فقد اهتم جونسون بالأعمال العسكرية بصورة متزايدة في فيتنام والدومينيكان، ومع ذلك فقد أدرك أهمية التعاون مع الإتحاد السوفيتي، خاصة فيما يتعلق بالحروب المحدودة كالحرب العربية - الإسرائيلية عام ١٩٦٧م على سبيل المثال. وعلى المستوى الدولي أدى التقارب والاهتمام بالنزاعات والقضايا إلى لقاء الرئيس جونسون ورئيس الحكومة السوفيتي ألكسي كوسيجن في مؤتمر جلاسبور ١٩٦٧م وأثمر هذا اللقاء عن عقد معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية عام ١٩٦٨م.

هذه الملامح التي سادت هذه الفترة سهلت من عملية التغير الكبير في الفترة اللاحقة والمتمثلة في مرحلة الوفاق والتي سنناقشها في الفصل القادم.

الهوامش

- (١) قد يلاحظ في حديثنا عن التغيير في السياسة الخارجية الأمريكية في هذا الباب التركيز على الاتحاد السوفيتي والسبب في ذلك هو أن الاتحاد السوفيتي يعتبر المنافس الرئيسي للولايات المتحدة الأمريكية إن لم يكن الوحيد وبالتالي فهو يشكل جزءاً كبيراً في رسم السياسة الخارجية الأمريكية أما في هذه المرحلة فستدخل اطراف عديدة في التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية منافسة بذلك الاتحاد السوفيتي إلى حد ما في التأثير مثل الصين الشعبية.
- (٢) ريتشارد نيكسون. مذكرات الرئيس نيكسون (الحرب الحقيقية)، مرجع سابق، ص ٤٠٦.
- (٣) المرجع السابق، ص ٤٠٧.
- (٤) منير البعلبكي، المورد، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م). ص ٢٢٦.
- (٥) الياس أنطون الياس وادوارد أ. الياس. قاموس الياس العصري. (دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦) ص ٨٠٦.

يرى د. عبدالله القبايع :-

إن مفهوم الانفراج يعني في المفهوم الدولي كسر حدة التوتر وفتح قنوات جديدة للاتصال بين القطبين. وهذا المفهوم السابق يعطي الأولوية لاستخدام الوسائل الدبلوماسية قبل التورط في تصعيد الأزمات عسكرياً ويتضمن المفهوم أيضاً إمكانية التفاهم والتعاون في شتى المجالات الدولية، وهو بهذا التعريف لا يختلف عن مفهوم الوفاق Detent فكلاهما يحمل نفس المعنى والهدف وجميع المدارس الفكرية الأمريكية لا تفرق بينها. أما المصطلح المستخدم تحت اسم الوفاق entente (والذي استخدمه الباحث) فهو مصطلح تاريخي ظهر في أوروبا في القرن السابع والثامن عشر ويعني به التحالف الأوربي وهو أقرب إلى مفهوم alliance المعاصر. ومن الممكن ترجمته إلى عدة مفاهيم كحلف/ أو ميثاق/ أو اتفاق/ أو عهد، ويجمع بينهم جميعاً تصور مسبق لا يخرج عن التزام الدول الموقعة باتخاذ إجراءات معينة ومحددة سلفاً في ظروف خاصة تضمنتها بنود الاتفاق أو العهد.

المرحلة الرابعة (١٩٦٩ - ١٩٨٨م)

الوفاق

يُقسّم بعض الكتاب هذه المرحلة إلى فترتين حيث تبدأ الأولى من عام ١٩٦٩م حتى ١٩٧٩م والثانية تأتي لاحقة لهذا التاريخ. ومن الذين انتهجوا هذا التقسيم كل من كولن باون وبيتر موني^(١) اللذين استندا في تقسيمهما إلى التغيرات التي حدثت في أواخر السبعينات مثل غزو الإتحاد السوفيتي لأفغانستان، وطلب الرئيس كارتر في أوائل عام ١٩٨٠م من مجلس الشيوخ عدم النظر في معاهدة الحد من الأسلحة الإستراتيجية. إضافة إلى نشوب الحروب الإقليمية كالحرب بين العراق وإيران وغيرها من الأزمات. وبالتالي فهما يريان أن الوفاق الذي تم في أوائل السبعينات مثل قمة التطور في سياسة الوفاق ومن ثم بدأ العد التنازلي نحو العودة إلى الحرب الباردة.

أما مانراه في هذا الموضوع، فإن لنا اختلافًا في الرأي مع الرأي السابق، ويرجع اختلافنا معهم إلى الآتي :

تعتبر الفترة من ١٩٦٨م وحتى عام ١٩٨٧م مؤيدة لنهج الوفاق الدولي ورغم حدوث مستجدات على الساحة الدولية قد تكون من شأنها تغير هذا النهج مثل إعلان الإتحاد السوفيتي الانسحاب من أفغانستان، والاتفاق بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي على إزالة الصواريخ النووية، (وهنا لست أعيب عليها أو أنتقدتها بسبب أن دراستها كانت قبل سنة ١٩٨٤م، وبالتالي لم يتمكننا من التنبؤ بما يحدث الآن).

فإننا نعتبر هذه المستجدات منتظمة مع مرحلة الوفاق وما اعترأها من أزمات هي بمثابة عوارض تحدث كما حدثت في المراحل السابقة.

وفي هذه المرحلة يعتبر التحول استمرارية للتغير الذي حدث في المرحلة السابقة (الإنفراج) ويعزى هذا التغير (في نظري) إلى تولي نيكسون منصب رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتخابه في ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٨م وهو لم يكن غريبًا عن البيت الأبيض، إذا سبق أن تولى منصب نائب الرئيس لفترتين متتاليتين في عهد الرئيس أيزنهاور. وكانت أبرز ملامح هذا التغير سياسته تجاه الإتحاد السوفيتي والصين.

ففي ابريل ١٩٧٠م بدأت محادثات الحد من الأسلحة الإستراتيجية (سالت) وانتهت بالتوقيع عليها في ٢٦ أيار/ مايو ١٩٧٢م في موسكو، وقد عرفت باتفاقية سالت ١. لكن التغير الأهم هو الزيارة الشخصية التي قام بها الرئيس الأمريكي نيكسون للصين الشعبية. ويعلل الرئيس نيكسون هذا التحول بقوله (لقد أعطت الصين مثلاً على التغيرات العظيمة التي حصلت في العالم الشيوعي، ففي الستينات أدت قوى القومية إلى تفكيك الوحدة الشيوعية وتحويلها إلى مراكز قوى عقائدية متباينة كما أن سياستنا الخارجية أخذت تتباين بين العواصم الشيوعية، لكن هذه العملية لن تكون مجدية لنا إذا بقينا منقطعين عن ربع سكان العالم، إذ لم يكن بوسعنا تخفيف حدة التوتر في آسيا دون التحدث مع بكين. ويضاف إلى ذلك أن الزمن الذي تستطيع فيه دولة الزعم بأنها تنطق باسم كتلة قد ولى، وعلينا أن نتعامل مع البلدان حسب أعمالها وليس بناء على صيغ عقائدية مجردة) (٢).

ويتضح مما سبق أن العامل الأيديولوجي الذي شكل محور الصراع بين القطبين في السابق قد خف وأصبح عاملاً ثانويًا أمام المصلحة وظروف العصر.

ونتيجة لهذا التحول في التعامل مع كل من الإتحاد السوفيتي والصين الشعبية نحو الأحسن، إضافة إلى المشاكل التي عانتها الولايات المتحدة الأمريكية في حروبها في فيتنام/ ظهر مبدأ نيكسون (٣) الذي يدور حول التقليل من دور الولايات المتحدة كشرطي عالمي وتقوية الدول الصديقة من خلال المساعدات العسكرية.. الخ. وقد استمر هذا الوفاق مع الإتحاد السوفيتي بعد استقالة نيكسون في ٩ أغسطس ١٩٧٤م بسبب فضيحة وترغيت حيث قام الرئيس الأمريكي جيرالد فورد بعد ذلك في نوفمبر بزيارة للإتحاد السوفيتي وإبرام اتفاقًا مؤقتًا للحد من عدد الأجهزة الإستراتيجية لقذف الأسلحة النووية. وفي هذه الفترة من الوفاق عقد مؤتمر هلسنكي في ٢٨ تموز/ يوليو ١٩٧٥م للأمن والتعاون الأوروبي بين شطري أوروبا وهذا بطبيعة الحال ناتج من سياسة الوفاق

بين العملاقين. وتعتبر هذه المرحلة قمة سياسة الوفاق. وبمجرد مجيء جيمي كارتر إلى السلطة (أعلن أن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع الدول ستكون مبنية على مدى اهتمامها بحقوق الإنسان، الذي اعتبرته بعض الحكومات تدخلاً في الشؤون الداخلية) (٤). ومنها الإتحاد السوفيتي، ويرجع هذا التحول الجديد في تقييم علاقات الولايات المتحدة مع الغير (في نظرنا) إلى شخصية الرئيس جيمي كارتر الأخلاقية وخبرته القليلة بالشؤون السياسية. إلا أن هذا التقييم لم يقف حائلاً دون استكمال التقارب نحو الصين والإتحاد السوفيتي حيث قام كارتر بتطبيع العلاقات مع الصين الشعبية في الأول من يناير ١٩٧٩م وفي الوقت نفسه قطعت العلاقات مع الصين الوطنية (تايوان). ويقول الرئيس نيكسون مؤخراً بشأن هذا الموضوع (يجب علينا أن نتجنب إساءة التصرف في قضية تايوان الصعبة، حيث أن الموقف الذي اتخذناه عام ١٩٧٢م في بيان شنغهاي والذي تأكد في المحادثات الصينية - الأمريكية اللاحقة هو الذي يجب أن يحكم سياستنا في المستقبل. فالصينيون في البر الصيني وفي تايوان أيضاً يصرون على أن هناك صيناً واحدة وأن تايوان جزء منها ومصالحتنا الوحيدة هي أن يقرر الصينيون حل قضاياهم بينهم بسلام، بل نحن لانستطيع في الواقع أن نتوسط للتوصل إلى حل، والكثير من الأمريكيين الذين تشغل قضية تايوان بالهم لا يدركون أن دنج يتعرض لضغط شديد بالنسبة لتايوان من داخل حكومته. ولذا فليس من مصالحتنا أو من مصلحة أصدقائنا في تايوان أن نستفز أي مواجهة مع بكين) (٥).

أما مع الإتحاد السوفيتي فقد وقع الرئيس جيمي كارتر في عام ١٩٧٩م على معاهدة الحد من الأسلحة الإستراتيجية (سالت - ٢) والتي بدأت بين الدولتين عام ١٩٧٢م. غير أن الرئيس كارتر طلب في أوائل عام ١٩٨٠م من مجلس الشيوخ عدم النظر في المعاهدة نتيجة غزو الإتحاد السوفيتي لأفغانستان.

ولم تكن التغيرات في السياسة الخارجية الأمريكية قاصرة على القوى العظمى وحدها بل تعدتها إلى منطقة الشرق الأوسط حيث وقعت اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل في ٢٦ مارس ١٩٧٩م ولعب فيها الرئيس كارتر دوراً كبيراً.

لقد أصيبت سياسة الوفاق بشرخ في أواخر السبعينات، حيث اتجه الإتحاد السوفيتي لغزو أفغانستان وقامت الثورة في إيران وظهرت معها مشكلة الرهائن الأمريكيين في

طهران. ونتيجة لذلك ظهر مبدأ كارتر^(٦) في كانون الثاني/يناير ١٩٨٠م والذي ينص على مايلي: (تعتبر الولايات المتحدة أي محاولة سوفياتية تستهدف السيطرة على منطقة الخليج اعتداء على مصالحها الحيوية... وستقوم برد مثل هذا العدوان بشتى الوسائل لديها بما في ذلك القوة المسلحة)^(٧).

ويعلل معظم الخبراء والمهتمين بالأحداث أن أسباب تلك الأحداث ترجع إلى ضعف الإدارة الأمريكية في مراحلها الأخيرة، والبعض يرى غير ذلك ومنهم الدكتور جون ليز حيث يقول في إجابة على سؤال عبر برنامج بين السائل والمجيب في إذاعة لندن: (لعله من عدم الإنصاف أن توصم فترة جيمي كارتر بأنها فترة تراجع بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية. إذ أن كارتر حاول أن ينقل تركيز السياسة الخارجية الأمريكية من سباق التسلح ومجابهة الإتحاد السوفيتي إلى تأكيد حقوق الإنسان وتأييد المجتمعات المناضلة من أجل التخلص من الحكم الفردي الاستبدادي، وقد ارتبط ذلك بعدم الرغبة في التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى وبالبدا في إجراءات بطيئة للتفاوض حول اتفاقية الحد من التسلح مع الإتحاد السوفيتي)^(٨).

ويعتبر انتخاب الرئيس ريجان تأكيداً للرأي الذي يصف إدارة كارتر بالضعف والتراجع. ويقول هيدرك سميث في هذا الصدد بعد فوز ريجان (منذ أربع سنوات، بذر جيمي كارتر بذور عدة إخفاقات رئيسية وخيبات للأمل خلال المائة يوم الأولى من إدارته وحكم وكأنه غريب)^(٩)، وبالرغم من أن هذا القول يمثل نوعاً من التحامل والنقد غير الموضوعي إلا أن فترة كارتر تعتبر ضعيفة نسبياً مقارنة بمن قبلها وبعدها، خاصة فيما يتعلق بالإتحاد السوفيتي ومشكلة إيران.

إن الفتور الذي أصاب العلاقات الأمريكية - السوفيتية في أواخر السبعينات بالإضافة إلى حزم الإدارة الجديدة برئاسة رونالد ريجان جعل البعض يعتقد أن فترة الوفاق قد انتهت وبدأت مرحلة العودة إلى الحرب الباردة من جديد. حيث (وعد ريجان بتدعيم قدرات أمريكا الدفاعية ضد الإتحاد السوفيتي، والعودة إلى سياسة خارجية تتسم بتركيز أكبر على التدخل)^(١٠)، واستمر هذا التصلب حتى سنة ١٩٨٧ / ١٩٨٨م. غير أن العهد السوفيتي الجديد لمخائيل غورباتشوف^(١١) المغاير ليوري أندروبوف وقسطنطين تشيرننكو المسترسلين لنهج ليونيد بريجنيف سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية أثمر عن توقيع

اتفاق إزالة الصواريخ النووية في ٨ ديسمبر ١٩٨٧م، وبالرغم من حجب مذكرة التفاهم بين الطرفين إلا أن بعض صفحات الوثائق نشرت - وتقتضى المعاهدة^(١٢) لدى تصديق^(١٣) الدولتين عليها بإزالة جميع الصواريخ النووية التي يتراوح مداها بين ٥٠٠ و ٥٥٠٠ كيلو متر على مدى فترة ثلاث سنوات ثم حظر إنتاج هذه الصواريخ بعد هذه الفترة. ويمكن تدمير الصواريخ وأجهزة إطلاقها عن طريق إحراقها أو تفجيرها أو سحقها أو تحطيمها أو إطلاقها بالفعل دون شحنها النووية ويجوز إزالة المادة النووية من الرؤوس الحربية والإحتفاظ بها.

أما أبرز ما تميزت به هذه الإتفاقية فهو البند الخاص بقيام مفتشين من الدولتين بزيارة الدولة الأخرى لمراقبة تدمير الصواريخ وضممان الإلتزام بالمعاهدة. وهذا أول بند من نوعه في اتفاق الحد من الأسلحة بين القوتين العظميين.

(ووصف خبراء ومسؤولون مستقلون أن مغزى الإتفاق يتجاوز قيمته العسكرية. فهذه أول معاهدة في التاريخ تحدث تخفيضات حقيقية في ترسانات الأسلحة النووية للقوتين العظميين كما أنها تأتي بعد سنوات من العلاقات الفاترة بين البلدين إيداناً بتحسن بدأ مع تولى جورباتشوف السلطة في بلاده)^(١٤). وعلقت صحيفة لوس انجيليس تايمز الأمريكية^(١٥) على توقيع المعاهدة التاريخية بأنه حدث تاريخي ستتحدث عنه الأجيال المقبلة باعتباره انجازاً رائعاً بعد سنوات طويلة من الإنتظار، وأضافت أن العبرة الآن في التنفيذ فلايكن مصير المعاهدة التاريخية مثل مصير معاهدت (سالت ٢). وأضافت الصحيفة بأن الرئيس ريجان تمكن من أن ينهي ولايته بإنجاز رائع يتيح له أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه، إضافة إلى تعزيز مركز الحزب الجمهوري في انتخابات الرئاسة المقبلة بعدما أصيب هذا الحزب بسلسلة من النكسات أثر فضيحة إيران جيت وما نجم عنها من ذيول وتطورات.

ورغم هذا التطور والإنجاز الكبير نجد بعض النظرات التشاؤمية في هذا الموضوع مثل الرئيس نيكسون حيث يقول في كتابه^(١٦) (إن الرئيس ريجان مثل أيزنهاور يتمتع بشعبية كبيرة جداً بسبب الطريقة التي استرد بها احترام أمريكا واحترام الوطنية داخل أمريكا، لكن الأهم من ذلك كله، علينا ألا نقع في شرك التفكير بأن خفض التوتر بين أمريكا والاتحاد السوفيتي يعني نهاية الصراع بينهما فإذا ما أكد غورباتشوف الحاجة إلى حل

مشكلاته الداخلية يجب علينا ألا ننخدع ونظن بأن النظام تغير أو أن الخطر الذي يتعرض له الغرب قد انتهى، ونحن أقوى وأغنى دولة في العالم ونستطيع أن نعرض قوتنا العسكرية في مختلف العالم ونستطيع أيضًا أن نؤثر في كل القضايا السياسية المهمة في عهدنا).

وأمام هذا التناقض فإنه هناك أمران أمام الرئيس الأمريكي المقبل جورج بوش مرشح الحزب الجمهوري أو دو كاكيس مرشح الحزب الديمقراطي فإما الاستمرار على نهج الرئيس رونالد ريجان في آخر فترته الرئاسية أو العودة إلى الحرب الباردة بشكل أعنف مما حدث في السبعينات بسبب انعدام الثقة والمصداقية بين القوتين العظميين.

الهوامش

- (١) لمزيد من التفاصيل راجع :
كولن باون وبيتر موني. من الحرب الباردة حتى الوافق (١٩٤٥ - ١٩٨٠م) ترجمة صادق إبراهيم عودة (دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٨٤) ص٢٤٩ وما بعدها.
- (٢) كولن باون وبيتر موني. مرجع سابق، ص١٦٠.
- (٣) لمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع كتاب :
فرجينيا برودين ومارك سلدن. السر المعروف: مبدأ نيكسون وكيسنجر في آسيا. ترجمة د. أحمد طربين، ود. نصير عاروري (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د. ت).
- (٤) وكالة الإعلام الأمريكية، موجز التاريخ الأمريكي، مرجع سابق، ص١٧٧.
- (٥) ريتشارد نيكسون. عام ١٩٩٩ نصر بلا حرب. دار ساريمون وشوستر، نشرته جريدة الشرق الأوسط، العدد ٣٤٣٤ السبت ٢٣/٤/١٩٨٨م... الحلقة الثالثة.
- (٦) لمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع :
مركز الشرق الأوسط للابحاث والمعلومات، النشرة الاستراتيجية. لندن، العدد الأول، ١٤ فبراير ١٩٨٠م.
- (٧) المرجع السابق.
- (٨) هيئة الاذاعة البريطانية. السياسة بين السائل والمجيب. ج١ (مؤسسة آدم للنشر المحدودة، مالطا، د. ت) ص١٨.
- (٩) هيدرك سميث وآخرون. ربحان الرجل الرئيس. (الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان) ١٩٨٢م، ص١١.
- (١٠) هيئة الاذاعة البريطانية، السياسة بين السائل والمجيب، مرجع سابق، ص١٨.
- (١١) لمزيد من التفاصيل راجع :
أحمد الشيباني «قراءة في كتاب إعادة البناء لغورباتشوف» جريدة الرياض، الاعداد ٧١٨٩، ٧٢١٠، ٧٢١٧.
- (١٢) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٣٢٩٩ الخميس ١٠/١٢/١٩٨٧م.
- (١٣) صدق مجلس الشيوخ الأمريكي على المعاهدة في يوم الجمعة ٢٧/٥/١٩٨٨م بأغلبية ٩٣ صوتًا مقابل خمسة أصوات.
- (١٤) جريدة الشرق الأوسط، العدد (٣٢٩٨) الأربعاء ٩/١٢/١٩٨٧م.
- (١٥) جريدة الشرق الأوسط، العدد (٣٢٩٩) الخميس ١٠/١٢/١٩٨٧م.
- (١٦) رتشارد نيكسون. عام ١٩٩٩ نصر بلا حرب. مرجع سابق.

الباب الثاني

معضلات التغيير والثبات في النظام الدستوري ومراكز صنع القرار

في هذا الباب سيكون مدار البحث عن أهم المعضلات المؤثرة في تغيير وثبات السياسة الخارجية الناتجة من النظام السياسي، وذلك من خلال ثلاثة جوانب تمثل في مجملها أساسًا ومنطلقًا لأعمال وتصرفات الدولة نحو البيئة الخارجية، وتتمثل هذه الجوانب الثلاثة في الدستور، والكونجرس والحكومة.

معضلة الصلاحيات (الاقتصاص) في الدستور

إن المهمة الأساسية للدستور هي تحديد طبيعة النظام السياسي من خلال علاقة السلطات بعضها ببعض. وما يعنينا في هذا المقام هو مناقشة المعضلة الدستورية تجاه تحديد السلطة المناط بها رسم السياسة الخارجية وتنفيذها.

إن قراءة دستور الولايات المتحدة الأمريكية^(١) والتعديلات التي أجريت عليه تمكنا من استخلاص بعض السمات العامة لنصوص هذا الدستور فيما يتعلق بالشؤون الخارجية ومن أهم هذه السمات قلة ما يحتويه بشأن تنظيم العلاقات الخارجية تاركاً المجال متسعاً للسياسة أنفسهم، ولعل مرد ذلك في نظرنا يرجع إلى نشأة الدستور، حيث كانت نشأته مصاحبة لسنوات الإستقلال التي كان الإهتمام فيها منصباً على البناء الداخلي للإتحاد، ورغم ذلك الحد فإنه لم يغفل بعض الجوانب الهامة في تنظيم العلاقات الداخلية منها أو الخارجية من خلال تحديد اختصاصات كل فرع أو سلطة من السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية.

والمعضلة هنا لا تقتصر على المسائل التي لم يحددها الدستور كأحقية أي السلطات في رسم السياسة الخارجية أو نوعية السلطة التي تشرف عليها وغيرها، وإنما تمتد المعضلة أيضاً للأمور التي نص عليها الدستور وذلك بسبب التفسيرات القانونية لها وتعدد أنماطها، فهناك اختصاصات في الشؤون الخارجية منوطة بالكونجرس وأخرى منوطة بالرئيس وأخرى مشتركة بينهما.

لقد أثار لويس هنكن^(٢) تساؤلات عديدة تمثلت في أعمال وتصرفات للحكومة الأمريكية، تشكل في مجملها معضلة دستورية عجز - كما يقول المحامون وأعضاء في

الكونجرس وفي الهيئة التنفيذية. عن الإجابة عليها. ويقول في أسئلته التي تدور حول الجهة التي تدير العلاقات الخارجية: (هل الكونجرس؟ أو الرئيس؟ أو الرئيس بالاشتراك مع مجلس واحد؟ أو مجلس الكونجرس هو الذي له سلطة تحديد المسائل الهامة الجارية أو المتكررة في السياسة القومية؟ وكم وافداً للإقامة الدائمة سيسمح له بدخول الولايات المتحدة، ومن أي دولة؟ وهل على دولة الولايات المتحدة أن ترسل قوات مسلحة خارج البلاد غير الاشتراك في حرب دولية، لمساندة صديق في حرب أهلية (أنجولا عام ١٩٧٥م)، أو لمنع استيلاء شيوعي على السلطة (جمهورية الدومينيكان عام ١٩٦٥م)، أو لإعادة النظام وحماية الأرواح (لبنان عام ١٩٧٥م) أو كما في الصين قبل الحرب العالمية الثانية)؟ وهل يتحتم على دولة الولايات المتحدة أن تعترف بجمهورية الصين الشعبية أو تعيد العلاقات مع كوبا كاسترو؟ وهل تعقد اتفاقية إنشاء قواعد عسكرية مع أسبانيا بعد فرانكو، أو تعقد اتفاقيات دولية أخرى ليست من طبيعة المعاهدات؟ وهل تلغى أو تنهى معاهدات أو اتفاقيات دولية أخرى؟ هل ثقة دولة كالولايات المتحدة وسمعتها تلزمانها بإعطاء مساعدات خارجية من الأسلحة والمال؟ وهل تقيم الإدعاءات أو تنهى الإدعاءات قبل الدول الأخرى؟ أو هل تتلقى إدعاءات الدول الأخرى أو تنهها ضد دولة الولايات المتحدة؟ وهل تؤكد أو تتخلى عن القضاء القومي في مناطق من الجو أو البحر؟ وهل تعلن مبدأ منرو أو سياسة الباب المفتوح في صين القرن التاسع عشر، أو مبدأ أيزنهاور أو مبدأ آخر جديد على الباسفيكي؟).

إن هذه التساؤلات العديدة – التي آثرنا ذكرها كما وردت – هي بمثابة حصر لأشكال الممارسات التي تقوم بها الحكومة الأمريكية في الشؤون الخارجية دون أن ينص عليها الدستور، فالدستور حصر اختصاصات كل فرع في مسائل بسيطة كما ذكرنا آنفاً وذلك من خلال الصلاحيات أو السلطات الممنوحة للرئيس،^(٣) مثل توقيع المعاهدات بعد إقرار ثلثي أعضاء مجلس الشيوخ الحاضرين، وتعيين السفراء والوزراء عموميين آخرين والقناصل، واستقبال السفراء والوزراء العموميين الآخرين. ومنح الكونجرس سلطة تنظيم التجارة مع الدول الأجنبية، وتأسيس نظام موحد للتجنس وتعريف ومعاينة القرصنة والجنايات المرتكبة في أعالي البحار، والجرائم المضادة لقوانين الأمم، وإعلان الحرب، ومنح خطابات التفويض بالإضافة إلى سلطة الموافقة على المعاهدات والتعيينات الدبلوماسية.

بعد هذا العرض للصلاحيات والإختصاصات تثور المعضلة الحقيقية وهي السؤال عن ماهية السلطة التي ترسم السياسة الخارجية؟ هل الرئيس أم الكونجرس؟

لقد أجبنا على جوانب من هذا السؤال من خلال عرض الصلاحيات المنصوص عليها في الدستور، أما التي لم ينص عليها الدستور فهي مجال مناقشتنا للإجابة على هذا السؤال.

يرى البعض مثل الكسندر هاميلتون^(٤) أن الدستور لم يكن مقتضياً أو مبهماً، فقد كان يتكلم بلغة القرن الثامن عشر. ولا توجد صلاحيات ضائعة ولا يوجد سر غامض فيما يخص توزيعها بين الكونجرس والرئيس، وعندما اشترط الدستور أن السلطة التنفيذية ستعطي للرئيس، أعطى بالطبع مانعته في العادة سلطة تنفيذية، ويخلص هاميلتون إلى أن الذين صاغوا الدستور كانوا ينوون أن يجعلوا الرئيس مديراً للعلاقات الخارجية، ويستند في رأيه فيما يتعلق بالمعاهدات، بأن الرئيس هو صاحب الصلاحية الوحيدة لعقد المعاهدات ولكن الذين صاغوا الدستور فرضوا الحاجة إلى مشورة وموافقة مجلس الشيوخ.

إننا لانؤيد رأي هاميلتون حول عدم وجود صلاحيات ضائعة بين السلطين استناداً للأعمال التي تمارسها الحكومة ولم ينص عليها الدستور، أما لماذا تمارس الحكومة – الرئيس – اختصاصات أكثر دون أن يمارسها الكونجرس؟ فهذا، في الحقيقة، يرجع إلى تنامي دور الرئيس وذلك لأسباب عديدة منها أن الكونجرس ليس هيئة دائمة، أي له فترات انعقاد بخلاف الرئيس أيضاً زيادة العلاقات الخارجية للولايات المتحدة سواء الدبلوماسية أو غيرها، يتطلب اتصالاً بالحكومات الأجنبية. وهذا لا يتم إلا عن طريق الرئيس. كذلك ماتستدعيه بعض الأمور من سرعة وسرية في القرارات مما ساعدت على ازدياد صلاحياته. ومع هذا التزايد والتنامي لدور الرئيس نجد أن الكونجرس لم يطلب تحديداً لصلاحيات الرئيس أو تعديلاً للدستور بشأنها، وقد وصل هذا التنامي لدرجة (أنه لم يعد السؤال عما إذا كان للرئيس صلاحية التصرف، بل أصبح يستفسر عن الحدود التي تحد صلاحياته)^(٥).

وفي هذا الصدد يقول لويس هنكن (أن نمو الأحزاب والسياسة الحزبية سرعان ماغطى على المبدأ وحول الخلافات الدستورية بين الرئيس والكونجرس إلى خلافات حزبية بين الفيدراليين والجمهوريين وخلفاء كل منهما)^(٦).

ونخلص مما سبق إلى إثارة التساؤل عن عدة نقاط تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة فعلى سبيل المثال، هل روعي في تقسيم الصلاحيات المنصوص عليها بالدستور أن يكون الجزء الخاص بالرئيس ذا صفة تنفيذية، والجزء الخاص بالكونجرس ذا صفة رقابية أو إشرافية كما هو في النظام البرلماني. بالطبع لا، فن خلال قراءتنا لنصوص الدستور، نجد مثلاً أن إعلان الحرب وتنظيم التجارة الخارجية مناط بالكونجرس. لكن هذا الوضع أدى إلى لجوء الرئيس إلى وسائل لم ينص عليها الدستور كالإتفاقيات التنفيذية (٧) وإرسال الجنود دون إعلان الحرب... الخ.

وفي خاتمة هذا الفصل يتضح لنا أن الصلاحيات التي لم ينص عليها الدستور، والتي من خلالها تمت صلاحيات الرئيس انعكست على توجيه السياسة الخارجية (وإلى حد ما) على رسمها وبالتالي فإن مسائل السياسة الخارجية خضعت للتقلبات المزاجية والنظرات الشخصية لصاحب السلطة التنفيذية في النظام الرئاسي الأمريكي وباتت معظمها تميل إلى الميوعة والتردد.

الهوامش

- (١) للاطلاع على نص الدستور انظر الملحق التابع لهذا البحث.
- (٢) م. جد هارمون. أضواء على دستور دولة الولايات المتحدة. ترجمة أمير كامل. (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م) ص ١٤٨.
- (٣) لمزيد من التفاصيل راجع :
- الملحق.
- البرت ساي وآخرون. أسس الحكم في امريكا. ترجمة محمد محمد فرج. (مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨) ص ٢١٦ وما بعدها.
- (٤) م. جد هارمون. مرجع سابق. ص ١٥١.
- (٥) المرجع السابق، ص ١٥٦.
- (٦) المرجع السابق، ص ١٥٥.
- (٧) لمزيد من التفاصيل عن الإتفاقيات التنفيذية راجع :
البرت ساي وآخرون. مرجع سابق، ص ٢٢٢.

المعضلة الحزبية والشخصية في الحكومة

المقصود بالحكومة في هذا المقام هي السلطة التنفيذية المناطة برئيس الولايات المتحدة. فقد نص الدستور — كما تبين في الفصل السابق — على أن تكون السلطة التنفيذية في يد الرئيس. ومع ذلك نجد أن بعض الإختصاصات القضائية والتشريعية صارت من مهام الرئيس، ويعرف ذلك باسم نظام الضوابط والتوازنات (Checks and Balances) بين السلطات^(١). فعلى سبيل المثال نجد أن ضمن سلطات الرئيس القضائية تعيين القضاة الفدراليين ومنح العفو عن عقوبات الجرائم التي ترتكب بحق الولايات المتحدة. وبالنسبة للاختصاصات التشريعية فإنه أصبح من حق الرئيس أن يقترح على الكونجرس مشاريع القوانين وإصدار أوامر تنفيذية أو أحكام وقواعد حكومية لها قوة القانون ومفعوله كما أن له حق الاعتراض على أي قانون يصدره الكونجرس.

إن ما سبق ذكره من أساسيات وثوابت النظام السياسي الأمريكي. لكن الملاحظ أن هناك تميزاً من فترة رئاسية إلى أخرى؟ ورئيس عن رئيس آخر؟ (و يقصد بالتميز هنا التغير) — فما هو سبب هذا الإختلاف رغم توافق الظروف الدستورية. أن هذا الإختلاف بالطبع يرجع إلى طبيعة وشخصية الرئيس ومن خلال فهمنا للنظام السياسي الأمريكي نجد أن التغير يحدث في الرئاسة كل أربع سنوات عندما تنتهي فترة رئاسية وتبدأ فترة أخرى. وهذا التغير في العملية الإنتخابية يعتبر من أسباب ووسائل التغير وبالتالي تستمر عملية التغير وبشكل ثابت كل أربع سنوات. لكن هذا التغير لا يظل على حالة الثبوت إذا احتوى على إحدى عاملين رئيسيين هما التغير في الحزب أو التغير في شخص الرئيس ولذلك سيكون البحث في هذا الفصل لمعضلتين مهمتين تلعبان دوراً أساسياً في الحكومة، وهما المعضلة الحزبية، والمعضلة الشخصية. وسنتناول كل واحدة منها في مبحث خاص.

المبحث الأول : المعضلة الحزبية :

من الطبيعي يكون الناس في مثل هذا النظام الديمقراطي أحراراً في التعبير، وإبداء الآراء، والتجمعات وغيرها من مظاهر الحرية ومن الطبيعي أن تبرز تباينات في الآراء والنزعات والأهداف... الخ، وبالتالي فإن توصيل كل رأي أو هدف... على حدة وفي ظل مجتمع يضم الملايين من البشر يشكل نوع من الإستحالة. ولهذا ظهرت التجمعات المؤسسية المختلفة التي ومن ضمنها الأحزاب، ويمكن تعريف الحزب بأنه مجموعة من الناس تهدف إلى الوصول للسلطة. أما كيف يصل؟ فهنا تباين في وجهات النظر.

وفي هذا المقام لايسعنا الدخول في التفاصيل الدقيقة وإنما سنكتفي بإعطاء الخلفية الفلسفية لنشوء الأحزاب والتي منها أحزاب الولايات المتحدة الأمريكية. وسوف نتناول بطبيعة الحال الحزبين الكبيرين الجمهوري والديمقراطي بصفتها الحزبين المسيطرين على الرئاسة الأمريكية وذلك من خلال عدة نواحي أهمها :

— ما هو سبب بروز الحزبين عما سواهما؟

— خصائص وسمات كل حزب حسب المعايير التالية (الفئات المؤيدة للحزب، البرامج، مسائل الشؤون الخارجية).

وسبب تركيزنا على تلك العناصر هو علاقتها التأثيرية في السياسة الخارجية. ومن خلالها يمكن الإستدلال على نهج الحزبين في الشؤون الخارجية.

ففيما يتعلق ببروز الحزبين عما سواهما من الأحزاب الأخرى رغم جو الديمقراطية الذي يتيح لبقية الأحزاب المنافسة على السلطة، نجد عدة تفسيرات منها:

(إن انتخابات أعضاء الكونجرس والمجالس التشريعية للولاية في الأقاليم ذات العضو الواحد تفضل الأحزاب الأكبر ويحرمون الأحزاب الأصغر من أي جزء من النصر)^(٢).

ورأي آخر يقول (إن هذا الإجماع السائد بين الأمريكيين حول الأساسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وحيث يوجد هذا الاجماع، تكون الأحزاب المنشقة أقل قدرة على حزب الموالين بأعداد كافية لتصبح ذات أهمية سياسية)^(٣).

ويرى ألبرت ساي في ذلك (أن مما يثبط الأحزاب الأصغر غالباً وجود عقبات قانونية

جسيمة تواجهها في الولايات المختلفة تجعل وضع مرشحين للاقتراع أكثر صعوبة وتكلفة^(٤).

إن الآراء السابقة تكاد تكون أقرب للتكامل منها إلى التناقض فهي أسباب مقبولة، ويمكن أن نضيف إليها سبباً آخرأً يتمثل في طبيعة انتخابات الرئاسة، فهي لا تشجع على قيام حزب ثالث. إضافة إلى التكاليف الضخمة التي تنفق في الحملات الانتخابية حيث (بلغ مجموع التكاليف لكل المرشحين على مستويات الحكومة سنة ١٩٨٠م ١٢ بليون دولار)^(٥).

وإن سيطرة هذين الحزبين على النظام السياسي الأمريكي تستوجب الإبتداء أولاً بدراستها لتحديد نهجها في السياسة الخارجية.

يقول هوارد بينيمان في هذا المجال^(٦): من المحال القول بأن هذا الفريق أو ذاك من الناس مندمج في حزب معين. ولكنه يصنف بعض الفئات ويقسمها بين الديمقراطيين والجمهوريين على ضوء نسب الناخبين. فمثلاً يضم الحزب الديمقراطي فئات السود، واليهود، والعمال، والكاثوليك.. ويضم الحزب الجمهوري رجال الأعمال، والبروتستانت.. الخ.

وتسهيلاً لذلك يوضح الجدول رقم (١) توزيع الفئات على الحزبين من خلال تصويتهم في الانتخابات الرئاسية من سنة ١٩٥٢م حتى ١٩٨٠م.

جدول رقم (١)

(الأصوات بالمجموعات في انتخابات الرئاسة منذ سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٨٠م^(١))

| ١٩٦٠م | | ١٩٥٦م | | ١٩٥٢م | | |
|---------------|--------------|-----------------|-----------------|-----------------|-----------------|---------------------------------|
| نيكسون (ج) | كنيدي (د) | أيزنهاور (ج) | ستيفنسون (د) | أيزنهاور (ج) | ستيفنسون (د) | |
| %٤٩ر٩ | %٥٠ر١ | %٥٧ر٨ | %٤٢ر٢ | %٥٥ر٤ | %٤٤ر٦ | قومية |
| ٤٨ | ٥٢ | ٥٥ | ٤٥ | ٥٣ | ٤٧ | الجنس رجال |
| ٥١ | ٤٩ | ٦١ | ٣٩ | ٥٨ | ٤٢ | نساء |
| ٥١ | ٤٩ | ٥٩ | ٤١ | ٥٧ | ٤٣ | السلالة بيض |
| ٣٢ | ٦٨ | ٣٩ | ٦١ | ٢١ | ٧٩ | غير بيض |
| ٦١ | ٣٩ | ٦٩ | ٣١ | ٦٦ | ٣٤ | التعليم كلية |
| ٤٨ | ٥٢ | ٥٨ | ٤٢ | ٥٥ | ٤٥ | ثانوي |
| ٤٥ | ٥٥ | ٥٠ | ٤٨ | ٤٨ | ٥٢ | ابتدائي |
| ٥٨ | ٤٢ | ٦٨ | ٣٢ | ٦٤ | ٣٦ | العمل مهن وأعمال ياقات |
| ٥٢ | ٤٨ | ٦٣ | ٣٧ | ٦٠ | ٤٠ | بيضاء |
| ٣٥ | ٦٥ | ٤٣ | ٥٧ | ٣٩ | ٦١ | نقابيون |

تابع جدول (١)

| ١٩٦٠م | | ١٩٥٦م | | ١٩٥٢م | | |
|---------------|--------------|-----------------|-----------------|-----------------|-----------------|------------------------|
| نيكسون (ج) | كنيدي (د) | أيزنهاور (ج) | ستيفنسون (د) | أيزنهاور (ج) | ستيفنسون (د) | |
| | | | | | | العمر تحت ٣٠ سنة |
| ٤٦ | ٥٤ | ٥٧ | ٤٣ | ٤٩ | ٥١ | ٤٩-٣٠ |
| ٤٦ | ٥٤ | ٥٥ | ٤٥ | ٥٣ | ٤٧ | فوق ٥٠ |
| ٥٤ | ٤٦ | ٦١ | ٣٩ | ٦١ | ٣٩ | |
| | | | | | | الديانة |
| ١٢ | ٨٢ | ٤٠ | ٦٠ | ٣٦ | ٦٤ | يهود |
| ٦٢ | ٣٨ | ٦٣ | ٣٧ | ٦٣ | ٣٧ | برتستنت |
| ٢٢ | ٧٨ | ٤٩ | ٥١ | ٤٤ | ٥٦ | كاثوليك |
| | | | | | | السياسة |
| ٩٥ | ٥ | ٩٦ | ٤ | ٩٢ | ٨ | جمهورية |
| ١٦ | ٨٤ | ١٥ | ٨٥ | ٢٣ | ٧٧ | ديمقراطي |
| ٥٧ | ٤٣ | ٧٠ | ٣٠ | ٦٥ | ٣٥ | مستقل |
| | | | | | | المنطقة |
| ٤٧ | ٥٣ | ٦٠ | ٤٠ | ٥٥ | ٤٥ | الشرق |
| ٥٢ | ٤٨ | ٥٩ | ٤١ | ٥٨ | ٤٢ | غرب |
| ٤٩ | ٥١ | ٥١ | ٤٩ | ٤٩ | ٥١ | أوسط |
| ٥١ | ٤٩ | ٥٧ | ٤٣ | ٥٨ | ٤٢ | جنوب |
| | | | | | | غرب |

تابع جدول (١)

| ١٩٧٢م | | ١٩٦٨م | | ١٩٦٤م | | |
|---------------|-----------------|---------------|--------------|-----------------|---------------|---------------------------------|
| نيكسون (ج) | ما كجفرن (د) | نيكسون (ج) | همفري (د) | جولدووتر (ج) | جونسون (د) | |
| %٦٢ | %٣٨ | %٤٣ر٤ | %٤٣ | %٣٨ر٧ | %٦١ر٣ | قومية |
| ٦٣ | ٣٧ | ٤٣ | ٤١ | ٤٠ | ٦٠ | الجنس رجال |
| ٦٢ | ٣٨ | ٤٣ | ٤٥ | ٣٨ | ٦٢ | نساء |
| ٦٨ | ٣٢ | ٤٧ | ٣٨ | ٤١ | ٥٩ | السلالة بيض |
| ١٣ | ٨٧ | ١٢ | ٨٥ | ٦ | ٩٤ | غير بيض |
| ٦٣ | ٣٧ | ٥٤ | ٣٧ | ٤٨ | ٥٢ | التعليم كلية |
| ٦٦ | ٣٤ | ٤٣ | ٤٢ | ٣٨ | ٦٢ | ثانوي |
| ٥١ | ٤٩ | ٣٣ | ٥٢ | ٣٤ | ٦٦ | ابتدائي |
| ٦٩ | ٣١ | ٥٦ | ٣٤ | ٤٦ | ٥٤ | العمل مهن وأعمال ياقات |
| ٦٤ | ٣٦ | ٤٧ | ٤١ | ٤٣ | ٥٧ | بيضاء |
| ٥٧ | ٤٣ | ٣٥ | ٥٠ | ٢٩ | ٧١ | يدويون |
| ٥٤ | ٤٦ | ٢٩ | ٥٧ | ٢٧ | ٧٣ | نقايون |

تابع جدول (١)

| ١٩٧٢م | | ١٩٦٨م | | ١٩٦٤م | | |
|---------------|-----------------|---------------|--------------|------------------|---------------|------------------------|
| نيكسون (ج) | ما كجفرن (د) | نيكسون (ج) | همفري (د) | جولد ووتر (ج) | جونسون (د) | |
| | | | | | | العمر تحت ٣٠ سنة |
| ٥٢ | ٤٨ | ٣٨ | ٤٧ | ٣٦ | ٦٤ | ٣٠-٤٩ |
| ٦٧ | ٣٣ | ٤١ | ٤٤ | ٣٧ | ٦٣ | فوق ٥٠ |
| ٦٤ | ٣٦ | ٤٧ | ٤١ | ٤١ | ٥٩ | |
| | | | | | | الديانة |
| ٣٥ | ٦٥ | ١٧ | ٨١ | ١٠ | ٩٠ | يهود |
| ٧٠ | ٣٠ | ٤٩ | ٣٥ | ٤٥ | ٥٥ | برتستنت |
| ٥٢ | ٤٨ | ٣٣ | ٥٩ | ٢٤ | ٧٦ | كاثوليك |
| | | | | | | السياسة |
| ٩٥ | ٥ | ٨٦ | ٩ | ٨٠ | ٢٠ | جمهوري |
| ٣٣ | ٦٧ | ١٢ | ٧٤ | ١٣ | ٨٧ | ديمقراطي |
| ٦٩ | ٣١ | ٤٤ | ٣١ | ٤٤ | ٥٦ | مستقل |
| | | | | | | المنطقة |
| ٥٨ | ٤٢ | ٤٣ | ٥٠ | ٣٢ | ٦٨ | الشرق |
| ٦٠ | ٤٠ | ٤٧ | ٤٤ | ٣٩ | ٦١ | غرب أوسط |
| ٧١ | ٢٩ | ٣٦ | ٣١ | ٤٨ | ٥٢ | جنوب |
| ٥٩ | ٤١ | ٤٩ | ٤٤ | ٤٠ | ٦٠ | غرب |

تابع جدول رقم (١)

| | ١٩٨٠م | | ١٩٧٦م | | |
|--|----------------------|----------------------|----------------------|----------------------|--------------------------------------------------------------|
| | ربحان (ج) | كارتر (د) | فوردي (ج) | كارتر (د) | |
| | %٥١ | %٤١ | %٤٨ | %٥٠ | قومية |
| | ٥٣ ٤٩ | ٣٨ ٤٤ | ٤٥ ٥١ | ٥٣ ٤٨ | الجنس رجال نساء |
| | ٥٦ ١٠ | ٣٦ ٨٦ | ٥٢ ١٥ | ٤٦ ٨٥ | السلالة بيض غير بيض |
| | ٥٣ ٥١ ٤٢ | ٣٥ ٤٣ ٥٤ | ٥٥ ٤٦ ٤١ | ٤٢ ٥٤ ٥٨ | التعليم كلية ثانوي ابتدائي |
| | ٥٥ ٥١ ٤٦ ٤٣ | ٣٣ ٤٠ ٤٨ ٥٠ | ٥٦ ٤٨ ٤١ ٣٦ | ٤٢ ٥٠ ٥٨ ٦٣ | العمل مهن وأعمال ياقات بيضاء يدويون نقايون |

تابع جدول رقم (١)

| | ١٩٨٠ | | ١٩٧٦م | | |
|---------------------------------------------|--------------|--------------|-------------|--------------|--------|
| | ريجان (ج) | كارتر (د) | فورد (ج) | كارتر (د) | |
| العمر تحت ٣٠ سنة | ٤١ | ٤٧ | ٤٥ | ٥٣ | |
| | ٥٢ | ٣٨ | ٤٩ | ٤٨ | ٣٠-٤٩ |
| | ٥٤ | ٤١ | ٤٨ | ٥٢ | فوق ٥٠ |
| الديانة يهود برتستنت كاثوليك | | | ١٨ | ٨٢ | |
| | ٥٤ | ٣٩ | ٥٣ | ٤٦ | |
| | ٤٧ | ٤٦ | ٤٢ | ٥٧ | |
| السياسة جمهوري ديمقراطي مستقل | ٨٦ | ٨ | ٩١ | ٩ | |
| | ٢٦ | ٦٩ | ١٨ | ٨٢ | |
| | ٥٥ | ٢٩ | ٥٧ | ٣٨ | |
| المنطقة الشرق غرب أوسط جنوب غرب | ٤٧ | ٤٣ | ٤٧ | ٥١ | |
| | ٥١ | ٤١ | ٥٠ | ٤٨ | |
| | ٥٢ | ٤٤ | ٤٥ | ٥٤ | |
| | ٥٤ | ٣٥ | ٥١ | ٤٦ | |

ويلاحظ أن هناك استقرارًا إلى حد كبير في نسب توزيع الأكثرية والأقلية بين الحزبين، عدا بعض العناصر كالجنس (الرجل والمرأة) حيث يتسم هذا العنصر بالتذبذب. أما فيما يتعلق ببرامج الحزبين التي من خلالها يمكن استخدامها كمؤشر آخر للتفريق

المصدر: دليل جالوب الشهري ديسمبر سنة ١٩٧٦م وديسمبر سنة ١٩٨٠م.

بين الحزبين من حيث المبادئ التي يعتنقونها، والسياسات التي ينتهجونها، فنجد تباين في الآراء، حيث يقول هوارد بنيمان: (من الوجهتين النظرية والعملية ليس للأحزاب الأمريكية برامج محددة المعالم، حيث أن كل حزب كبير يحتضن أعضاء مختلفي الوجهات. وهي أي الأحزاب كما يقول كلنتول روستير، عبارة عن جماعات تتراخى وتتآلف مصالحها بعيداً عن المبدأ في ذاته)^(٧). وهناك رأي آخر لا يختلف كثيراً عن الرأي السابق حيث يقول: (إن الاختلافات بين برامج الحزب ليست متباعدة في الولايات المتحدة الأمريكية. فنشأت الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي غالباً ما يلاحظ على كونها متشابهة. وعلى أي حال فإن الإتجاه العام لبرنامج أي حزب معين يمكن أن يكون قريباً جداً من معتقدات الناخب باختلاف الأحزاب الأخرى وفي البلاد المتعددة الأحزاب كفرنسا)^(٨).

من الرأيين السابقين يتضح تقارب برامج الحزبين، وأرى أن ذلك يرجع لعدة أسباب منها أن البرامج التي ينشرها تعد بمثابة دعاية للحزب وتتمثل في استغلال الأزمات الداخلية والخارجية وكيفية حلها، إضافة إلى أن برامج الحزب ليس فيها أية نوع من الإلتزام القانوني ولكنها ترتبط بالالتزام أدبي فقط نحو الناخبين. ولذلك تتشابه برامج الحزبين. ومما يؤكد أن برامج الأحزاب لا تخرج عن كونها برامج دعاية، تلك الفكرة التي يرددها الحزب الجمهوري ومفادها أن الحزب الديمقراطي هو حزب الحروب والحزب الجمهوري هو حزب السلام، وذلك بسبب توافق فترات تولي الحزب الديمقراطي للرئاسة مع فترات نشوب الحروب والأزمات، مثل الحرب العالمية الثانية في عهد روزفلت، وأزمة كوبا في عهد كنيدي وغيرها من الحروب والأزمات.

ونخلص إلى القول بأن برامج الحزبين لا تعطي صورة دقيقة وواضحة للتفريق بين نهجيهما.

أما في مجال الشؤون الخارجية، فرغم أنها تدخل في إطار برامج الأحزاب إلا أننا فصلناها لأهميتها في هذا البحث. وينحى عدد من الكتاب إلى أن الحزب الجمهوري أكثر اهتماماً بالشؤون الخارجية وأكثر نجاحاً فيها، مستندين إلى الفكرة التي سبق ذكرها والمتمثلة في أن الحزب الجمهوري حزب سلام والحزب الديمقراطي حزب حروب وأزمات لعدم قدرته على التعامل مع الظروف الخارجية.

ونخلص من دراستنا للمعضلة الحزبية إلى أنه رغم التغير الذي يحدث في منصب الرئيس

من خلال تولي أحد الحزبين الجمهوري أو الديمقراطي رئاسة الولايات المتحدة، إضافة إلى معرفة بعض المعالم الرئيسية التي تميز الحزبين بعضهما عن بعض كالفئات التي تنتخبهما، واهتمامهما بالسياسة الخارجية فإن نوعاً من الإستقرار يشكل مهام السياسة الخارجية الأمريكية ويمكن أن نستند في رأينا هذا إلى بعض الأمثلة.

فمثلاً تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل :

فن خلال تتبعنا للجدول السابق (جدول رقم ١) نلاحظ أن غالبية اليهود يؤيدون الحزب الديمقراطي، وبنسبة مرتفعة، ولهذا لا يستغرب تأييد الحزب الديمقراطي لليهود من خلال تأييدها لإسرائيل وإنما الملفت للنظر هو تأييد الحزب الجمهوري لإسرائيل رغم النسبة الضئيلة من اليهود التي تؤيد الحزب.

ونستنتج من المثال السابق أن عملية التغير في منصب الرئاسة من خلال الأحزاب لا يؤدي بدوره إلى تغير في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل وبالتالي يمكن تعميمها على السياسة الخارجية ككل، لأن نقطة الخلاف بين الحزبين كما تبين في السابق هي نوعية الفئات المؤيدة للحزب، وإلى حد ما الإهتمام الخارجي.

ومثال آخر، وهو رد على الرأي الذي سبق ذكره بأن الحزب الديمقراطي حزب حرب والحزب الجمهوري حزب سلام. أن العامل الرئيسي في اشتراك الولايات المتحدة في الحروب التي ذكرت هو الأطراف الأخرى، وأن توافقها مع فترات حكم الديمقراطيين هو من قبيل المصادفة، فغزو فيتنام زامن فترات رئاسية لكل من الديمقراطيين والجمهوريين، ومع ذلك لم ينته الغزو بسبب تغير الحزب الحاكم وإنما لأسباب أخرى، عسكرية، وسياسية... الخ.

وخاتمة هذا المبحث تجرنا إلى البحث في الشق الثاني والمتمثل في التغير الشخصي لمنصب الرئيس.

المبحث الثاني : المعضلة الشخصية :

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن المعضلة الشخصية أن نحدد مفهوم الشخصية في هذا البحث، حيث أن مفهوم الشخصية يحمل معاني ومفاهيم عديدة. فعلى سبيل المثال نجد أن الشخصية بالمفهوم القانوني تعني الوسيلة، وبمقتضاها يمنح نظام قانوني معين لشخص ما

بعض الحقوق ويحملة بعض الإلتزامات، ومفهوم الشخص في هذا المعنى يشمل الأشخاص الطبيعيون (الإنسان) والأشخاص الاعتباريون (الشركات، الدول، المنظمات... الخ). أيضاً يشير مفهوم أو مصطلح الشخصية في المعنى الدارج أو الشائع بين الناس إلى أنها مجموعة صفات يمتلكها الفرد أو لا يمتلكها، حيث يقال أن فلان صاحب شخصية لتوافر مجموعة صفات فيه وفلان لا يملك شخصية أي لنقص بعض الصفات فيه.

أما مفهومنا للشخصية في هذا البحث فهو أعمق من ذلك حيث نتناوله من خلال المفهوم النفسي (السيكولوجي) والمتمثل في سلوك الفرد في المواقف المختلفة وليس كما هو شائع بين الناس.

وتعرف الشخصية في هذا الإطار بأنها: (البناء الخاص لصفات الفرد وأنماط سلوكه والذي من شأنه أن يحدد لنا طريقته المتفردة في تكيفه مع البيئة ومن حوله) (٩).

ولقد أسهم علماء النفس في محاولة منهم لإيجاد نظريات (١٠) يتم من خلالها وصف البنين العام للشخصية من خلال معايير ومقاييس مختلفة، وبصفة عامة هناك بعض الإعتبارات عند دراسة الشخصية منها (مظهره العام وطبيعة قدرته، ودوافعه وردود أفعاله العاطفية وكذلك الخبرات التي سبق له أن مر بها ومجموع القيم والاتجاهات والميول التي توجه سلوكه) (١١).

ونخلص مما سبق أن كل إنسان لديه الشخصية التي تميزه عن غيره، وبالتالي سينعكس تأثير تلك الشخصية عن تصرفات الأفراد من خلال أقوالهم وأعمالهم، ومن ثم يكون السلوك الذي يهجه الإنسان إنعكاساً لشخصيته (وإن ما قد يبدو للبعض على أنه تناقض في السلوك إنما هو في الحقيقة ليس كذلك، بل هو يرجع إلى عدم معرفتهم بحقيقة ذلك البنين وطبيعة تركيبه) (١٢).

ونستفيد مما سبق في الوصول إلى الفرضية التالية: أنه كلما زاد الدور الشخصي للرئيس في السياسة الخارجية من خلال اتخاذ القرارات وتنفيذها، كلما تغيرت معطيات السياسة الخارجية من رئيس لآخر. والتأكد من صحة هذا الافتراض سهل في حالة تطبيقه على بعض الدول النامية، لاحتكار قادتها رسم وتنفيذ السياسة الخارجية. ويتضح ذلك من خلال تصرفات وأفعال قادتها مثل حب السيطرة، والتمك، والتمتع بالسلطة، مما يؤدي غالباً إلى تسخير موارد وقدرات الدولة وتوجيه سلوكها (سياستها الخارجية) بما يتفق

مع مصالحهم ورغباتهم ونزعاتهم النابعة من تكوين شخصياتهم.

أما في الولايات المتحدة فنجد اتخاذ القرار يشكل جزءاً من مراحل السياسة الخارجية، حيث يتميز بالتعقيد البيروقراطي، فهناك الكونجرس ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالات الاستخبارات، ومجلس الأمن القومي، ووكالة الإستعلامات الأمريكية ووكالة التنميمة الدولية وغيرها من المؤسسات والهيئات الرسمية والتي تصب تقاريرها وآراءها ومعلوماتها في نهاية المطاف في البيت الأبيض ليتخذ الرئيس قراره.

ونحن في هذا المبحث لندناقش معضلة صنع القرار، ولكن أردت بهذا التقديم إعطاء صورة مبدئية يتضح من خلالها الصعوبة التي تواجهها في فهم دور الرئيس.

والسؤال المطروح الآن هو، هل هناك إسهام لشخصية الرئيس في السياسة الخارجية؟ وفي حالة وجود إسهام لشخصية الرئيس هل لها انعكاس على نهج السياسة الخارجية؟

إن إسهام الرئيس في السياسة الخارجية لا يقتصر على اتخاذ القرارات التي تأخذ صبغة إدارية وإنما يتعدى ذلك إلى استخدام قدراته الشخصية في صياغتها حيث يقول الرئيس نيكسون (ساد منذ زمن طويل اعتقاد في الولايات المتحدة واتسع انتشاره، يقول أن ماتحتاجه البلاد فعلاً هو رجل أعمال من منزلة رفيعة جداً كي يدير شؤون الحكومة رجل أثبت أنه قادر على إدارة شركة واسعة النطاق بكفاءة عالية وفعالية، وهذا الاعتقاد يخطيء الهدف. فالإدارة شيء والقيادة شيء آخر، وكما يقول وارن ج. بينيس من كلية إدارة الأعمال في جامعة كاليفورنيا الجنوبية (يضع المديرون نصب أعينهم القيام بالأعمال على النحو الصحيح بينما يهدف القادة إلى القيام بالشيء الصحيح). إن القيادة أكثر من كونها أسلوباً على الرغم من أن الأساليب ضرورية، وبمعنى آخر الإدارة نثر، والقيادة شعر، فالقائد يتعامل إلى حد كبير بالرموز والصور وبنوع من الفكرة المغلفة... والناس يقتنعون بالمنطق ويحركون بالعواطف، لذا ينبغي على القائد أن يقنعهم ويحركهم) (١٣).

مما سبق يتضح أن للرئيس إسهاماً في الأعمال المناطة به ومن ضمنها السياسة الخارجية، لكن هل هناك انعكاس لشخصية الرئيس على السياسة الخارجية؟

في دراسة قام بها الدكتور محمد إبراهيم فضة، توصلت النتائج إلى وجود علاقة بين الشخصية وصنع السياسة الخارجية (١٤) وذلك من خلال دراسته لبعض الشخصيات القيادية

منها جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية، والرئيس جون كينيدي. فقد تناول في شخصية دالاس اهتمامه بالعمل السياسي والشئون الدولية مما أدى إلى ازدياد أسلوبه الفردي في وضع القرارات ويؤكد الدكتور فضة طبيعة تلك العلاقة بقوله (يتفق المؤرخون على أن دالاس كان بدون شك المشيد الأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية في حكومة أيزنهاور. فلقد فوضه أيزنهاور لتطوير السياسة الخارجية وخصوصًا تجاه الصين والاتحاد السوفيتي، ويرجع ذلك إلى أن دالاس كان ذا خبرة ومعرفة بالدبلوماسية أكثر من معاصريه)^(١٥)؛ كما تناول في شخصية دالاس تصلبه في المواقف حيث يقول (هناك نوع من الشخصية محصن ضد التغير في مواقفه، كما هناك نوع من الشخصية يمكن إقناعها بسهولة لتغير مواقفها وشعورها. فالفرد الذي يعتبر نفسه قليل الأهمية وسلبياً في سلوكه يمكن إقناعه بسهولة إذ أن مواقفه الأصلية تفتقر إلى التأكيد والثقة. وهذا النوع من الشخصية عرضة للرضخ لمن يعتبرهم ذوي سلطة أو مركز أعلى منه، ويعتبر دالاس من النوع المحصن نظرًا لتصلبه)^(١٦). كذلك أدت خلفيات دالاس الاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى اعتماده على نفسه في جمع المعلومات إلى (أنه كان يصنع قرارات الخارجية معتمدًا على معلوماته الشخصية لا على جهاز الوزارة. ولقد أدخل أمريكا في التزامات عسكرية بدون استشارة الجهاز العسكري، والتزامات مالية دون الرجوع إلى وزارة المالية، إضافة إلى عدم إشراك السفراء في صنع قرارات تختص بمراكزهم الجغرافية)^(١٧). ويؤكد د. محمد فضة دور الشخصية في نهج السياسة الخارجية الأمريكية من خلال تحليله لشخصية الرئيس جون كينيدي حيث افترض أنه عندما يكون صانع القرارات وطنيًا شديد الحماس للدفاع عن المصلحة الوطنية، ومتحديًا للنتائج المترتبة عليه فإن شخصيته تحدد نوعية قراراته السياسية، كتلك مثلًا المتوافقة مع الأزمة الكوبية ١٩٦٢م.

ورغم أن هذه الدراسة محصورة على شخصيتي الرئيس كينيدي ووزير الخارجية دالاس إلا أنها تعطينا مؤشرًا جيدًا لدور الشخصية القيادية في التعامل مع قرارات السياسات الدولية.

على أنه من الصعوبة دراسة جميع شخصيات رؤساء الولايات المتحدة والوزراء المؤثرين. لأن دراسة كل شخص على حده تحتاج إلى بحث مستقل. أن الغرض من تعرضنا للشخصية هو إثبات وجود العلاقة بين الشخصية والسياسة الخارجية.

ويمكن لنا أن نضيف إلى دراسة الدكتور محمد فضة شخصية أخرى وهي شخصية

الرئيس كارتر التي تتسم بالبساطة والتدين، هذه الخصائص جعلته يضع معايير التعامل مع العالم الخارجي على أساس حقوق الإنسان.

من العرض السابق أيضًا يتبين لنا أن تأثير شخصيات الرؤساء يتوافق مع مصالح أمريكا، ويرجع ذلك في اعتقادنا إلى عدة أمور تتلخص في: طبيعة النظام السياسي. حيث تتكفل الوسائل والضوابط والرقابة والتحقيق إلى كبح جماح الرؤساء عن تحقيق مآربهم كما حدث لنيكسون في فضيحة ووترغيت، وريجان في فضيحة إيران (إيران جيت). أيضًا النضج السياسي الذي وصلت إليه الولايات المتحدة وبالتالي رؤساؤها والمتمثل في توظيف تلك الشخصية لأغراض الدولة وليس لأغراضه الذاتية كما هو في بعض الدول النامية، ويقول الرئيس نيكسون في هذا الصدد (السلطة تعني في السياسة فن إدارة الدولة فالحياة أو الموت، الأزدهار أو الفقر، السعادة أو التعاسة لآلاف أو حتى لملايين الناس. فما من أحد يحمل سلطة يمكن أن ينسى ذلك) ^(١٨) والمعضلة أو القضية العظمى التي تستحوذ على أي رئيس أو قائد تتجلى في إبتكار شيء جديد أو الحفاظ على شيء قديم، ومن هنا تبدأ إسهام شخصية الرئيس.

قد يكون حب الشهرة بالنسبة لشخصية أحد الرؤساء دافعًا للقيام بأعمال معينة في السياسة الخارجية، حيث يقول نيكسون (فإذا أراد أن يكون قائدًا عظيمًا فعليه أن يركز على القرارات العظمى) ^(١٩) ويستشف هذا الدافع من توجهات بعض القادة مثل سياسة الانفتاح مع الصين في عهد نيكسون، واتفاقية كامب ديفيد بالنسبة للرئيس جيمي كارتر، والتوقيع على المعاهدة الأخير (إزالة الصواريخ النووية) بالنسبة لريجان، ولكن هذه الشهرة تكون في إطار مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية.

نختم قولنا في هذا المبحث بأن عمل الشخصية يلعب دورًا في التغير الذي يعترى السياسة الخارجية الأمريكية.

الهوامش

- (١) وكالة الإعلام الأمريكية. موجز نظام الحكم الأمريكي، (د.ت) ص ١٢.
- (٢) البرت ساي وآخرون. مرجع سابق، ص ١٤٦.
- (٣) المرجع السابق، ص ١٤٦.
- (٤) المرجع السابق، ص ١٤٦.
- (٥) نلسن وبولسبي، آرون ولدفسكي. انتخابات الرئاسة (استراتيجيات السياسة الانتخابية). (دار كتابي للنشر، القاهرة، ١٩٨٤م) ص ٩١.
- (٦) هوارد بينيمان. الجهاز السياسي - الأمريكي، ترجمة د. وايت إبراهيم. (مكتبة الوعي العربي، مكان النشر غير معلوم، ١٩٦٢م) ص ٤٨.
- (٧) هوارد بينيمان. مرجع سابق، ص ٥٠.
- (٨) بروسى لى فيلكونور واخرون. حكومة الولايات المتحدة الامريكية - كيف تعمل ولماذا تعمل. ترجمة د. عبداللطيف حسين فرج (دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٤م) ص ٢٥٣.
- (٩) د. عبدالرحمن عدس، د. محيي الدين توق. علم النفس العام. (مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٨١م)، ص ٤٠٣.
- (١٠) لمزيد من التفاصيل والاطلاع على تلك النظريات راجع:
- د. عبدالرحمن عدس، د. محيي الدين توق. مرجع سابق، ص ص ٤١٢ - ٤٤٠.
- (١١) المرجع السابق. ص ٤٠٣.
- (١٢) المرجع السابق. ص ٤٠٤.
- (١٣) رتشارد نيكسون. القادة. ترجمة خضر إبراهيم. (دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٦م) ص ١٥.
- (١٤) مجلة السياسة الدولية. العدد ٧٤، اكتوبر ١٩٨٣، ص ص ٥٤ - ٧٠.
- (١٥) المرجع السابق. ص ٦١.
- (١٦) المرجع السابق، ص ٦١.
- (١٧) المرجع السابق. ص ٦١.
- (١٨) رتشارد نيكسون. القادة، مرجع سابق. ص ٤٤٧.
- (١٩) المرجع السابق، ص ٤٦٦.

الفصل الثالث

معضلات صنع القرار في الكونجرس

بعد أن تناولنا في الفصلين السابقين معضلات التغير والثبات في كل من الدستور والحكومة، كأجزاء أساسية في النظام السياسي، فإن الأمر يستلزم عندئذ إكمال الحلقة الأخيرة في النظام السياسي والمتمثلة في السلطة التشريعية (الكونجرس) ⁽¹⁾ حتى نتعرف على ما يعترى بقية الاختصاصات والصلاحيات التي يمارسها الكونجرس في الشؤون الخارجية. وذلك من خلال عملية صنع القرار. إن صناعة القرار تعني تحويل الأهداف إلى أعمال قانونية تتمثل أغلبها في صدور القوانين، وهي بدورها - تجسد الكيفية التي يتم بها تحقيق الأهداف، والتي منها تحقيق أهداف السياسة الخارجية.

وبما أن تركيزنا في هذا الفصل منصب على عملية صنع القرار، فبالتالي نجد أنفسنا مضطرين لعدم الخوض في دراسة الكونجرس من حيث نشأته وتكوينه وأعضائه... الخ، مقتصرين في ذلك على الجدول التالي، والذي يعطي صورة موجزة عن الكونجرس.

| تركيب الكونجرس | | |
|-------------------------|--------------------------|-------------------------|
| مجلس الشيوخ | مجلس النواب | |
| ١٠٠ | ٤٣٥ | مجموع عدد الأعضاء |
| ٢ | حسب عدد السكان | عدد الأعضاء من كل ولاية |
| ناخبو الولاية بكاملها | ناخبي الدائرة الانتخابية | ينتخبون من قبل |
| ست سنوات | سنتان | مدة الولاية |
| تملاً بانتخاب خاص أو عن | تملاً بانتخاب خاص أو من | الشواغر |

| «تابع تركيب الكونجرس» | | |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------|
| مجلس الشيوخ | مجلس النواب | |
| طريق تعيين مؤقت يجريه حاكم الولاية ويستمر حتى إجراء انتخابات خاصة أو إجراء الانتخابات العامة. | خلال الانتخابات العامة التالية | |
| ٥٧٥٠٠ دولار في السنة تبدأ في الثالث من كانون الثاني/يناير من كل عام | ٥٧٥٠٠ دولار في السنة تبدأ في الثالث من كانون الثاني/يناير من كل عام | الراتب |
| نائب رئيس الولايات المتحدة | رئيس مجلس النواب | دورة الانعقاد العادية |
| ١ - يوافق على المعاهدات أو يرفضها | ١ - يطرح مشاريع القوانين المدرة للدخل | رئيس المجلس |
| ٢ - يحاكم المسؤولين الذين يوجه لهم اتهام نيابي | ٢ - يوجه الاتهام النيابي إلى المسؤولين المدنيين | السلطات المقصورة على كل مجلس |
| ٣ - يوافق على التعينات التي يجربها الرئيس أو يرفضها. | ٣ - ينتخب الرئيس إذا لم يحصل أي من المرشحين لمنصب الرئاسة على أكثرية أصوات الناخبين الرئاسيين | |
| ٤ - ينتخب نائب الرئيس إذا لم يحصل أي مرشح لمنصب نائب الرئيس على أكثرية أصوات الناخبين | | |

أما من حيث صناعة القرار في الكونجرس فنجدها تتسم بالسهولة والتعقيد في آن واحد. حيث نجد السهولة تكمن في تحديد اختصاصات كل مجلس والإجراءات المنظمة لمراحل عملية صنع القرار كما هو موضح في هذا الرسم التوضيحي.

كيف يصبح مشروع القانون قانونًا

يصور الرسم البياني التالي السبيل الذي يسلكه مشروع قانون يطرح في مجلس النواب. وتتبع مشاريع القوانين التي تطرح في مجلس الشيوخ سبيلاً مماثلاً

| مجلس النواب | مجلس الشيوخ |
|------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١ - يقدم مشروع القانون و يرقم و يطبع على عدد من النسخ.. | ٤ - لدي موافقة مجلس النواب على مشروع القانون يحال إلى مجلس الشيوخ حيث يحول إلى لجنة لدراسته... |
| ٢ - .. يحال إلى لجنة تدرسه وتقدم بشأنه تقريراً إلى المجلس بكامله | ٥ - .. تتم مناقشته والتصويت عليه ربما مع تعديلات وحيث يجب أن يكون نص القانون الموافق عليه من قبل المجلسين واحد، يحال إلى |
| ٣ - .. يناقش المجلس مشروع القانون و يصوت بالموافقة عليه أو رفضه | |



لجنة مشتركة من أعضاء المجلسين...
مؤلفة من أعضاء متساوي العدد من كل من المجلسين. وعندما تحل الخلافات على النص، يحال مشروع القانون بنصه الجديد إلى كلا المجلسين للموافقة...



ثم يحال إلى الرئيس الذي يمكنه أ - أما توقيعه فيصبح قانونًا. ب - أو يعترض عليه ويرده إلى الكونغرس - في ظرف عشرة أيام باستثناء يوم الأحد - الذي يستطيع أن يعاود إصداره رغم معارضة الرئيس شرط حصوله على ثلثي أصوات المجلسين. ج - إذا لم يرسله خلال عشرة أيام يصبح القانون ساري المفعول إلا في حالة إذا أنهى الكونغرس دورته قبل مرور عشرة أيام فإن القانون يصبح غير نافذة. وتسمى هذه الحالة بالاعتراض الضمني أو فيتو الجيب.

ولكن الصعوبة تكمن فيما يحدث خلف هذه الصورة المبسطة التي تحتوي على النواب والشيوخ، والرئيس حيث توجد عناصر لها من التأثير ما قد يصل إلى حد إصدار القانون أو تجميده، وتشكل هذه العناصر معضلة أخرى في السياسة الخارجية، حيث يصعب من خلال هذه المعضلة التأكد من درجة الثبات والتغير في صناعة القرارات ذات العلاقة بالسياسة الخارجية.

إن هذه العناصر المؤثرة تكمن في كل من دور اللجان، ودور جماعات الضغط بالإضافة إلى الرأي العام ووسائل الإعلام. لكننا في هذا الفصل سنقتصر على كل من اللجان، ودور جماعات الضغط فقط، وهذا لايعنى التقليل من أهمية الرأي العام أو وسائل الإعلام في صناعة القرار، فإن دورهما يكاد يكون شبه ثابت، في تفاعله مع الأحداث، وإذا طرأ عليه أية تغيير ففي الغالب يرجع مرده إلى جماعات الضغط التي سناقشها مع دور اللجان في المبحثين التاليين:—

المبحث الأول : دور اللجان (٢) :

إن لجوء الكونجرس إلى نظام اللجان يأتي مكملًا لإتمام مهمته المتمثلة في التشريع. فإذا نظرنا إلى حجم الكونجرس الذي يضم أربعمئة وخمسة وثلاثون نائبًا، ومائة شيخًا، ونظرنا إلى الحجم الهائل للمشاريع والإجراءات التي تقدم خلال كل دورة، لأدركنا صعوبة المهمة التي يضطلع بها الكونجرس لذلك نجد أن أبرز مايتسم به الكونجرس هو الدور المهمين الذي تلعبه اللجان في إجراءاته. وقد اكتسبت اللجان الأهمية التي تتمتع بها الآن عن طريق الممارسة، وليس عن طريق الدستور الذي لاينص على إنشائها.

وتوجد أربعة أنواع من اللجان تؤدي مهامًا مختلفة وهي، اللجان الدائمة واللجان الخاصة أو المختارة، واللجان المشتركة، واللجان الفرعية. وسوف يكون تركيزنا على اللجان الدائمة بسبب استمراريتها من دورة إلى دورة بالإضافة إلى تمتعها بسلطات واسعة في التشريع. حيث يوجد في مجلس الشيوخ اليوم ثمانية عشر لجنة دائمة^(٣)، وفي مجلس النواب ثلاث وعشرون لجنة. وكل واحدة من هذه اللجان متخصصة في حقل تشريعي يعني بالشئون المختلفة كالخارجية والدفاع والأعمال المصرفية والزراعة والتجارة وتخصيص الاعتمادات وحقوق أخرى.

وقبل الدخول في مناقشة أداء هذه اللجان يجدر بنا الإشارة إلى الكيفية التي يتم بها تشكيلها، حيث (ينتخب أعضاء اللجان الدائمة في مجلس النواب بالتصويت في المجلس، لكن هذا في الواقع مجرد تصديق على قوائم اللجان التي تقررت من قبل بواسطة أداة الحزب... وتخصص عضوية اللجان بين الأحزاب. وفقاً لقوتها النسبية. فمثلاً إذا كان لأحد الأحزاب ٦٠٪ من عضوية المجلس فسيكون له عادة خمسة عشر مقعداً في لجنة قوامها خمسة وعشرون عضواً، وهكذا ينال حزب الأغلبية دائماً أكبر عدد من المقاعد في كل لجنة، وأيضاً الرئاسة)^(٤) ونفهم مما سبق أنه عندما يتصادف وجود أغلبية حزب معين في اللجنة مع الحزب نفسه في الرئاسة فإن ذلك يساعد على تيسير رغبات الرئيس في هذه اللجنة وبالتالي في المجلس المختص – (الشيوخ أو النواب).

أما عن عمل هذه اللجان فإنه يبدأ^(٥) بإحالة كل مشروع قانون مقدم إلى أحد المجلسين إلى إحدى اللجان لدراسته وتقديم التوصيات بشأنه. ويمكن للجنة الموافقة على أي مشروع يحال إليها، كما يمكنها إعادة النظر فيه أو سحبه أو رفضه، كما هو موضح في الرسم التوضيحي التالي :

أعضائها من المؤيدين لهذا المشروع فيما لو كانوا من المتحمسين له – وقد لا تكون هذه اللجنة اختصاص في هذا المشروع – وكذلك قد يحيله إلى لجنة يعرف أنها سوف تعيق المشروع أو تحفظه إن كان نائب الرئيس معارضاً لهذا المشروع. وتستغل هذه اللجان أيضاً من جماعات الضغط.

المبحث الثاني : دور جماعات الضغط :

يجدر بنا في البداية أن نميز بين جماعات الضغط وجماعات المصالح، حيث أن كل جماعة ضغط تمثل جماعة مصلحة، وليس كل جماعة مصلحة تشكل جماعة ضغط، فمثلاً هناك جمعية في الولايات المتحدة مهمتها إعلام الناس بالمرشحين ولكنها لا تضغط على السلطة، وهكذا بالنسبة لهذا النوع من الجماعات حيث أن هدفها ينحصر في منع الضرر بمصالحها وتأييد كل ما يخدمها، وهذا شيء طبيعي في مجتمع كمجتمع الولايات المتحدة الأمريكية أما جماعات الضغط فمصلحتها تكمن في الضغط والتأثير على عملية صنع القرارات لمصلحة آخرين مثل اللوبي الصهيوني.

وقبل الحديث عن دور هذه الجماعات في صناعة القرار نود ذكر بعض إيجابياتها وسلبياتها حتى نزيل شبح الغموض السائد لدى البعض عن هذه الجماعات.

فوائد جماعات الضغط :

- ١ – توفير حق الإلتماس، إذ بدلاً من أن يكون الإلتماس فردياً يكون الإلتماس جماعياً.
- ٢ – إمداد السلطة بالمعلومات، حيث تفيدها في المشروعات الجديدة.
- ٣ – الموازنة بين الجماعات، من خلال تنافسها وتصارعها فيما بينها، وهذا بدوره يؤدي إلى تشقيف الشعب. على أن هناك بعض الانتقادات السلبية الموجهة إلى هذه الجماعات ومنها الجوانب المتصلة بالوسائل التي تستخدمها بعض الجماعات للوصول إلى تحقيق مصالحها وغالباً ما تكون بعيدة عن الوسائل أو الطرق الديمقراطية. أيضاً عدم المساواة بين هذه الجماعات، حيث أن الفوائد تتناسب مع القوة وليس مع المطالب نفسها إضافة إلى طابع الأنانية والمصالح الفردية التي تتسم بها.

ولقد أسهمت طبيعة النظام السياسي والاجتماعي الأمريكي في نشوء مثل تلك

الجماعات، إذ ساعد تعدد الجنسيات والشعوب المكونة للمجتمع الأمريكي إلى ظهور الجماعات الزنجية والأيرلندية، واليونانية، واليهودية... الخ. وهذه الجماعات وجدت مناخًا مناسبًا من خلال النظام السياسي، حيث تستغل الفجوة الناتجة بين السلطات المستقلة كذلك طبيعة تشكيل نظام الأحزاب، من حيث كونها ضعيفة ومفككة، ويتميز أعضاؤها بدرجة كبيرة من الاستقلال، بخلاف النظام الحزبي في بريطانيا الذي يتسم بالانضباط، إضافة إلى وجود المؤسسات السياسية كالكونجرس ومؤسسات الحكومة المختلفة.

من خلال العرض السابق أصبح لدينا الآن فكرة مبسطة عن تلك الجماعات التي سنناقش تأثيرها على السياسة الخارجية من خلال صنع القرار في الكونجرس وإلى حد كبير على عملية اتخاذ القرار في البيت الأبيض ويمكن وضع الافتراض بأنه كلما زاد نفوذ هذه الجماعات في صناعة القرارات المتعلقة بالشؤون الخارجية — دون أن تراعى هذه الجماعات المصالح الأمريكية — فإن السياسة الخارجية الأمريكية تأخذ طابع التغير والتذبذب، إذ أن طابع الثبات يتمثل في انسجام القرارات مع المصالح الأمريكية. وللتأكد من صحة هذا الافتراض فإننا سوف نطبقه على اللوبي الصهيوني^(٦) لمعرفة مدى تأثيره على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط بصفته أقوى لوبي في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ أن نفوذه يبدأ من المواطن العادي حتى البيت الأبيض^(٧).

وفي هذا الصدد يوجد وجهتا نظر متعارضتان حول دور اللوبي الصهيوني في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، الاتجاه الأول يرى أن دور هذه الجماعات محدود بمصلحة الولايات المتحدة، والاتجاه الثاني يرى أن نفوذ هذه الجماعات هو الذي يوجه السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. ومن أجل الموضوعية في البحث نود عرض كلا الاتجاهين. الاتجاه الأول، ويتبناه الأستاذ رفيق شاكر النتشة حيث يقول^(٨): (أنا أعارض هذا الرأي الذي يقول بأن اللوبي الصهيوني يفعل ما يشاء في أمريكا، وأن اللوبي الصهيوني على كل شيء قدير، هذه خرافة طالما إن الإدارة الأمريكية تريد أن تخرج براءة، وتحتج بضغط اللوبي عليها.. اللوبي الصهيوني يعمل فيما هو محدد له ومرسوم له، فاللوبي الصهيوني ليس صاحب القرار في الإدارة الأمريكية والدليل على ذلك هذه الأمثلة التي وردت على السنة مسئولين أمريكيين وإسرائيليين ومنها:—

— حرب السويس : إن أيزنهاور أرغم القيادة الإسرائيلية على سحب قواتها من

سيناء عام ١٩٥٦م رغم إعلان بن غوريون بأن سيناء جزء من إسرائيل.
— جنوب لبنان : ١٩٧٨م أرغمت إسرائيل على الانسحاب من جنوب لبنان عبر رسالة حملت بواسطة السفير الأمريكي، كان لها أمر واضح بالانسحاب من جنوب لبنان.

— صفقة الطائرات السعودية الأواكس : أرغمت الإدارة الأمريكية كلاً من مجلس الشيوخ والنواب على تمرير الصفقة السعودية.

والسؤال هنا يبحث عن سبب اختفاء اللوبي الصهيوني عند اتخاذ مثل تلك القرارات السابقة، ثم أين اللوبي الآن تجاه الانتفاضة في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

في يقيني أن المسئول الأول عن القرار الأمريكي هو الإدارة الأمريكية لأنها هي التي تعطي وتمنع وتسخر اللوبي الصهيوني في حدود ما هو مرسوم له وبذا فإن الأخير ليس بصاحب القرار^(٩).

أما الاتجاه الثاني الذي يرى أن اللوبي الصهيوني يسير السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط فيبدأ حجته بتفنيد الحجج التي اعتمد عليها الرأي الأول والتي من أهمها موقف الرئيس الأمريكي أيزنهاور من العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م، حيث لم يراخ رغبة إسرائيل في توسيع عدوانها على مصر، فقد فسر الموقف الذي اتخذته الرئيس أيزنهاور بالمحافظة على المصالح الإسرائيلية وليس العكس كما يعتقد البعض. فالاتحاد السوفيتي أصدر ما يسمى بإنذار بولغانين للدول المعتدية على مصر، مما جعل أيزنهاور يتخذ موقفاً من شأنه إبعاد الاتحاد السوفيتي عن المنطقة، وبالتالي إبقاء النفوذ الأمريكي فيها، وهذا بدوره يمكن الولايات المتحدة من مساندة إسرائيل بعيداً عن أي تهديدات سوفيتية. إضافة إلى ماتقدم فإن موقف أيزنهاور لم يكن موجهاً لإسرائيل بقدر ما هو موجه لكل من فرنسا وبريطانيا، التي سعت الولايات المتحدة من خلاله إلى فرض سيطرتها على المنطقة، وكبح جماح فرنسا وبريطانيا.

ومن ثم يبرز الاتجاه الثاني من خلال النشاط الذي يقوم به اللوبي الصهيوني في مراكز صنع القرارات الخاصة بالسياسة الخارجية الأمريكية، وكما يقال فإن (اللوبي الصهيوني حقيقة واضحة للأمريكيين قبل العرب، وتحدثت عنها وسائل الإعلام الغربية قبل العربية... فهذا اللوبي يشكل جماعات ضغط سياسي تمارس تأثيرها ونفوذها وحتى

إرهابها، لإقناع أو ترويع السياسيين الأمريكيين «أعضاء الكونجرس والحكومة وكبار المسئولين» لكي يفكروا مرتين قبل اتخاذ أي قرار أو التصويت عليه، ويسألون أنفسهم سؤالاً هاماً: ماهي طبيعة وأهداف هذا القرار من المنظور الإسرائيلي؟ وهذا بالضبط ماتسعى إليه جماعات الضغط الصهيونية بعد أن نجحت في اقناع السياسيين الأمريكيين بأن (مصلحة أمريكا هي مصلحة إسرائيل) (١٠)؛

ونحن في هذا الصدد لانرجح أحد الإتجاهين على الآخر، بسبب أنها يحتويان على عدد من نقاط الالتقاء التي يمكن توضيحها على شكل رأي معتدل يوفق بينهما ويستلزم هذا الاتجاه الإجابة أولاً على عدد من الأسئلة وصولاً إلى الحقيقة.

- ١ - لماذا تكون جماعات الضغط الصهيونية أكثر تأثيراً من الجماعات الضاغطة الأخرى في الولايات المتحدة الأمريكية؟
- ٢ - هل هناك اتفاق بين المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط والأهداف التي تسعى الجماعات الصهيونية لتحقيقها؟

إن الإجابة على التساؤل الأول تكمن في العناصر التي تميزها عن غيرها والتي منها دقة التنظيم، والسيطرة على الأماكن الحساسة في مراكز صنع القرار، وامتلاكها لرؤوس الأموال الضخمة ووسائل الإعلام... الخ. وبالنسبة للإجابة على التساؤل الثاني المتعلق بمدى الاتفاق بين المصالح الأمريكية وأهداف هذه الجماعات نجد اتفاقاً كما نجد تعارضاً في نفس الوقت، حيث يكمن الاتفاق في كون إسرائيل مصلحة لكلا الطرفين. بينما يكمن التعارض في مصالح الولايات المتحدة تجاه بقية دول المنطقة مع أهداف هذه الجماعات تجاه هذه الدول (١١)؛

وعلى ضوء هذا التحليل، وبناء على الافتراض السابق - (أنه إذا زاد نفوذ هذه الجماعات في صناعة القرارات المتعلقة بالشئون الخارجية، دون أن تراعى هذه الجماعات المصالح الأمريكية، فإن السياسة الخارجية الأمريكية تأخذ طابع التغير والتذبذب والعكس صحيح) - فإننا نتوصل إلى النتيجة التالية وهي أن هناك استقراراً في السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل بسبب تنامي مصالحها معها، إضافة إلى استقرار نشاط اللوبي الصهيوني في الكونجرس وتذبذب - إلى حد ما - في السياسة الأمريكية تجاه بقية دول المنطقة بسبب عدم قدرتها - في بعض الأحيان - على التوفيق بين مصالحها في دول

المنطقة من جهة وبين أهداف هذه الجماعات وإسرائيل من جهة أخرى. إلا أن هذا التغيير أو التذبذب ليس بالشكل الواضح، ويرجع ذلك إلى تعزيز الولايات المتحدة لعنصر المصلحة على عنصر تأثير تلك الجماعات، وهذا يتم وفق الجهود التي تبذلها الحكومة الأمريكية لتحقيق ذلك من خلال إقناع أعضاء الكونجرس وتخفيف حدة الصراع في المنطقة، والقيام بدور البوليس في المنطقة إضافة إلى المصالح المتبادلة مع بقية دول المنطقة.

الهوامش

- (١) لمزيد من التفاصيل حول تلك الاختصاصات. راجع الملحق التابع لهذا البحث والخاص بالدستور الأمريكي.
- (٢) للمزيد من التفاصيل عن اللجان راجع في هذا الصدد:—
— البرت ساي. مرجع سابق. ص ص ٣٠٢ — ٣١٠.
— وكالة الاعلام الأمريكية. موجز نظام الحكم، مرجع سابق، ص ص ٥٨ — ٦٣.
- (٣) المرجع السابق، ص ٦٢.
- (٤) البرت ساي، مرجع سابق، ص ٣٠٢.
- (٥) وكالة الاعلام الأمريكية. موجز نظام الحكم، مرجع سابق، ص ٦٢.
- (٦) لمزيد من التفاصيل عن اللوبي الصهيوني راجع:
— د. عبدالرحمن محمد الجديع «اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية». مجلة الدراسات الدبلوماسية. الرياض، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ص ٨٧ — ٩٣.
— مجلة المجلة. لندن، العدد ٢٠٨، ٤ — ١٠ فبراير ١٩٨٤م، ص ص ٢٦ — ٣٠.
— مجلة المستقبل. باريس، العدد ٣٣٤، ١٦ يوليو ١٩٨٣م، ص ص ٢٧ — ٣٤.
- (٧) مجلة المستقبل، مرجع سابق، ص ٢٧.
- (٨) لقد آثرنا ذكر نص هذا الرأي دون إدخال أي تعديل أو حذف أو صياغة بقدر المستطاع.
- (٩) محاضرة عن القضية الفلسطينية القاها ممثل مكتب منظمة التحرير الفلسطينية لدى المملكة الأستاذ رفيق شاكر النتشة في معهد الدراسات الدبلوماسية بالرياض التابع لوزارة الخارجية في يوم السبت ١٥/٨/١٤٠٨هـ.
- (١٠) مجلة المجلة، مرجع سابق، ص ٢٦.
- (١١) سوف نتعرض لهذه النقطة بشيء من التفصيل في الباب القادم.

الباب الثالث

معضلات التغيير والثبات في مضمون السياسة الخارجية الأمريكية (الأهداف والوسائل)

مع التطبيق على منطقة الشرق الأوسط

لقد كان الغرض من دراستنا للباين السابقين الوصول إلى فهم وتحليل هذا الباب الذي نعتبره تطبيقًا لما ورد فيها، حيث يمكن التأكد من صحة ربطنا للتغيير والثبات في السياسة الخارجية الأمريكية من الناحية التاريخية بتطور العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، وكذلك بالنسبة إلى ترجمة أهداف وقرارات النظام السياسي، وانعكاس الوضع الداخلي على النهج الخارجي.

من المفترض في هذا الباب تناول أهداف ووسائل السياسة الخارجية بشكل عام من خلال تقسيم العالم إلى عدة أقاليم مثل أوروبا وشرق آسيا وأمريكا اللاتينية والكتلة الاشتراكية وأفريقيا ومنطقة الشرق الأوسط.. الخ ومن ثم مقارنة تلك الأهداف والوسائل فيما بين تلك الأقاليم للوصول إلى خصائص مشتركة يمكن من خلالها تحديد نمط أهداف ووسائل السياسة الخارجية الأمريكية ككل. لكن عامل الزمن المحدود جعلنا نقتصر على منطقة الشرق الأوسط وبالتحديد على موقع الصراع العربي الإسرائيلي ومنطقة الخليج، على أمل أن نكملة في وقت لاحق — إن شاء الله — وهذا الإجراء الذي اتبعناه لا يخل بعوامل البحث الذي تناولناها في الباين السابقين، إذ يعتبر ما توصلنا إليه فيها شيئًا ثابتًا لا يتأثر في حالة دراستنا للسياسة الخارجية الأمريكية بشكل عام أو اتجاه إقليم معين.

معضلات التغيير والثبات في الأهداف

لعل أولى الصعاب التي تواجهنا في بداية هذا الفصل هو تحديد أهداف السياسة الخارجية الأمريكية (فالمرء يجد صعوبة في تحديد الأهداف الحقيقية لأي دولة من الدول، لأن ما يسمى بالأهداف الوطنية يختلف من دولة لأخرى ومن قيادة لأخرى، مع أن جميع الدول تصطنع لنفسها أهدافاً عليا وتسخر جميع إمكانياتها لخدمة هذه الأهداف)^(١). على أن هناك عدة نظريات وكتابات حاولت تحديد الأهداف الرئيسية للسياسة الخارجية. وفي هذا البحث سنقتصر على اتجاهين فقط: الأول يحاول تحديد الأهداف من منظور الأولويات والاتجاه الثاني: يحددها من منطلق مفهوم المصلحة الوطنية.

فالنسبة للاتجاه الأول فإنه يعتمد في تحليله لأهداف السياسة الخارجية على أولويات معينة تبدأ من مرحلة الرفاهية والتوسع. وإجمالاً يمكن تلخيصها في الآتي^(٢):-

- ١ - حماية السيادة الإقليمية ودعم الأمن القومي: ويعني هذا الهدف المحافظة على كيان الدولة وعدم التفريط فيه مهما بلغت الضغوط التي تتعرض لها.
- ٢ - تنمية مقدرات الدولة من القوة حتى تتمكن الدولة من تحقيق الهدف الأول معتمدة على نفسها.
- ٣ - زيادة مستوى الثراء الاقتصادي للدولة، وتم بطريق عديدة منها البحث عن الموارد وتنميتها أو من خلال الاستثمارات الخارجية.. الخ. وزيادة مستوى الثراء مكمل لتحقيق الهدف السابق وهو تنمية القوة التي تتطلب موارد مالية.
- ٤ - التوسع: وهذا الهدف يأتي بعد تحقيق الأهداف السابقة، وخير مثال لذلك التوسع في ألمانيا النازية التي كانت تؤمن بنظرية إمتداد المجال الحيوى.
- ٥ - الدفاع عن أيديولوجية الدولة أو العمل على نشرها في الخارج.
- ٦ - الأهداف الثقافية.

إن هذه الأهداف السالفة الذكر تختلف من دولة لأخرى ومثال ذلك أن الدفاع عن أيديولوجية معينة قد يأتي قبل التوسع، كذلك بالنسبة لزيادة مستوى الثراء الاقتصادي فقد تصبح منافسة للهدف الأول ألا وهو تحقيق الأمن القومي (فعلى الصعيد القومي يتلاشى التمييز بين ما يعرف بالسياسات العليا، «الرئيسية» وهي السياسات ذات الصلة بالأمن القومي، والسياسات الدنيا «الثانوية» وهي السياسات ذات الصلة بالوضع الاقتصادي والاجتماعي في الدولة، فأصبح الوضع الاقتصادي يحتل مكانة أكبر في تفكير وحياتة الأمم والشعوب)^(٣) أما بالنسبة لمعيار الأمن القومي فإن مفهوم الأمن القومي يختلف من دولة إلى أخرى وفق إمكانيات كل منها، كما يختلف من حيث نطاقها، (فالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قوتان عظيميان ولايستطيع أحد القضاء على استقلالهما الوطني... ومع ذلك نجدهما تنفقان أكثر الأموال والقوة البشرية والموارد والجهود في متابعة مايعتبر من أمنها القومي... وتفسير ذلك يرجع إلى «قانون باركنسون» في الأمن القومي حيث يزداد إحساس أمة بعدم الأمن تزايداً مباشراً مع زيادة قوتها)^(٤). وهذا الاتجاه في تحديد الأهداف الخارجية يشوبه نوع من القصور. أما الإتجاه الثاني الذي يرى أن أهداف السياسة الخارجية يجب أن تعرف بمفهوم المصلحة القومية، فإن المعضلة فيه تكمن في تفسير المصلحة إذ يرى الدكتور هنري كيسنجر^(٥) أنه من الصعب تحديد المصلحة الحيوية حتى يمكن الدفاع عنها. وقد أدت هذه الصعوبة إلى ظهور أهدافاً مشوشة، مما ترتب عليها أعباء كثيرة منها: مضاعفة التعهدات والمصارعة في أحيان كثيرة إلى الإعلان عن العزم في التدخل المحتمل، أو في الوقت المناسب، أو في حالة وجود مصلحة أمريكية، أو في حالة المساس بهذه المصلحة. ومع ذلك فهناك بعض الآراء التي تحدد المصلحة القومية للولايات المتحدة الأمريكية. وتستند في تفسيرها إلى النظرية الواقعية أو نظرية سياسية القوة التي أسهم في تطويرها هانس مورجنثو. فيقول الدكتور محمد عشقي^(٦) في هذا الصدد أن (مفهوم المصلحة الوطنية يتضمن اهتمام الدولة بفوائد الجيوبولتكس والعسكرية والاقتصادية في علاقاتها مع الدول الأخرى، ويمكن تحديد المصالح القومية للولايات المتحدة على النحو التالي:-

تحدد المصلحة الجوهرية بإبقاء أمريكا كمجتمع حر، ثم الأمن القومي والتأثير السياسي والانتعاش الاقتصادي، وتعزيز التجارة وغيرها. غير أن الحربين العالميتين قد

برهنتا على أنه ليس هناك حماية للحرية في سياسة العزلة، كما أثبتت التجربة الحديثة أن الحرية معرضة للخطر في حالة التدخل في شئون الدولة الأخرى بطريقة غير قانونية وهذا فإن العمق القانوني (الأخلاقي) لمفهوم أمريكا للمصلحة القومية يضع قيودًا على الأدوات التي تستعمل في الوصول إلى الأهداف السياسية والاستراتيجية والاقتصادية، مما يؤدي إلى التزام أمريكا بقواعد الشرعية والعدالة في علاقاتها مع الدول الأخرى، إضافة إلى تدعيم قواعد الحرية والأمن الأمريكي في الداخل. وهذا فقد استخدمت الولايات المتحدة ثلاثة أنواع مميزة لمفهوم المصلحة القومية منذ الحرب العالمية الثانية وهي: —

أولاً : المفهوم العقائدي في المصلحة القومية :

يرتبط هذا المفهوم بمبدأ ترومان (١٩٤٧م) الذي يشير إلى أن الحرب الباردة هو صراع بين نظامين، أي الرأسمالية والإشراكية.

ثانيًا : مفهوم الجيوبولكتس في المصلحة القومية :

يرتبط هذا المفهوم (الجيوبولكتس) بالرئيس نيكسون ووزير خارجيته الدكتور هنري كيسنجر الذي يعالج العلاقات الدولية على أنها صراع مستمر من أجل القوة في سبيل تحقيق المكاسب السياسية والعسكرية والاقتصادية.

ثالثاً : المفهوم القانوني في المصلحة القومية :

يرتبط هذا المفهوم أصلاً بالرئيس ويلسون الذي يشير إلى أن هناك خطورة في تطبيق سياسة القوة وأن المصلحة الوطنية تتطلب فرض قيود على سلوك الدولة من خلال المؤسسات الدولية.

وبالإمكان توضيح التغيرات في علاقات الولايات المتحدة مع غيرها من الدول من خلال تطبيق هذه المفاهيم عن المصلحة القومية على نحو يتضمن المفهوم العقائدي للمصلحة الوطنية يشكل الصراع بين النظامين المختلفين (رأسمالي اشتراكي) كذلك الاعتراف بالوضع الراهن (Status que) دون الإلتزام بالقيم والأخلاقيات الدولية. أما مفهوم الجيوبولتكتس فإن تطبيقه في غياب العمق القانوني ربما قد يؤدي إلى عواقب غير متوقعة النتائج، وخاصة في عصر يسوده سباق التسلح بالأسلحة التقليدية والنووية. وفيما يختص بالمفهوم المبني على القوانين الدولية فإن الولايات المتحدة تدرك أن الاستقرار السياسي في العلاقات الدولية يحتاج إلى قواعد منفذة لهذه المبادئ وكذلك إلى مؤسسات تثبط العزائم

أمام استخدام القوة المجردة أو الإخلال بالسلم والأمن الدوليين.

مما سبق يمكن أن نستشف المعضلات التي من خلالها تصبح أهداف السياسة الخارجية ثابتة أو متغيرة ومن أهمها معضلة طبيعة الأنظمة السياسية، ومعضلة الرعب النووي. وسنطبق هذا الوضع على منطقة الشرق الأوسط:

أولاً : معضلة طبيعة الأنظمة السياسية لدول المنطقة :

يمكن القول بأن معضلة طبيعة الأنظمة السياسية لدول المنطقة هي التي تحدد إلى حد ما ثبات وتغير أهداف السياسة الخارجية الأمريكية (ونقصد بالأهداف هنا الأهداف القابلة للتحقيق وليس الأهداف الخيالية) – وفي هذا الصدد يقول الرئيس ريجان^(٧): إذا ما طرحت الخطابة جانباً يمكن القول أن المصلحة الأمريكية القصوى في الشرق الأوسط هي الحيلولة دون وقوع المنطقة تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي. ذلك أنه إذا سمح لموسكو أو حتى لحلفائها الراديكاليين في المنطقة أن يحققوا سيطرتهم أو يحصلوا على موقع يمكنهم من تضيق الخناق على مورد الغرب من النفط في منابعه الأصلية أو خطوط نقله التجارية، فإن الخطر سيهدد اقتصاديات الدول الصناعية الغربية الرئيسية وسيضعف إلى حد خطير قدرة حلف شمال الأطلسي واليابان على مقاومة الضغوط السوفياتية، والواقع أن أية حكومة أمريكية تسمح بأن تضع التوريدات النفطية إلى حلفائها موضع تساؤل، إنما تستدعي بالتأكيد تحييد أوروبا الغربية واليابان ومحاصرة الصين وفي النهاية عزلتها هي ذاتها.

فالمنطقة تتسم بالصراع والتوتر اللذان يعود سببها إلى الطبيعة الطائفية المفتنة لمجتمع الشرق الأوسط، فالنزاعات الإقليمية بين الدول العربية المتواصلة والدائمة، إضافة إلى المنافسات الدينية^(٨) حصر الاختيار الأمريكي في إسرائيل كموقع قدم ثابت. ويرجع ذلك إلى عدة أمور منها:—

١ — إن إسرائيل هي الحليف الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد سقوط الشاه. حيث ترى الولايات المتحدة أن الدول الأخرى الموالية للغرب ضعيفة ومعرضة للخطر.

٢ — إن إسرائيل تتميز باستقرار النظام السياسي الديمقراطي.

٣ — إن إسرائيل تقدم خدمات للولايات المتحدة عن طريق أجهزة استخباراتها التي تقدم المعلومات عن التطورات الجارية في المنطقة. وعن طريق استخدام تسهيلات ومطاراتها.

٤ - تتمتع إسرائيل بوجود تقنية عالية من خلال توفر المعرفة التقنية والخبراء، والتي من شأنها تسهيل مهمة الولايات المتحدة في صيانة الأسلحة الأمريكية في المنطقة.

٥ - تعتبر إسرائيل خط دفاع أول عن المصالح الأمريكية في المنطقة ضد النفوذ السوفيتي.

ومما سبق فإن اعتماد الولايات المتحدة على بعض الدول العربية كمصر مثلاً، لايعنى على أي مستوى إحلالها محل إسرائيل كونها صديقة للولايات المتحدة في فترة معينة. ولذلك ترى الولايات المتحدة^(٩) ضرورة المحافظة على قوة إسرائيل من خلال تزويدها بالمساعدات اللازمة لزيادة مقدرتها العسكرية، ومعارضة إنشاء دولة فلسطينية على حدودها حتى لا تضعف من قوتها. ومن هذا العرض السابق نرى أن الأهداف الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط باتت واضحة جلية حيث تكمن في السعي إلى إبعاد النفوذ السوفيتي بواسطة دولة أو دول حليفة أو صديقة تملك درجة عالية من الاستقرار السياسي، وعليه فقد أصبحت الأنظمة السياسية تشكل معضلة لاستمرار وثبات الأهداف الأمريكية، وخير مثال على ذلك هو تغير النظام في إيران، حيث كانت الولايات المتحدة تعتمد عليها وإلى حد كبير في تنفيذ سياساتها في الشرق الأوسط وخاصة في منطقة الخليج العربي، أما وقد تغيرت الأوضاع الإيرانية فإنها بدأت تعتمد على نفسها من خلال اساطيلها الموجودة في الخليج. وبالرغم من ذلك فإنها لا زالت تسعى إلى جذب إيران مرة أخرى سواء من خلال النظام القائم حالياً أو بمحاولات إغرائها بتقديم الأسلحة. مما يتعارض مع تصريحات المسؤولين الأمريكيين الذين يعلنون الحياد تجاه الحرب العراقية - الإيرانية. ومنهم الرئيس ريجان الذي أوضح في مقابلة له نشرت في صحيفة القبس الكويتية^(١٠)؛ موقف بلاده قائلاً: (إن الولايات المتحدة تقف على الحياد في الحرب العراقية الإيرانية ونحن الآن لانسحق الأسلحة إلى إيران أو العراق، ولاننوي أن نفعل ذلك، وهذه سياسة ثابتة، إذ أننا لانريد غالباً أو مغلوباً في هذه الحرب)^(١١).

ونخلص مما سبق إلى أن الأنظمة السياسية تلعب دوراً مهماً في توجيه أهداف السياسة الخارجية الأمريكية. حيث أن تغيرها وعدم استقرارها تدفع بالولايات المتحدة إلى انتهاج سياسات مترددة مما يجعل البعض ينفي وجود سياسة محددة لها. وفي هذا الصدد

يقول ستيف غرين (عندما حل عام ١٩٨٥ - ١٩٨٦م لم تكن لدى الهيئات التي تتألف منها الحكومة الأمريكية إطارًا لسياسة محددة المعالم إزاء النزاع في الشرق الأوسط وإزاء إمداد إيران بالأسلحة بالرغم من أنه كانت لإدارة ريجان بعض الآراء الخارجية إزاء الشرق الأوسط ترددها في المناسبات التشريعية. وبالرغم من أن وزارة الخارجية كانت تعقد المؤتمرات اليومية، إلا أن المرء لا يجد في هذا كله ما يستحق أن يوصف بأنه سياسية) (١٢).

ثانيًا : معضلة الرعب النووي :

لو رجعنا إلى ماسبق أن بيناه في الباب الأول بخصوص تطور العلاقات بين الدولتين العظميين (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي) من الحرب الباردة إلى الوفاق، لوجدنا أن العامل الأساسي في ذلك التحول هو تطور السلاح النووي، وهذا التطور في الأسلحة النووية وما يترتب عليها من دمار شديد أولد ما يسمى بالرعب النووي الذي بات يحكم تحركات العملاقين.

وقد رؤي بضرورة عدم النزج بالأهداف السياسية للقوتين العظميين في الحروب والصراعات الإقليمية التي من شأنها أن تؤدي إلى تصادمها ولا سيما أنه في الإمكان تحقيق السيطرة الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية باتفاق بينهما. وهذا ما نلاحظه في اجتماعات قمته حيث يتشكل مدار البحث في أغلبها حول ثلاثة أمور رئيسية تتلخص في الأسلحة النووية وحقوق الإنسان والحروب والنزاعات الإقليمية. وهذا يمثل عامل تثبيت للأهداف من حيث نطاقها أو مداها الجغرافي أو من حيث نوعيتها. ولذلك سعت الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة إلى محاولة كسر هذا الطوق الذي يحيط بأهدافها من خلال تطوير برامج الأسلحة الدفاعية - حرب النجوم - (١٣).

على أن السياسة الأمريكية تسعى دائمًا إلى نشر الهيمنة الأمريكية من خلال محاربة الشيوعية والأنظمة التي تؤيدها. ودعم الدول التي تسير في فلكها كإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط، مستخدمة الوسائل التي تناسبها لتحقيق هذا الهدف.

الهوامش

- (١) د. عبدالله سعود القباع. السياسة الخارجية السعودية. (مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٩٩.
- (٢) د. اسماعيل صبرى مقلد. العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات. ط ٢، (جامعة الكويت، الكويت، ١٩٧٩م)، ص ١٣٠.
- (٣) د. محمد إبراهيم الحلوة. (التسهيلات المالية السعودية للدول الافريقية مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، صيف ١٩٨٧، ص ١٥.
- (٤) كارل و. دويتش تحليل العلاقات الدولية. ترجمة محمود نافع (مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م) ص ١١١.
- (٥) هنرى. أ. كيسنجر. مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية. ترجمة د. حسين شريف (مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م)، ص ٨٠.
- (٦) مقابلة أجراها الباحث مع استاذ السياسة الدولية بمعهد الدراسات الدبلوماسية الدكتور محمد عشقى في ١٥ ذو القعدة ١٤٠٨هـ.
- (٧) من مقال للرئيس ريجان كتبه قبل سنة من توليه منصب رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية. مركز الشرق الأوسط للأبحاث والمعلومات. النشرة الاستراتيجية. لندن، العدد الرابع، ٢٧ مارس ١٩٨٠م.
- (٨) هذه تمثل وجهة النظر الأمريكية تجاه المنطقة.
- (٩) المرجع السابق.
- (١٠) جريدة القبس. الثلاثاء ٢٢ رمضان ١٤٠٧هـ / ١٩ مايو ١٩٨٧م. السنة السادسة عشر، العدد ٥٣٩٤، الكويت.
- (١١) المرجع السابق.
- (١٢) ستيف غرين. بالسيف (امريكا وإسرائيل في الشرق الأوسط ١٩٦٧ - ١٩٨٧م). جريدة الرياض. العدد ٧٢٤٨ الأربعاء ١١ رمضان ١٤٠٨هـ / ٢٧ ابريل ١٩٨٨م.
- (١٣) لمزيد من التفاصيل عن الاستراتيجيات النووية الأمريكية راجع:
— د. اسماعيل صبرى مقلد. قضايا دولية معاصرة. مرجع سابق. ص ٨ - ٤٥.
— مركز الشرق الأوسط للأبحاث والمعلومات. النشرة الاستراتيجية. لندن، المجلد الثاني، العدد ١٥، ٢٧ أغسطس ١٩٨١م.

معضلة التغير والثبات في أدوات السياسة

الخارجية الأمريكية

إن أهداف السياسة الخارجية الأمريكية التي تطرق إليها البحث في الفصل السابق تحتاج إلى ترجمة وتنفيذ. ولا يتم هذا إلا من خلال أدوات أو وسائل معينة تتمثل في الدبلوماسية والقوات المسلحة والدعاية والأدوات الاقتصادية (المساعدات، العقوبات الاقتصادية) وجهاز الاستخبارات. ويرى البعض أن للسياسة الخارجية أداتان هما الدبلوماسية والحرب، مستندين في ذلك إلى طبيعة العلاقات الدولية (حرب وسلام)، إلا أن هذا الرأي يتسم بنوع من التعميم، لوجود حالات يتعذر فيها استخدام هاتين الأداةين، فعلى سبيل المثال، عندما تلجأ دولة (أ) إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع دولة (ب) ولم يترتب على قطع هذه العلاقات استخدام القوة المسلحة، فإنه بطبيعة الحال يتعذر استخدام أحد الأسلوبين السابقين. ولذا تأتي الأساليب الأخرى المكملة أهمها الدعاية التي تعنى بنشر الأفكار ووجهات النظر والمواقف المرغوب أن يتبناها الآخرون وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة أو من خلال الخطب، التصريحات... الخ. ونخلص من ذلك إلى أن أدوات السياسة الخارجية لا تنحصر في أداتين كما يعتقد البعض وإنما في أكثر من ذلك.

وفي بحثنا هذا لن نتعرض إلى معضلات التغير والثبات بالبحث في جميع الأدوات المستخدمة في تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية، لأن بعض هذه الأدوات يصعب قياس درجة تغيرها أو ثباتها كالاستخبارات مثلاً كما أن بعض الأدوات تأتي ثابتة بطبيعتها كالقوة المسلحة أو متغيرة كالدعاية، ومن ثم ينتفى الغرض الذي من أجله أعد هذا البحث الذي يبحث في تحليل العملية الانتقالية ما بين التغير والثبات والعكس. لهذا سيكون مدارنا

في هذا الفصل حول أداتين فقط هما الدبلوماسية، والأداة الاقتصادية (المساعدات الخارجية).

المبحث الأول : معضلات التغير والثبات في الاداة الدبلوماسية :

رغم التوسع في مفهوم الدبلوماسية وتعريفها فإن المحور الرئيسي لها يكمن في المفاوضات باعتبارها (الوسيلة التي تعبر عن محاولات الدول أيًا كانت لتحقيق مصالحها الوطنية عن طريق المحافظة على الأوضاع القائمة أو تغييرها وبما ينعكس دومًا على كيفية تلك المصالح)^(١). لذا يمكن تقسيم دبلوماسية الولايات المتحدة إلى قسمين على أساس عدد الأطراف في المفاوضات، فهناك الدبلوماسية الثنائية التي تتم بين الولايات المتحدة وغيرها من الدول والدبلوماسية المتعددة الأطراف التي تتم عبر المؤتمرات أو المنظمات الدولية.

المطلب الأول: معضلات التغير والثبات في الدبلوماسية الثنائية للولايات المتحدة الأمريكية:

رغم التطور الذي حدث في طريقة عمل الدبلوماسية مثل العلنية، فإن طابع السرية لازال يمثل جوهر الدبلوماسية الثنائية للولايات المتحدة الأمريكية، ويحاول العديد من المسؤولين الأمريكيين إقرار ذلك النهج في معظم العلاقات الدبلوماسية، ويؤكد هذا النهج الرئيس نيكسون حيث يقول: (السرية زاوية حادة، لا بد منها في إدارة العلاقات الدولية، سواء في التعامل مع الصديق أو مع الخصم، إذ بدون السرية وضمائها يظل الأمر ضعيفًا في تحقيق أي شيء)^(٢).

ومن خلال التأكيد السابق على طابع السرية أصبحت دراستها تمثل معضلة في تغير وثبات النهج الدبلوماسي للولايات المتحدة، حيث لا يمكن الاعتماد على ما هو معلن فقط رغم طبيعة النظام السياسي في الولايات المتحدة المتسم بالحرية والانفتاح. فالأعمال السرية غالباً ما تكون خاضعة لتأثير شخصية المفاوض^(٣) وبالتالي يدخل فيها عنصر التغير من خلال تبديل الشخص أما المعضلة الثانية التي تؤثر في عملية التغير والثبات للدبلوماسية الثنائية فهي معضلة الاختيار بين البدائل، فإذا وفق متخذ القرار في اختيار البديل المناسب مع نهج السياسة الخارجية، دل ذلك على ثبات تلك السياسة والعكس صحيح، فالتغير والتذبذب في السياسة الخارجية يأتي عندما لا يحسن اختيار البديل المناسب ومن ثم توصف هذه السياسة بأنها عملية رد فعل أو أنها تفتقر إلى المصداقية، وخير مثال

على ذلك صفقة الأسلحة الأمريكية لإيران والمعروفة بفضيحة إيران جيت حيث، كان أمام الحكومة الأمريكية خياران. الأول يتمثل في إتمام الصفقة بهدف إطلاق سراح بعض الرهائن الأمريكيين في لبنان والحصول على ربح مالي يقدم مساعدة لثوار نيكارجوا، والثاني يتمثل في عدم إتمام الصفقة، لأن الطرف الآخر... ألا وهو إيران يعتبر من الدول الممونة للإرهاب كما بين ذلك الرئيس ريجان في إحدى خطبه، إضافة إلى إعلان الولايات المتحدة عدم تزويد طرفي النزاع في الحرب العراقية - الإيرانية بالأسلحة حتى يستجيبا للقرارات الدولية التي تنادى بوقف الحرب.

مما سبق نلاحظ مدى التناقض في الخيارات، حيث أن الأول قد استهدف تحقيق مصلحة مؤقتة ترتبت عليها آثار سيئة تمثلت في ردود الفعل السلبية داخل الولايات المتحدة وخارجها. أما الثاني فقد احتاج إلى نفس عميق ورؤية هادئة، لم تمكن الولايات المتحدة من تحقيقه. وهكذا اتسمت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بطابع التغير والتذبذب كلما ساء الاختيار بين البدائل.

المطلب الثاني : معضلات التغير والثبات في دبلوماسية الولايات المتحدة في المنظمات الدولية (الأمم المتحدة):

لقد تأثرت دبلوماسية الولايات المتحدة في الأمم المتحدة بعلاقتها مع الاتحاد السوفيتي حيث تنعكس هذه العلاقات على تصرفاتها في هذه المنطقة. والملفت للنظر هو تصرفها في مجلس الأمن من خلال استخدام حق النقض (الفيتو) حيث تزامن استخدامها لهذا الحق مع فترة الوفاق بين العملاقين، فقد استخدمته ثمانية وثلاثين مرة من مجموع مائة وتسعين مرة في الفترة ما بين ١٦ فبراير ١٩٤٦م و٦ سبتمبر ١٩٨٤م^(٤).

والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة لم تستخدم حق النقض إطلاقًا في مجلس الأمن إلا بحلول عام ١٩٧٠م وكان ذلك في عهد الرئيس جونسون، وبعد ذلك استخدمت حق الفيتو خمسة عشرة مرة فيما يتعلق بالشرق الأوسط وكان ذلك ضد مصلحة الدول العربية:—

١ — القرار رقم ١٦٦٢ S/PV بتاريخ ١٠/ سبتمبر ١٩٧٢م المتضمن حرق إسرائيل لوقف إطلاق النار الذي أمر به مجلس الأمن عام ١٩٦٧م.

٢ — القرار رقم ١٩٣٥ S/PV بتاريخ ٢٦/ يوليو ١٩٧٣م المتضمن حرق إسرائيل لوقف إطلاق النار.

- ٣ - القرار رقم ١٨٦٢ S/PV بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٧٥م المتضمن خرق إسرائيل لوقف إطلاق النار.
- ٤ - القرار رقم (بدون) بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٧٦م المتضمن إنتهاك حقوق الفلسطينيين.
- ٥ - القرار رقم ٢٢٢٠ S/PV بتاريخ ٣٠/ أبريل ١٩٨٠م المتضمن إنتهاك حقوق الفلسطينيين.
- ٦ - القرار رقم ٢٣٢٩ S/PV بتاريخ ٢٠/ يناير ١٩٨٢م المتضمن ضم إسرائيل للجولان.
- ٧ - القرار رقم ٢٣٤٨ S/PV بتاريخ ٢/ أبريل ١٩٨٢م المتضمن طرد عمدتي نابلس ورام الله.
- ٨ - القرار رقم ٢٣٥٧ S/PV بتاريخ ٢٠/ أبريل ١٩٨٢م المتضمن الهجوم على المسجد الأقصى.
- ٩ - القرار رقم ٢٣٧٧ S/PV بتاريخ ٨/ يونيو ١٩٨٢م المتضمن الهجوم على لبنان.
- ١٠ - القرار رقم ٢٣٨١ S/PV بتاريخ ٢٦/ يونيو ١٩٨٢م المتضمن احتلال الأراضي اللبنانية.
- ١١ - القرار رقم ٢٣٩١ S/PV بتاريخ ٦/ أغسطس ١٩٨٢م المتضمن ضرب المدن اللبنانية.
- ١٢ - القرار رقم ٢٤٦١ S/PV بتاريخ ٢/ أغسطس ١٩٨٣م المتضمن إنتهاك حقوق الفلسطينيين.
- ١٣ - القرار رقم ٢٥٥٦ S/PV بتاريخ ٦/ سبتمبر ١٩٨٤م المتضمن مذبحه صبرا وشاتيلا.
- ١٤ - القرار رقم ١٧٠٠٠ S/PV بتاريخ ١١/ مارس ١٩٨٥م المتضمن ممارسات إسرائيل في جنوب لبنان.

ومما سبق نلاحظ طابع الثبات في سلوك الولايات المتحدة في مجلس الأمن، وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى المميزات التي يتمتع بها أعضاء مجلس الأمن الدائمين. ولقد كان من المفروض أن يكون سلوك الولايات المتحدة متغيرًا استجابة للتغير في القضايا المطروحة لكن الذي حدث هو العكس إذ أنه اتسم بالثبات تجاه القضايا العربية سواء كانت تلك القضايا تهدد السلم والأمن الدولي أو تهدد حياة وحرية البشر. وترجع معضلة الثبات هنا إلى سهولة استخدام حق النقض حيث لايلزمها تأييد دول أخرى دائمة أو غير دائمة في مجلس الأمن.

المبحث الثاني: معضلات التغير والثبات في الأداة الاقتصادية «المساعدات الخارجية»:

من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية المساعدات الخارجية التي تقدمها الدول، وتثير مسألة المساعدات الخارجية مشكلة في تحديد مفهومها أو تعريفها (إذ ليس من السهل إعطاء تعريف دقيق وشامل للمعونات الخارجية، حيث أن المعونات قد تختلف حسب أشكالها المتعددة أو حسب الجهة التي تقدمها أو وفق الأهداف التي تقدم من أجلها والقيود التي غالباً ماتكون مرتبطة بتقديمها. وكل مايتعلق بالمعونات الخارجية قد يكون مثيراً للجدل، وحتى الأسم) (٥). فمنهم من يربط المساعدات بعملية التنمية، ومنهم من يقدرها بالمحصلة النهائية من هذه المساعدات كالاتحاد السوفيتي ومنهم من يقدرها بالقيمة المطلقة لحجم المساعدات كالولايات المتحدة الأمريكية. وعموماً فإنها لا تقتصر على الهبات الخالصة فقط، وإنما تشمل القروض التي لا يقل عنصر الهبة فيها عن ٢٥٪. ويعتمد عنصر الهبة على مايلي (٧) :-

- ١ - سعر الفائدة على القرض: ويكون التناسب عكسياً، فكلما زاد سعر الفائدة: انخفض عنصر الهبة.
- ٢ - مدة تسديد القرض حيث يكون التناسب في هذه الحالة طردياً فكلما زادت مدة تسديد القرض زاد عنصر الهبة أو المنحة.
- ٣ - فترة السماح: وهي الفترة التي لايسدد فيها القرض وتقتصر على تسديد الفوائد فقط ويكون التناسب في هذه الحالة تناسباً طردياً. فكلما زادت فترة السماح زاد عنصر الهبة.

وبعد هذه الخلفية الموجزة المبسطة عن مفهوم الإعانة أو المساعدات الخارجية، نأتي إلى دورها كأداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية، حيث أصبحت المساعدات العسكرية والاقتصادية تشكل الطريقة الأولى التي تنفذ الولايات المتحدة بها سياستها الخارجية منذ خروجها من العزلة الدولية والتي بدأت بمشروع مارشال لإعمار أوروبا في أعقاب الحرب العالمية الثانية لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية.

وفما يلي يمكننا بيان دوافع تلك المساعدات على النحو التالي (٨):

١ - النفوذ السياسي للمدى القصير :

- (أ) إظهار النوايا الحسنة تجاه الدول المختلفة، عبر توزيع المساعدات الاقتصادية.
- (ب) إثارة رد الفعل الإيجابي من النوايا الحسنة في الدول المستفيدة لإرساء صداقة دائمة معها.
- (ج) رغبة الولايات المتحدة في التقرب من أصحاب الحل والربط كما يسهل تقوية الصلات الدبلوماسية وتعزيزها.
- (د) استخدام المعونات في محاولة التأثير على السياسات الخارجية للدول المستفيدة.
- (هـ) استخدام المعونة للتأثير على السياسة الداخلية وتطوراتها في الدول المستفيدة، رغم أن الدلائل تشير إلى أن الولايات المتحدة لا تملك طريقة منهجية للتأثير على تطورات السياسة المحلية للدول المستفيدة بالمساعدات حتى تأتي سياستها المحلية موافقة للمصالح الأمريكية.

٢ - مكافحة الشيوعية :

- (أ) على شكل مكافأة للدول المستفيدة من المساعدات على دخول المعسكر الغربي، وأغلبها يتم عن طريق الدخول في المحالفات.
- (ب) تثبيت دعائم حكومات متخلخلة أمام تحد شيوعي ظاهر أو محتمل يواجه هذه الحكومات إبان الأزمات الاقتصادية أو السياسية التي تمر بها.
- وعلى العموم يمكن اعتبار مكافحة الشيوعية هي الأساس الذي ارتكزت عليه برامج المساعدات الاقتصادية، بالإضافة إلى أهمية المصالح الأمريكية الموجودة في تلك الدول.

٣ - الفوائد الاقتصادية :

- (أ) ضمان مناخ ملائم لاستثمار رؤوس الأموال الأمريكية.
- (ب) ضمان وجود موارد استراتيجية كافية.
- (ج) زيادة حجم الصادرات لتلك الدول بزيادة طلب الاستيراد بعد تحسين مستوى الدخل والمعيشة لتلك الشعوب.

وفما يلي سنلقي نظرة تحليلية على المساعدات الخارجية الأمريكية حتى يتبين التغير والثبات وأسبابهما.

فلو نظرنا إلى حجم المساعدات الرسمية للتنمية التي تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية مقارنة بنسبتها من الناتج القومي الإجمالي (GNP) نجد أنها تمثل نسبة ضئيلة كما هو موضح في الجدول رقم (١)، كما نجد أنها ضئيلة إذا ما قارناها بالمساعدات الميسرة لدول الأوبك من حيث نسبتها من الناتج القومي الإجمالي في هذه الدول كما هو مبين في الجدول رقم (٢).

وإذا تابعنا توزيع المساعدات الأمريكية نجد أنها تأخذ طابع التغير من حيث نسبة استفادة الدول من المساعدات الأمريكية فالهند على سبيل المثال كانت تحصل على حوالي ١٠٪ من المساعدات الأمريكية في سنتي ١٩٦٠، ١٩٦١م متصدرة بذلك قائمة الدول المستفيدة، واستمر الحال في بداية عقد السبعينات حيث وصلت حصتها إلى حوالي ١٣٫٩٪ من المساعدة الأمريكية مع احتفاظها بصدارة الدول المستفيدة، بينما تغيرت خارطة التوزيع في الثمانينات من هذا القرن حيث تصدرت إسرائيل قائمة الدولة المستفيدة من هذه المساعدات وبلغت نسبة استفادتها من جملة المساعدات حوالي ١٢٫٢٪، وتليها مصر بنسبة ١١٫٣٪ كما هو مبين في الجدول رقم (٣)، وإعادة التوزيع هذه تعطي مؤشراً على أن المساعدات الأمريكية مربوطة بدوافع سياسية واستراتيجية وليس بدوافع مساعدة هذه الدول في عملية التنمية، حيث أن هذا التغير حدث في أعقاب اتفاقيتي كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل.

وفي الجدول رقم (٣) نلاحظ تقلصاً في عدد الدول المستفيدة من هذه المساعدات بالرغم من أن عدد الدول في العالم يتزايد بين فترة وأخرى نتيجة حركات الاستقلال من الدول الاستعمارية. فلقد بلغ عدد الدول المستفيدة من هذه المساعدات في سنتي ١٩٦٠ و١٩٦١م أربعة وعشرين دولة، وفي سنة ١٩٧٠ - ١٩٧١م إحدى وعشرين دولة، وفي عامي ١٩٨٢ و١٩٨٣م ثمان عشرة دولة. وهذا التغير يمكن إيعازه إلى أهداف الولايات المتحدة من وراء المساعدات الخارجية، حيث يتضح مما سبق أن نظرتها للمساعدات الخارجية التي تراها لا تخرج عن كونها أداة صرفة لتنفيذ السياسة الخارجية، لا إلى تقديم العون للدول المحتاجة. إن معظم هذه المساعدات موجهة لبعض الدول في أمريكا اللاتينية، وبعض الدول الآسيوية والأفريقية التي تربطها علاقات جيدة مع الولايات المتحدة.

ويلاحظ أن هناك مؤشرًا إيجابيًا في الجدول رقم (٣) يتمثل في زيادة نسبة المساعدات المتعددة الأطراف من جملة المساعدات الأمريكية، حيث كانت تمثل ٧٦٪ من جملة المساعدات الأمريكية في عامي ١٩٦٠ و ١٩٦١ وازدادت النسبة تصاعديًا حيث بلغت في سنتي ١٩٧٠ و ١٩٧١ م ١١٤٪ وفي سنتي ١٩٨٢ و ١٩٨٣ م بلغت حوالي ٣٣٨٪. وتعتبر زيادة نسبة المساعدات المتعددة الأطراف مؤشرًا إيجابيًا لأنها تتميز بتقليل الحساسيات القومية الناتجة عن الشعور بالتدخل والضغط الذي يمارس في ظل المعونات التي تقدم بموجب الاتفاقيات الثنائية^(٩). ويمكن ملاحظتها بصورة أوضح من خلال الجدول رقم (٤) حيث يبين تقديم جزء من هذه المساعدات عن طريق وكالات الأمم المتحدة.

ونخلص مما سبق إلى أن معضلة التغير في المساعدات أو المعونات الخارجية تكمن في ارتباطها بالأهداف السياسية والاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية، فإذا حدث تغير في تلك الأهداف فإنه وبطبيعة الحال يتتبع تغيرًا في المساعدات الخارجية سواء بالنسبة للمستفيدين منها أو عددهم أو من حيث حجم المساعدات.

جدول رقم (١)
المساعدات الأمريكية الرسمية للتنمية
ملايين الدولارات

| السنوات | المبلغ | كنسبة من GNP |
|-------------|--------|--------------|
| ١٩٥٥ - ١٩٥٠ | ١١١٨٠ | ٣٢٪ |
| ١٩٥٦ | ١٩٩٦٠ | ٤٧٪ |
| ١٩٥٧ | ٢٠٨٣٠ | ٤٧٪ |
| ١٩٥٨ | ٢٣٨٨٠ | ٥٢٪ |
| ١٩٥٩ | ٢٣١٠٠ | ٤٧٪ |
| ١٩٦٠ | ٢٧٥٩٨ | ٥٤٪ |
| ١٩٦١ | ٣٠٢٦١ | ٥٧٪ |
| ١٩٦٢ | ٣٣١٧٢ | ٥٨٪ |
| ١٩٦٣ | ٣٥٨٠٣ | ٦٠٪ |
| ١٩٦٤ | ٣٦٠١٨ | ٥٦٪ |
| ١٩٦٥ | ٤٠٢٢٧ | ٥٨٪ |
| ١٩٦٦ | ٣٨١٩٨ | ٥٠٪ |
| ١٩٦٧ | ٣٢٩٦٠ | ٤١٪ |
| ١٩٦٨ | ٣٨٣٧٤ | ٤٤٪ |
| ١٩٦٩ | ٣٣٧٦ | ٣٦٪ |
| ١٩٧٠ | ٣١٥٣ | ٣٢٪ |
| ١٩٧١ | ٣١١٢ | ٢٩٪ |
| ١٩٧٢ | ٣٩٥٨٤ | ٣٣٪ |
| ١٩٧٣ | ٢٦٥٥٤ | ٢٠٪ |
| ١٩٧٤ | ٣٦٧٣٩ | ٢٥٪ |
| ١٩٧٥ | ٤٦١٠٩ | ٢٧٪ |
| ١٩٧٦ | ٤٣٦٠٢ | ٢٥٪ |
| ١٩٧٧ | ٤٣٦٠٢ | ٢٤٪ |

تابع جدول رقم (١)
المساعدات الأمريكية الرسمية للتنمية
ملايين الدولارات

| السنوات | المبلغ | كنسبة من GNP |
|---------|--------|--------------|
| ١٩٧٨ | ٥٦٦٣٥ | ٢٦٪ |
| ١٩٧٩ | ٤٦٨٤٠ | ١٩٪ |
| ١٩٨٠ | ٧١٣٨٠ | ٢٧٪ |
| ١٩٨١ | ٥٧٨٢ | ١٩٪ |
| ١٩٨٢ | ٨٢٠٢ | ٢٧٪ |
| ١٩٨٣ | ٨٠٨١ | ٢٤٪ |
| ١٩٨٤ | ٨٧١١ | ٢٤٪ |

OECD. *Twenty five years of Development Co-operation*,
Paris, 1985. pp 334-335.

المصدر :

جدول رقم (٢)
المساعدات الميسرة لدول أوبك ١٩٧٠ - ١٩٨٤ م
بجلايين الدولارات الأمريكية

| ليبيا | العراق | الجزائر | الإمارات | كسبة من GNP | السعودية | قطر | الكويت | |
|-------|--------|---------|----------|-------------|----------|-----|--------|------|
| ٦٨ | ٤ | — | — | %٥٥٩ | ١٧٣ | — | ١٤٨ | ١٩٧٠ |
| ٦٤ | ٨ | — | ٥٠ | %٥٠٤ | ٢١٤ | — | ١٠٦ | ١٩٧١ |
| ٧٧ | ١٥ | ٢ | ٧٧ | %٦٥٧ | ٣٦٦ | ١ | ١٧١ | ١٩٧٢ |
| ٢٠٧ | ٦ | ٢٣ | ٢٨٥ | %١٤٦ | ١١٠٣ | ٦٣ | ٣٣٥ | ١٩٧٣ |
| ١٤٧ | ٤٢٣ | ٤٧ | ٥١٠ | %٨٩٤ | ٢٠٦٦ | ١٨٥ | ٦٣١ | ١٩٧٤ |
| ٢٧٠ | ٢٥٨ | ٣١ | ١٠٤٦ | %٧٥٥ | ٢٦٦٥ | ٣١٧ | ٩٥٦ | ١٩٧٥ |
| ١٠٢ | ١٢١ | ١٣ | ١٠٢٨ | %٦٢٢ | ٢٩١٦ | ١٨٠ | ٧٣١ | ١٩٧٦ |
| ١٠٢ | ٩٨ | ٤٣ | ١٠٧٦ | %٤٩٤ | ٢٩٠٩ | ١٧٠ | ١٣٠٢ | ١٩٧٧ |
| ١١٨ | ١٣٨ | ٤٢ | ٨٨٧ | %٨٠ | ٥٢١٥ | ٩٥ | ٩٩٣ | ١٩٧٨ |
| ١١٥ | ٦٥٨ | ٢٨١ | ٩٦٨ | %٥٢ | ٣٩٧١ | ٢٨٢ | ٩٧٠ | ١٩٧٩ |
| ٣٧٦ | ٨٦٣ | ٨٢ | ١٠٥٢ | %٤٩٥ | ٥٧٧٥ | ٢٨٦ | ١١٤٠ | ١٩٨٠ |
| ٢٦٢ | ٢٠٣ | ٥٥ | ٨٠٠ | %٣٤٩ | ٥٥٧٥ | ٢٤٨ | ١١٥٤ | ١٩٨١ |
| ٤٣ | ٥٧ | ١٣١ | ٣٩٥ | %٢٥٤ | ٣٩١٠ | ١٣٩ | ١١٦٨ | ١٩٨٢ |
| ١٤٢ | -٣٧ | ٦١ | ٣٦٤ | %٣٢٩ | ٣٦٦١ | ١١ | ١٠٠٦ | ١٩٨٣ |
| ١٧ | -٤٨ | ٤٦ | ٤٣ | %٣٢٩ | ٣٣١٥ | ١٠ | ١٠١٨ | ١٩٨٤ |

ibid, p. 315

المصدر :

جدول رقم (٣)
الدول المستفيدة من المساعدات الأمريكية
كنسبة من المساعدات الرسمية للتنمية

| ١٩٨٣ - ١٩٨٢ | ١٩٧١ - ١٩٧٠ | ١٩٦١ - ١٩٦٠ |
|-----------------------|-----------------------|---------------------|
| %١٢٢٢ إسرائيل | %١٣٩٩ الهند | %١٠ الهند |
| %١١١٣ مصر | %١٠٥٥ فيتنام | %٧٨٨ البرازيل |
| %٣٣٦ تركيا | %٧٨٨ اندونيسيا | %٦١١ كوريا |
| %٢٣٣ السلفادور | %٥٠٠ الباكستان | %٦٠٠ الباكستان |
| %٢٣٣ بنجلاديش | %٤٥٥ كوريا | %٤٣٣ تركيا |
| %١٧٧ السودان | %٣٣٦ البرازيل | %٤٠٠ فيتنام |
| %١٧٧ جزيرة الباسفيك | %٣٣٦ تركيا | %٣٧٧ إيران |
| %١٦٦ الهند | %٣٠٠ كولومبيا | %٣٦٦ تشيلي |
| %١٥٥ الباكستان | %١٦٦ إسرائيل | %٣٣٣ يوغسلافيا |
| %١٤٤ كوستاريكا | %١٦٦ لاوس | %٣٢٢ تايوان |
| %١٤٤ اندونيسيا | %١٥٥ جزيرة الباسفيك | %٣١١ مصر |
| %١٣٣ جامايكا | %١٤٤ المغرب | %٣٠٠ المكسيك |
| %١٢٢ الفلبين | %١٣٣ نيجريا | %٢٦٦ المغرب |
| %٠٨٨ البيرو | %١٣٣ تونس | %٢٠٠ تونس |
| %٠٨٨ هندوراس | %١٠٠ تايلاند | %١٩٩ كولومبيا |
| %٠٨٨ كينيا | %١٠٠ الفلبين | %١٧٧ اندونيسيا |
| %٠٨٨ جمهورية الدومنيك | %٠٩٩ جمهورية الدومنيك | %١٦٦ الأردن |
| %٠٧٧ لايبيريا | %٠٩٩ تشيلي | %١٥٥ إسرائيل |
| | %٠٧٧ الأردن | %١٥٥ الأرجنتين |
| | %٠٧٧ بوليفيا | %١٤٤ لاوس |
| | %٠٧٧ غانا | %١٢٢ الفلبين |
| | | %١٠٠ اليونان |
| | | %٠٨٨ أفغانستان |
| | | %٠٨٨ فنزويلا |
| %٤٧٢٢ المجموع | %٦٦٥٥ المجموع | %٧٦٢٢ المجموع |
| %٣٣٣٨ متعددة الأطراف | %١١٤٤ متعددة الأطراف | %٧٦٦ متعددة الأطراف |
| %٧٨٨ غير موزعة | %١١٣٣ غير مخصصة | %٦٤٤ غير مخصصة |

ibid, p. 314.

المصدر:

جدول رقم (٤)
تدفق الموارد المالية الأمريكية للدول النامية والوكالات متعددة الأطراف
(بملايين الدولارات)

| ١٩٨٤ | ١٩٨٣ | ١٩٨٢ | ١٩٨١ | ١٩٧٣ ١٩٧٥ متوسط | |
|------|------|------|------|-----------------------|----------------------------------------|
| ٨٧١١ | ٨٠٨١ | ٨٢٠٢ | ٥٧٨٢ | ٣٤٩٧ | مجموع المساعدات الرسمية للتنمية |
| %٠٢٤ | %٠٢٤ | %٠٢٧ | %٠١٩ | %٠٢٤ | النسبة المئوية |
| ٦٤٥٧ | ٥٥٦٣ | ٤٨٦١ | ٤٣١٧ | ٢٦١٧ | المساعدات الثنائية |
| ٥٦٤٤ | ٤٥٤٠ | ٣٧٩١ | ٣١٦٤ | ١٦٢٨ | (أ) المنح ومنها |
| ٨١٣ | ١٠٢٣ | ١٠٧٠ | ١١٥٣ | ٩٨٨ | (ب) القروض |
| ٢٢٥٤ | ٢٥١٨ | ٣٣٤١ | ١٤٦٥ | ٨٨٠ | المساهمات للمؤسسات متعددة الأطراف : |
| ٧٤٤ | ٦٦٠ | ٦٧١ | ٧٠٥ | ٢٨٧ | ومنها وكالات الأمم المتحدة |

الهوامش

- (١) د. باسل الخطيب. «الدبلوماسية المتعددة الأطراف والمنظمات الدولية» مجلة الدراسات الدبلوماسية. العدد الرابع. (معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ص ٣٨.
- (٢) رتشارد نيكسون. مذكرات الرئيس نيكسون (الحرب الحقيقية)، مرجع سابق، ص ٣٦٥.
- (٣) لمزيد من التفصيل راجع المعضلة الشخصية في هذا البحث ص ٣١٧.
- (٤) السفير جعفر اللقاني «حالات الفيتو في القضايا العربية والإسلامية» مجلة الدبلوماسي، العدد الخامس (معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، رجب ١٤٠٥هـ / ابريل ١٩٨٥م)، ص ٢٨.
- (٥) محاضرة غير منشورة عن المعونات الخارجية قدمها الدكتور اسماعيل محمد دعيس للدارسين بمعهد الدراسات الدبلوماسية في الرياض في العام الدراسي ١٤٠٨هـ.
- (٦)
$$\frac{\text{القيمة الاسمية للتدفقات المالية من الدولة المانحة} - \text{القيمة الحالية للتدفقات} \times ١٠٠}{\text{القيمة الاسمية}}$$
 = عنصر الهبة
- (٧) د. اسماعيل محمد دعيس. مرجع سابق.
- (٨) روبرت. س. ولترز. المعونات الأمريكية والسوفيتية: تحليل مقارن. نعريب د. نبيل صبحي. (دار القلم، الكويت، ١٩٧٤م) ص ١٩ - ٤٢.
- (٩) د. اسماعيل محمد دعيس. مرجع سابق.

الخاتمة

لقد حاولنا في هذا البحث تسليط الأضواء على الأمور ذات العلاقة بالسياسة الخارجية الأمريكية ابتغاء الكشف عن مواطن التغير والثبات فيها، حيث بدأنا بالجانب التاريخي لرصد مسارها منذ خروجها من العزلة في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الراهن وتناولناها في إطار تطور السياسة الدولية ومن خلال العلاقات بين القوتين العظميين التي اشتملت على أربع مراحل تتلخص في العداء والتعايش السلمي ثم الانفراج فالوفاق، محللين بذلك أسباب هذه التحولات التاريخية ومن ثم تناولنا الجانب الثاني في هذه الدراسة المتمثل في النظام الدستوري ومراكز صنع القرار حيث تركزت الدراسة على جوانب أساسية تتمثل في الدستور، والحكومة والكونجرس استبان فيها بعض المعضلات التي قد تحدث إنعكاسًا على السياسة الخارجية نحو الثبات أو التغير، لاسيما وقد وضحت معضلة الاختصاص في الدستور والمعضلة الحزبية والشخصية في الحكومة ومعضلة دور اللجان وجماعات الضغط في الكونجرس.

ثم تعرضنا إلى الجانب الثالث الذي يشمل مضمون السياسة الخارجية الأمريكية من حيث الأهداف والوسائل، حيث تطرقنا إلى أهم المعضلات التي تعترض تحقيق الأهداف كطبيعة الأنظمة السياسية والرعب النووي، وأخيرًا تناولنا وسيلتين من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية هما الدبلوماسية والمساعدات الاقتصادية للكشف عن التغير والثبات الذي يعترضهما، وتوصلنا إلى عدد من النتائج نوجزها في التالي:

١ - في الباب الأول تبين أن التطور الذي طرأ على العلاقات الخارجية الأمريكية في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية كان عبارة عن استجابة للعديد من المتغيرات في السياسة الدولية، كتطور الأسلحة النووية، وضعف العامل الأيديولوجي وخروج قوى جديدة إلى الساحات الدولية.

٢ - الباب الثاني: أتضح أن معضلة الاختصاص بين الحكومة والكونجرس تؤثر في السياسة الخارجية حيث هناك العديد من الأمور ذات الصلة بالسياسة الخارجية لم يحدد الدستور اختصاصها. وقد تبين أيضًا أن الحكومات المتتالية لا تجرى تغييرات جوهرية في السياسة الخارجية حتى وأن تغير الحزب الحاكم سواء كان الحزب الجمهوري أو الحزب الديمقراطي مما يدعو إلى القول بوجود ثبات نسبي في السياسة الخارجية للولايات المتحدة من هذه الناحية. ويبدو

أن لشخصية الرئيس دورًا مؤثرًا على السياسة الخارجية بالإضافة إلى ماتقدم من مؤثرات.

٣ - لقد لاحظنا في الكونجرس وجود تأثير اللجان وجماعات الضغط في صناعة القرار وعليه توصلنا إلى أن هذه اللجان تحدث تغييرًا في السياسة الخارجية الأمريكية، عندما تستغل من قبل رئيس مجلس النواب أو جماعات الضغط. وفي ذات الوقت اتضح تأثير جماعات الضغط في حالة تعارض أهدافها مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

٤ - في الباب الثالث : توصلنا إلى ثبات أهداف السياسة الخارجية على نحو نسبي باعتبارها تدور حول محور السيطرة، بينما قد تتعرض هذه الأهداف للتغير عندما تعترضها عقبات كطبيعة الأنظمة السياسية للدول والرعب النووي الذي يعمل على الحد من تحقيق بعض الأهداف. كما تبين عند دراستنا لعدد من أدوات السياسة الخارجية الأمريكية، أن الأداة الدبلوماسية قد يحدث لها تغير بسبب السرية المتبعة في تنفيذها إضافة إلى عملية الاختيار بين البدائل، بينما توصلنا إلى أن دبلوماسية المنظمات تتسم إلى حد ما بالثبات. أما بالنسبة للأداة الاقتصادية المتمثلة في المساعدات الخارجية فقد لاحظنا أن التغير فيها ناتج عن ربط هذه المساعدات بالأهداف السياسية والاستراتيجية.

التوصيات :

- ١ - أن من يتعامل مع الولايات المتحدة عليه أن يضع في الاعتبار كافة المتغيرات في سياستها الخارجية حتى يتسنى له اتخاذ قرارات سليمة، كما يجب عليه استغلال العضلات التي تتطرقنا إليها.
- ٢ - من الأصوب إعداد مزيد من البحوث لدراسة جوانب محددة مختصة بعضلات الثبات والتغير في السياسة الخارجية للولايات المتحدة تكملة لمحاولتنا المتواضعة هذه.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

أولاً : الكتب :

- ١ - د. اسماعيل صبري مقلد. العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات. ط٢، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٧٩م.
- ٢ - د. اسماعيل صبري مقلد. قضايا دولية معاصرة: السياسة الدولية من الحرب الباردة إلى الوفاق: مؤسسة الصباح، الكويت، ١٩٨٠م.
- ٣ - البرت ساي وآخرون. أسس الحكم في أمريكا. ترجمة محمد محمد فرج. مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨م.
- ٤ - بروس فيلكور نور وآخرون. حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كيف تعمل ولماذا تعمل. ترجمة د. عبداللطيف حسين فرج. دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض ١٩٨٤م.
- ٥ - دين رأسك. أضواء على سياسة أمريكا الخارجية. ترجمة محمد سعيد سلامة. عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ٦ - د. رأفت غنيمي الشيخ، أمريكا والعلاقات الخارجية. عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٧ - رتشارد نيكسون. عام ١٩٩٩ نصر بلا حرب. دار سايمون وشوستر. نشرته جريدة الشرق الأوسط في الاعداد ٣٤٢٠، ٣٤٢٧، ٣٤٤١، ٣٤٤٨، ٣٤٥٥.
- ٨ - رتشارد نيسكون. القادة. ترجمة خضر إبراهيم. دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٦م.
- ٩ - رتشارد نيكسون. مذكرات الرئيس نيكسون: الحرب الحقيقية. ترجمة سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
- ١٠ - روبرت. س ولترز. المعونات الأمريكية والسوفيتية: تحليل مقارن. تعريب د. نبيل صبحي. دار القلم، الكويت، ١٩٧٤م.
- ١١ - د. عبدالرحمن عدس د. محي الدين توق. علم النفس العام. مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٨١م.

- ١٢ - د. عبدالله سعود القباع. السياسة الخارجية السعودية. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤٠٧، ١٩٨٦م.
- ١٣ - فرجينيا برودين ومارك سلدن. السر المعروف مبدأ نيكسون وكيسنجر في آسيا. ترجمة د. أحمد طربين ود. نصير عاروري المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د. ت.
- ١٤ - كارل و. دويتش تحليل العلاقات الدولية. ترجمة محمود نافع. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.
- ١٥ - كولن باون وبيتر موني. من الحرب الباردة حتى الوفاق (١٩٤٥ - ١٩٨٠م). ترجمة صادق إبراهيم عودة. دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٨٤م.
- ١٦ - كينث تومبسون وروى مكريدس. نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها في مناهج السياسة الخارجية لدول العالم. ترجمة د. حسن صعب. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦م.
- ١٧ - م. جد هارمون. أضواء على دستور الولايات المتحدة. ترجمة أمير كامل. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.
- ١٨ - نلسن وبولسبي، آرون ولد فكسي. انتخاب الرئاسة: استراتيجيات السياسة الانتخابية. دار كتابي، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ١٩ - هنري. أ. كيسنجر. مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية. ترجمة د. حسن شريف. مطابع الهيئة المصرية العامة، للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ٢٠ - هوارد بينيمان. الجهاز السياسي الأمريكي. ترجمة د. وايت إبراهيم. مكتبة الوعي العربي، مكان النشر غير معلوم، ١٩٦٢م.
- ٢١ - هيئة الأذاعة البريطانية. السياسة بين السائل والمجيب. ج١، مؤسسة آدم للنشر المحدودة، مالطا، د. ت.
- ٢٢ - هيدرك سميث وآخرون. رجاء الرجل الرئيسي، الدار العربية للموسوعات. بيروت لبنان، ١٩٨٢م.
- ٢٣ - وكالة الاتصال الدولي للولايات المتحدة الأمريكية. موجز التاريخ الأمريكي. ١٩٨١م.
- ٢٤ - وكالة الاتصال الدولي للولايات المتحدة الأمريكية. موجز نظام الحكم الأمريكي. ١٩٨١م.

ثانياً : المجلات :

- ١ - مجلة الدبلوماسية. العدد الخامس معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض رجب ١٤٠٥ / ابريل ١٩٨٥ م.
- ٢ - مجلة الدراسات الدبلوماسية. العدد الرابع. معهد الدراسات الدبلوماسية. الرياض ١٤٠٧/١٩٨٧ م.
- ٣ - مجلة السياسة الدولية. العدد (٧٤)، القاهرة، اكتوبر ١٩٨٣ م.
- ٤ - مجلة العلوم الاجتماعية. الكويت، صيف ١٩٨٧ م.
- ٥ - مجلة المجلة. العدد ٢٠٨. لندن، ٤ - ١٠ فبراير ١٩٨٤ م.
- ٦ - مجلة المستقبل. العدد ٢٣٤. باريس ١٦ يوليو ١٩٨٣ م.

ثالثاً : الصحف :

- ١ - جريدة الرياض العدد ٧١٨٩ الأحد ١١ رجب ١٤٠٨ / ٢٨ فبراير ١٩٨٨ م.
- ٢ - جريدة الرياض العدد ٧٢١٠ الأحد ٢ شعبان ١٤٠٨ / ٣٠ مارس ١٩٨٨ م.
- ٣ - جريدة الرياض العدد ٧٢١٧ الأحد ٩ شعبان ١٤٠٨ / ٢٧ مارس ١٩٨٨ م.
- ٤ - جريدة الرياض العدد ٧٢٤٨ الأربعاء ١١ رمضان ١٤٠٨ / ٢٧ ابريل ١٩٨٨ م.
- ٥ - جريدة الشرق الأوسط. العدد ٣٢٩٨ الأربعاء. ١٢/٩/١٩٨٧ م.
- ٦ - جريدة الشرق الأوسط. العدد ٣٢٩٩ الخميس ١٢/١٠/١٩٨٧ م.
- ٧ - جريدة الشرق الأوسط. العدد ٣٤٣٤ السبت، ٢٣/٤/١٩٨٨ م.
- ٨ - جريدة القبس العدد ٥٣٩٤ (الكويت) الثلاثاء ٢٢ رمضان ١٤٠٧ هـ / ١٩ مايو ١٩٨٧ م.
- ٩ - النشرة الاستراتيجية. العدد الأول (مركز الشرق الأوسط للأبحاث والمعلومات. لندن) ١٤ فبراير ١٩٨٠ م.
- ١٠ - النشرة الاستراتيجية. العدد الرابع (مركز الشرق الأوسط للأبحاث والمعلومات). ٢٧ مارس ١٩٨٠ م.
- ١١ - النشرة الاستراتيجية. العدد الخامس عشر (مركز الشرق الأوسط للأبحاث والمعلومات). ٢٧ أغسطس ١٩٨١ م.

المصادر الأجنبية :

OECD. Twenty Five Years of Development Co-operation, Paris, 1985.

KINGDOM OF SAUDI ARABIA

Ministry of Foreign Affairs



Diplomatic Studies

SELECTED RESEARCH STUDIES OF GRADUATE STUDENTS

- *The Impact of Technology on Modern Diplomacy*
- *The Red Sea and Arab National Security*
- *The Immigration of Falasha Jews*
- *The Ethiopian-Somali Conflict*
- *The American Political System and Pressure Groups*
- *The Dilemmas Of Change and Consistency
in the Foreign Policy of U.S.A.*

6

1410 A.H. 1990 A. D.

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Foreign Affairs



Diplomatic Studies

SELECTED RESEARCH STUDIES OF GRADUATE STUDENTS

6

1410 A.H. 1990 A. D.

Mailing Address: The Institute of Diplomatic Studies.
P.O.Box 51988 Riyadh 11553. Tel. : 405-9000



*In the Name of Allah,
the Merciful, the Compassionate*



Contents

| SUBJECT | PAGE |
|---------------------------------------------------------------------------------|-------------|
| The Impact of Technology on Modern Diplomacy. | |
| Saleh Al Zahrani | 9 - 52 |
| The Red Sea and Arab National Security. | |
| Hesham Al Swailem | 55 - 115 |
| The American Political System and Pressure Groups. | |
| Turki Al Hasher | 119 - 173 |
| The Immigration of Falasha Jews. | |
| Hammad Al Rowaily | 177 - 226 |
| The Ethiopian - Somali Conflict | |
| Adnan Postaji | 229 - 280 |
| The Dilemmas of Change and Consistency in the Foreign Policy of U. S. A. | |
| Abdu-Allah Al Oaifeer | 283 - 377 |

The views expressed in this Journal are those of the individual authors and do not reflect the views of either the Institute of Diplomatic Studies or the Foreign Ministry.

All Rights Reserved, direct or indirect quotations from the material in this Publication is permitted provided due reference is made to the author and Institute.

Any reproduction of the material in whole or in part by any means and in any form is prohibited without the written permission of the **Institute**.